

رَفَع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com



الجانب الدعوي
عند ابن القيم (رحمه الله)
في كتابه

زاد المعاد

ياسر محمد عبد الله الراشدي

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com



٢١٣

ر ٢٥٨

الراشدي، ياسر محمد عبدالله.

الجانب الدعوي عند ابن القيم (رحمه الله) في كتابه زاد المعاد. - بغداد:

ديوان الوقف السني، ٢٠١٤.

٥١٠ ص. ٢٥ سم. (سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، ٢٨٦)

١. الاسلام - دعوة. أ- العنوان. ب- السلسلة.

جميع الآراء التي في هذا المطبوع تمثل رأي كاتبها وهي لا تعبر

بالضرورة عن رأي الديوان

حقوق الطبع محفوظة للديوان



دائرة البحوث والدراسات
سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة
(٢٨٦)

جمهورية العراق
ديوان الوقف السني
دائرة البحوث والدراسات

الجانب الدعوي

عند ابن القيم (رحمه الله) في كتابه زاد المعاد

ياسر محمد عبدالله الراشدي

٢٠١٥م

١٤٣٦هـ

الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا

مِمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ

وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ

إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

سورة فصلت الآية: ٣٣

الإهداء

- إلى سيد الأولين والآخرين من بعثه الله رحمة للعالمين ،
نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم).
 - وإلى رمز الحب وبلسم الشفاء ، والقلب الناصع
بالبياض... والدتي الحبيبة.
 - وإلى من كَلّت أنامله ليقدّم لنا لحظة سعادة ، ومن أزال
الأشواك عن درسي ليمهد لي طريق العلم إلى القلب
الكبير... والدي العزيز.
 - وإلى شريكة حياتي... زوجتي.
 - وإلى كل الدعاة العاملين لهذا الدين.
 - وإلى مشايخي وأساتذتي اجمعين.
 - وإلى كل من مَدَّ اليّ يد العون من طلبة العلم والاصدقاء.
- أهدي هذا الجهد المتواضع...

الباحث



المقدمة

بَيِّنَاتُ الْخَالِصَةِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للناس
أجمعين خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه،
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله تعالى وظيفة الأنبياء والرسل وهي من أهم
المهمات وأوجب الواجبات، وقد اعتنى بها العلماء الذين هم ورثة الأنبياء
لما فيها من نشر وتبليغ لرسالات الرسل إلى العالمين، ومن العلماء الذين
أقنوا أعمارهم، وكرسوا أوقاتهم في الدعوة إلى الله تعالى بالتأليف،
والتصنيف، والخطب، والمواظب، والتدريس، الإمام ابن القيم "رحمه الله"،
ولاسيما في كتابه زاد المعاد الذي كشف اللثام فيه عن هدي خير العباد
(ﷺ) بقوله وفعله، وسيرته، وعزواته، وقد اعتنى به العلماء قديماً وحديثاً
بالتدريس تارة، والاختصار تارة، والتطبيق والتخريج إلى يومنا هذا، وقد
أمرنا الله (ﷻ) باتباع النبي (ﷺ) في أفعاله وأقواله، وتقريراته، قال
تعالى: ﴿ وَمَا أَلَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (١)، ولأجل هذا الاقتداء في الدعوة إلى الله (ﷻ) يجب أن

(١) سورة الحشر، جزء من الآية (٧).

يكون هناك منهج وفقه دعوي لسيرة النبي (ﷺ) يفيد منه الدعاة في دعوتهم من دون الاقتصار على السرد التاريخي لتلك الأحداث ، وليتمكنوا من استخراج الدروس والفوائد والجوانب الدعوية من السيرة النبوية التي قال الله (ﷻ) على صاحبها صلوات ربي وسلامه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ ۝ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝٤٦ ﴾ (١).

أهمية الموضوع :

نظراً لأهمية الدعوة الى الله تعاليتأتي أهمية هذا الموضوع ، حيث عمدت إلى دراسة جانب دعوي لابن القيم الذي تناول سيرة هدي النبي (ﷺ) عن طريق مؤلف مهم للإمام ابن القيم "رحمه الله" وهو (زاد المعاد في هدي خير العباد)، لأجل استقراء أهم الدروس الدعوية المستقاة منه . لذا جعلت دراستي هذه الجانب الدعوي عند الإمام ابن القيم "رحمه الله" في كتابه (زاد المعاد) في نشر الدعوة الإسلامية ، فإن كل علم يُشرفُ بمتعلقه ، وما يهدف إليه ، وعلم الدعوة من أشرف العلوم ، وذلك لتعلقه بالله (ﷻ)، وما يهدف إليه من إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى العلم ، ومن عبادة المخلوقات إلى عبادة رب الخلق سبحانه وتعالى .

فالدعوة إلى الله (ﷻ) هي مهمّة الأنبياء والرسل (عليهم صلوات ربي وسلامه)، وكتاب (زاد المعاد) يعد من المصادر المهمة في السيرة النبوية، إذ احتوى على دروس وجوانب دعوية كثيرة جداً ، واحتوى على احكام

(١) سورة الأحزاب ، الآيتان (٤٦،٤٥) .

فقهيّة واصولية أيضاً، وهذا يدل على أهمية هذا الكتاب، ولم تستوعب دراستي كل كتاب (زاد المعاد)، وذلك لاشتماله على أكثر من جانب ، ولكي لا تطول دراستي فقد اقتصرت على الجانب الدعوي فيه.

أسباب اختيار هذا الموضوع:

١- رغبتني في الاحاطة بجانب الدعوة الى الله تعالى ، ولاسيما عندما تصدر عن امام من ائمة الهدى ، وعالم من علماء الامة الذين لهم حضور واسع في خدمة الشريعة والاحاطة بمقاصدها، وغاياتها امثال ابن القيم "رحمه الله".

٢- رغبتني في الاطلاع على اثاره "رحمه الله" العلمية والدعوية، وعطائه لهذا الدين ، ولاسيما في ذلك الزمان الذي نشأ فيه ، والذي هو قريب الشبه بزماننا اليوم .

٣- ما تميز به الامام ابن القيم "رحمه الله" من العلم والعمل والدعوة إلى الله (ﷻ) ، فهو الصائم القائم الحافظ لكتاب الله تعالى الموصوف بالحياء والسخاء والكرم ، فمن كان هذا شأنه كان جديراً بدراسة كتبه ، والتعرف على اثاره وعلى بعض الجوانب الدعوية عنده، واتباعه لهدي النبي (ﷺ)، وما يحمله من الاخلاق واللين والسماحة في جميع معاملاته ، بعيداً عن التعصب والتشدد ، لا كما يقال اليوم عنه من بعض الناس الذين لا يعرفونه ، بسبب الإنتماءات المذهبية المتشددة ، او البعد عن الدراية الصحيحة بمذاهب اهل السنة .

٤- ما نراه ونلمسه من مشكلات وخلافات تعج بها الساحة الاسلامية اليوم من بعض المتصدرين للدعوة بسبب غياب الاسلوب الدعوي الحكيم، والعقل الراجح السليم والقلب الرحيم، بل الأعجب والأغرب في ذلك أن ترى تلك الأساليب الخاطئة تصدر احياناً من بعض الذين ينتسبون الى المدارس الدعوية.

٥- حاجة الأمة اليوم إلى الرجوع إلى المنهج الصحيح الذي سار عليه سلف الأمة في دعوتهم إلى الله (ﷻ) .

ولهذه الأسباب وغيرها، وقع اختياري على الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" في كتابه زاد المعاد .

الدراسات السابقة :

لم أجد لأحد من الباحثين - حسب علمي واطلاعي - أن قام بدراسة الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" ، وبالطريقة التي جاءت فيها الرسالة، ولم أجد كتاباً تحدث في موضوع الجانب الدعوي لابن القيم "رحمه الله" في كتابه زاد المعاد ، وكذلك لم أجد دراسة تطرقت إلى هذا الموضوع بشكل مباشر، ولكن هنالك دراسات تطرقت لموضوع الدعوة الى الله تعالى عند ابن القيم "رحمه الله" بشكل عام، وقد استفدت كثيراً من كتب السيرة والتاريخ، وكتب الدعوة .

الصعوبات التي واجهتني :

لاشك في أن بدايات كل عمل لا بد أن تكون فيه صعوبة ومشقة، ومن هذه الصعوبات التي واجهتني في اعداد هذه الرسالة:

١- قلة المصادر والدراسات التي تتحدث عن الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" .

٢- لم أجد من افرد بتحديد دراسة خاصة وتوسّع لابن القيم في السرد القصصي للسيرة النبوية ، وهذا جعل الموضوع شاقاً .

٣- الظروف الأمنية التي يعيشها البلد حيث ضاعف عليّ جهداً مُضنياً وتعباً شديداً.

منهج البحث :

قد اعتمدت في هذا البحث على المنهج (الاستقرائي والاستنباطي)، وذلك بتتبع النصوص المتعلقة بالجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" في كتابه زاد المعاد من مظانها في كتب التاريخ والسير والحديث والدعوة، ثم تحليلها ومحاولة استنباط واستخراج الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" من خلال استقرائي، وهذا أقرب المناهج لتناول موضوع الدعوة الإسلامية ، وقد سرت فيه على المنهج الاتي:

١- قدمت مصدر (زاد المعاد) على باقي المصادر والمراجع في المتن والهامش ، لأنه محل دراستي وبحثي .

٢- تتبعت الآيات المتعلقة بالموضوع وتفسيرها فيما يصب في الموضوع، ثم عزوت الآيات القرآنية الكريمة الى سورها ، ورقم الآية من تلك السورة في الهامش، وحصرت الآيات القرآنية بين

قوسين مزهرين ﴿...﴾ ويرسم المصحف المرقم.

٣- تخريج الأحاديث النبوية من مظانها ، وإيراد أقوال العلماء فيها عند الحاجة ، وحينما يكون الحديث في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بتخريجه منهما أو أحدهما.

٤- تخريج الآثار ، ونسبة الأقوال إلى مصادرها .

٥- بينت الكلمات والمصطلحات الغريبة من مظانها .

٦- ترجمت للأعلام غير المشهورين الذين وردت أسماءهم في ثنايا الرسالة .

٧- جعلت النصوص المقتبسة نصاً بين قوسين (...) والإشارة إلى المصدر مع ذكر الجزء والصفحة.

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على مقدمة ، وفصل تمهيدي ، وثلاثة فصول ، وخاتمة:

أما المقدمة: فقد اشتملت على (أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، والدراسات السابقة والصعوبات التي واجهت الباحث، ومنهج اعداد البحث، والخطة).

أما الفصل التمهيدي : فقد تناولت فيه : التعريف بمفردات عنوان الرسالة .

وضمنته مبحثين.

ثم الفصل الأول: تناولت فيه : الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره للهجرة .
وضمنته ثلاثة مباحث .

وأما الفصل الثاني: فتناولت فيه : الجانب الدعوي عند ابن القيم
"رحمه الله" على ضوء ذكره لاهم غزوات النبي (ﷺ) .
وضمنته ثلاثة مباحث .

وأما الفصل الثالث : فتناولت فيه : الجانب الدعوي عند ابن القيم
"رحمه الله" على ضوء ذكره لأحداث متفرقة من السيرة النبوية .
وضمنته ثلاثة مباحث .

ثم الخاتمة ، فأوجزت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها ثم أتبعها
بجملة من التوصيات .

وفي الختام: فاني قد بذلت ما بوسعي وجهدي في جمع أشتات هذه
الرسالة وتقديمها على الوجه الذي أرجو به القبول عند الله تعالى أولاً ، ثم
عند أساتذتي الكرام ثانياً .

وأقول: فإن يكن صواباً فمن الله الكريم الوهاب، وإن يكن فيه خطأ، أو
نقص، فتلك سنة الله في بني الإنسان، فالكمال لله وحده، والنقص
والقصور واختلاف وجهات النظر من صفات البشر، وحسبي أني قد
حاولت التسديد والمقاربة، وبذلت الجهد ما استطعت، بتوفيق الله (ﷻ) .

والله أسأل أن ينفعني بذلك، وينفع به المسلمين جميعاً إلى يوم الدين ،
إنه على كل شيء قدير ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين .

الفصل التمهيدي

التعريف بمفردات عنوان الرسالة

وتحتته مبحثان :

المبحث الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي

للجانب الدعوي

وفيه مطلبان :

المطلب الاول: الجانب في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: الدعوي في اللغة والاصطلاح .

المبحث الثاني: نبذة عن حياة ابن القيم

"رحمه الله" وكتابه (زاد

المعاد).

وفيه مطلبان :

المطلب الاول: نبذة عن سيرته الشخصية .

المطلب الثاني: التعريف بكتاب (زاد المعاد).

الفصل التمهيدي

التعريف بمفردات عنوان الرسالة

إنَّ دراسة المصطلحات من أوجب الواجبات للباحثين والدارسين في كل فنٍّ وعلم وهي ليست مفاتيح العلوم فحسب؛ بل هي (خلاصة البحث فيها في كل عصر ومصر ... وإذا كان لكل قوم ألفاظ ولكل صناعة ألفاظ ؛ فإنه من البديهي ألا تفهم تلك الصناعة ، ولا آثار أولئك القوم إلا بمعرفة تلك الألفاظ)^(١).

لذلك يقتضي البحث أن نتناول مصطلحي الجانب والدعوة لغةً واصطلاحاً ، وما قد يدخل عليهما من احتمالات ويحتاج إلى بيان كي نصل إلى الغاية المرجوة من البحث ، وربما توحى كلمة الجانب لأول وهلة - للقارئ الكريم - أنَّ البحث يتناول جهود ابن القيم "رحمه الله" من النواحي الدعوية بالكامل ، لذا كان لابد من بيان أننا لا يمكن أن نعطي للبحث عناصر متكاملة من دون ذكر سيرته الشخصية، فالإمام "رحمه الله" له مواقف دعوية عظيمة في حياته لا يكتمل البحث ولا يظهر رونقه وجماله دون ذكر هذه المآثر ، وربما نعدّها مفتاحاً للدخول إلى صفحات

(١) مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، للشاهد

البوشخي، دار القلم ، الطبعة الثانية ، (الكويت / ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) ، ١٣ .

البحث ، وكذلك التعرف على كتابه القيم زاد المعاد الذي هو محل دراستي، وهذا ما سأتناوله في المبحثين الآتيين :

المبحث الأول : التعريف اللغوي والاصطلاحي للجانب الدعوي .

المبحث الثاني : نبذة عن حياة ابن القيم "رحمه الله"، والتعريف بكتاب (زاد المعاد).

المبحث الأول

التعريف اللغوي والاصطلاحي

للجانب الدعوي

لابد قبل الشروع في صلب الموضوع من الوقوف على مفردات البحث وتعريفها، وبيان المعاني اللغوية والاصطلاحية للجانب الدعوي ، وهذا ما سأتناوله في المطلبين الآتيين :

المطلب الاول

الجانب في اللغة والاصطلاح

أولاً : الجانب لغةً

ومن خلال تتبعي لمادة (جَنَّب) في بعض القواميس والمعاجم اللغوية وجدتُ أنها تدور على ثلاثة معان :

١. جنب : الجنب والجانب : هو شق الإنسان وغيره : تقول : قصدت

إلى جنب فلان وإلى جانبه ، وجمعها : جنوب وجوانب وجنائب^(١) ،

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ

يَتُوسَا ^(٢) .

٢. والجَنَّبُ : الناحية والطرف^(٣) ، ويقال درس القضية من جوانبها

المختلفة ، وبحث عنه في جوانب الدار ، ومضى من الليل جانباً :

(١) ينظر: لسان العرب، للإمام محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري

الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، الطبعة الثالثة، (بيروت/١٤١٤هـ-

/١٩٨٤م)، ٦٢١/٧ ، مادة (جنب) .

(٢) سورة الإسراء ، الآية (٨٣) .

(٣) ينظر: تهذيب اللغة ، لمحمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (ت: ٣٧٠هـ)،

تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، من دون طبعة ،

(بيروت/٢٠٠١م) ، ١٧٠/٤ .

جزء كبير، وخفض له جانبه ، وفاض النهرُ على جانبيه^(١)، قال تعالى: ﴿وَتَدْبِيئُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتَهُ نَجِيًّا﴾^(٢)، أي من ناحية جبل طور^(٣).

٣. البعد : ومنه الجنابة ، وسمي جنباً لأنه يبعد كما يقرب منه غيره من الصلاة والمسجد وغير ذلك ، ومنه الجانب الذي اجتنب قريك، وقوله تعالى ﴿وَأَجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٤)، أي جنبني ذلك^(٥).

(١) ينظر: القاموس المحيط ، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، من دون طبعة ، (بيروت- لبنان / ٢٠٠٠م) ، ٤٥٠/١ .

(٢) سورة مريم ، الآية (٥٢) .

(٣) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي (ت: ١٥٠هـ) ، تحقيق: أحمد فريد ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، (بيروت- لبنان/١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) ، ٣١٥/٢ .

(٤) سورة ابراهيم ، جزء من الآية (٣٥) .

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، من دون طبعة ، (بيروت/ ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) ، ٤٨١/١ ؛ والمعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم (العين) للخليل بن أحمد ، لعبد الله درويش، مكتبة الشباب ، من دون طبعة ، (بلا/ بلا سنة نشر) ، ١٤٧/٦ .

ثانياً : الجانب في الاصطلاح

فالمعنى الاصطلاحي لا يخرج غالباً عن المعاني اللغوية او المفهوم اللغوي ، وعلى ضوء هذه الدلالات نستطيع أن نقول بأن الجانب في الاصطلاح : هو النواحي الموضوعية التي تستعمل في ربط مواضيع ومسائل تهدف لمعالجة وبيان هدف ذلك الموضوع المطروح لأجله^(١).

المطلب الثاني

الدعوي في اللغة والاصطلاح

اولاً : الدعوي لغةً

الدعوي : صفة من الدعوة ، فالرجل الذي يعمل في الدعوة يوصف بأنه داعية، والدعوة : هي مشتقة من دَعَا، يُقال: (دَعَا يَدْعُو دَعْوَةً وَدُعَاءً)^(٢)، ويقال: (دَعَا الرجل دعوا ودعاء : ناداه، والاسم الدعوة،

(١) ينظر: مجلة البحوث الإسلامية ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، (السعودية/ من رجب إلى شوال ١٤١١هـ) ، الدعوة إلى الله ، مكانتها وكيفية ثمراته، للدكتور صالح بن فوزان الفوزان ، العدد ١٥٣/٣١ .

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، لإسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة، (بيروت/ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ، ٤/ ١٤٧١ ؛ ومعجم اللغة العربية =

ودعوت فلانا، أي: صحت به واستدعيته^(١)، ودَعَاهُ (إِلَى الشَّيْءِ: حَثَّهُ عَلَى قَصْدِهِ، يُقَالُ: دَعَاهُ إِلَى الْقِتَالِ، وَدَعَاهُ إِلَى الصَّلَاةِ، وَدَعَاهُ إِلَى الدُّيْنِ وَإِلَى الْمَذْهَبِ: حَثَّهُ عَلَى اعْتِقَادِهِ وَسَاقَهُ إِلَيْهِ)^(٢)، والدعوة المرة من الدعاء، (والدعاء : الرغبة إلى الله (عَلَيْهِ)) ، يقال : دعوت الله له بخير وعليه بشر، والدعوة : المرة الواحدة من الدعاء)^(٣)، ويقال كذلك : (هو مني دعوة الرجل، أي: قدر ما بيني وبينه ذلك، ينصب على أنه ظرف ويرفع على أنه اسم ، ولبني فلان الدعوة على قومهم، أي: يبدأ بهم في الدعاء، وتداعى القوم على بني فلان إذا دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا ... والتداعي والادعاء : الاعتزاء في الحرب ؛ لأنهم يتداعون بأسمائهم)^(٤).

فالدعوة الطلب ، يقال دعا بالشيء، طلب إحضاره ، ودعا إلى الشيء: حثه على قصده ، ويقال دعاه إلى القتال ، ودعاه إلى الصلاة

=المعاصرة ، للدكتور أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤هـ) ، عالم

الكتب ، الطبعة الأولى ، (الرياض / ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م) ، ١٢١/٥ .

(١) مقاييس اللغة ، ٢١٤/٢ ؛ ولسان العرب ، ٢٥٧/١٤ ، مادة (دعا).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة ، ٧٤٨/١ .

(٣) لسان العرب ، ٢٥٨/١٤ ، مادة (دعا) .

(٤) المحكم والمحيط الأعظم ، لعلي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ) ،

تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ،

(بيروت/١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ، ٣٢٦/٢ .

ودعاه إلى الدين وإلى المذهب حثه على اعتقاده وساقه إليه^(١).
يلحظ من معاني الدعوة انها تعود كلها الى الدعاء ، وان الفعل منها يدل الى الطلب والمناداة والحث على القصد والدعاء .

ثانياً : الدعوي اصطلاحاً

والدعوي اصطلاحاً قريبٌ من المعنى اللغوي ، ويأتي ايضاً على عدة معانٍ ، فقد يطلق التعريف الدعوة ، ويراد به : تبليغ الدين ، أو الدين ذاته ، ومرادنا هنا تبليغ الدين ونشره ، ولقد وجدت تعريفات عدة للدعوة أذكر منها على النحو الآتي :

١ . الدعوة : هي قيام من له الأهلية بدعوة الناس جميعاً لاقتفاء أثر الرسول (ﷺ) والتأسي به قولاً وعملاً واعتقاداً بالوسائل والأساليب المشروعة التي تتناسب مع أحوال المدعوين في كل زمان ومكان^(٢).

(١) ينظر: المعجم الوسيط ، لإبراهيم مصطفى ، ولأحمد الزيات ، ولحامد عبدالقادر ، ولمحمد النجار ، مجمع اللغة العربية في القاهرة ، من دون طبعة ، (بلا / بلا سنة نشر) ، ٢٦٠/١ .

(٢) ينظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام : لحمود بن أحمد بن فرج الرحيلي ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، (المملكة العربية السعودية / ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م) ، ٤٠/١ .

٢. وعرفت بأنها : (تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم ، وتطبيقه في واقع الحياة)^(١).

٣. وكذلك عرفت : (هي الحث على فعل الخير واجتتاب الشر ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والتحبيب بالفضيلة ، والتنفير عن الرذيلة ، واتِّباع الحق ونبذ الباطل)^(٢).

فبعدها تقدم من تعريفات عن الدعوة ، فيمكننا القول بأن الدعوة إلى الله (ﷻ) هي: الترغيب في دين الله (ﷻ)، ونداء جميع الناس إلى الإيمان الكامل به (ﷻ) ، وحثهم على الالتزام بأوامره ، والانتهاز عن نواهيه ، وتعريفهم بمنهج الإسلام الشامل للحياة والآخرة بطرق وأساليب مشروعة تكتنفها الحكمة والموعظة الحسنة مقتدين بهدي النبي (ﷺ) وأصحابه (ﷺ) ، ومبتغين الأجر من الله وحده^(٣) .

-
- (١) المدخل إلى علم الدعوة ، لأبي الفتح البيانوني ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة، (بيروت / ١٤١٤هـ)، ١٧؛ وأساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، لحمد بن ناصر العمار، دار أشبيليا، الطبعة الثانية، (الرياض/ ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ١٢.
- (٢) التدرج في دعوة النبي ، لإبراهيم بن عبد الله المطلق ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، الطبعة الأولى ، (السعودية/ ١٤١٧هـ) ، ١٩ .
- (٣) ينظر: الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده ، لعبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع ، دار التدمرية ، الطبعة الثالثة ، (بلا/ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م) ، ٢١ .

وبعدما تقدم من التعريفات اللغوية والاصطلاحية حول لفظ الجانب الدعوي كل على حدى ، فيمكن القول بأن الجانب الدعوي : هو تناول الموضوع من المنحى الدعوي واستخلاص الفوائد الدعوية لكل من الداعي والمدعو ، وكذلك الوسائل والأساليب الدعوية ، من أجل افادة الدعاة بشكل خاص والناس بشكل عام ، وهذا ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات التي تهتم بالجانب التاريخي أو الفقهي أو التفسيري .

المبحث الثاني

نبذة عن حياة ابن القيم "رحمه الله"

وكتابه (زاد المعاد)

هناك عدة دراسات تناولت شخصية ابن القيم "رحمه الله" ، وليس غرضنا هنا عرض سيرة هذا الامام والعالم الجليل ، ولكن سنعطي خطوطاً عريضة عنه وعن كتابه القيم (زاد المعاد) ، ليتسنى لنا الدخول إلى أصل البحث ، وتتلخص هذه النبذة من المطلبين الآتين :

المطلب الاول

نبذة عن سيرته الشخصية

وقد تناولت سيرة ابن القيم "رحمه الله" الشخصية من خلال أربعة نقاط، وهي على النحو الآتي :

أولاً : اسمه وولادته وشهرته .

ثانياً : شيوخه وتلاميذه .

ثالثاً : أهم أعماله ونشاطاته الدعوية .

رابعاً : وفاته .

أولاً : اسمه وولادته وشهرته

١_ اسمه :

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز، الزُّرعي الأصل ، ثم الدمشقي، الحنبلي^(١)، وأما الزُّرعيُّ ، فنسبة إلى قرية من حوران،

(١) ينظر: الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ) ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط - وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، من دون طبعة ، (بيروت/١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ، ١٩٥/٢ ؛ والرد الوافر ، لمحمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين ، الشهير بابن ناصر الدين (ت: ٨٤٢هـ) ، تحقيق : زهير الشتاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ، (بيروت/١٣٩٣هـ) ، ٨٤ .

كانت تسمى زماناً بزرا او زرة ، ثم سميت بزراع من حوران^(١)، والتي تدعى اليوم عند العوام بز (إزرع)^(٢)، فصار المنسوب إليها يقال له الزُّرعيُّ، واتفق كل من ذكر كنيته من مترجميه على أنه أبو عبدالله، وذلك تكنية له باسم ولده عبدالله ، وهو أصغر ولديه^(٣)، واتفقت مصادر ترجمته على تلقيبه بز (شمس الدين)^(٤).

(١) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، دار الكتاب الاسلامي، الطبعة الاولى، (القاهرة / ١٩٨٤م)، ٢٠٤/٥؛ ورجال الفكر والدعوة في الاسلام، لعلي أبو الحسن ابن عبدالحى بن فخر الدين الندوي (ت: ١٤٢٠هـ)، دار القلم، الطبعة الاولى، (الكويت / ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م)، ٣١٦/٢.

(٢) إزرع: هي قرية تقع في محافظة درعا، هي مركز منطقة إزرع، ومركز الناحية، تبعد عن درعا ٣٢ كم، وعن دمشق ٩٦ كم، كانت قديماً تسمى (زرافة) ثم (زرع) يبلغ عدد سكانها : (٣٢٢٦) نسمة ، ولكن المؤكد عندنا : أنها في أيام ابن القيم " رحمه الله " وإلى آخر حياته لم تكن تعرف إلا بز (زرع) ؛ ينظر: معجم البلدان ، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، مطبعة دار صادر، الطبعة الثانية ، (بيروت/ ١٩٩٥م)، ١٥١/٣.

(٣) ينظر: البداية والنهاية، لابي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، الدار احياء التراث العربي، الطبعة الاولى، (بلا / ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ، ١٦١/١٣ .

(٤) ينظر: ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارد ، للعلامة بكر بن عبد الله أبو زيد (ت: ١٤٢٩هـ) ، دار العاصمة ، الطبعة الثانية ، (الرياض / ١٤٢٣هـ)، ٢٣ .

٢_ ولادته:

ولد ابن القيم "رحمه الله" في اليوم السابع من شهر صفر لعام (٦٩١ هـ - ١٢٩٢م) في قرية زرع^(١)، والتي تقع اليوم في جنوب دمشق ، وهي ضمن محافظة درعا ، أما عن مكان ولادته ، فلم ينص أحد ممن ترجم له على ذلك، وقد تقدم أنه منسوب إلى زرع أولاً، ثم دمشق ثانياً ، وان كلا الأمرين محتمل ، إذاً فمكان ولادته لا يخرج عن أحدهما^(٢).

٣_ شهرته:

شهرته "رحمه الله" بابن قَيِّم الجوزية فقد أجمعت على هذه الشهرة كل المصادر التي ترجمت له ، وبها عُرِفَ بين أهل العلم قديماً وحديثاً، وأما عن سبب هذه الشهرة وأصلها: فلأن والده كان قَيِّماً على المدرسة (الجوزية)^(٣)، ومع أن وظيفة القِوامة في المدرسة الجوزية لم تكن حكراً على أبي بكر - والد ابن القَيِّم - وحده ، بل لا بد أن يكون قد تولاها غيره - إما قبله أو بعده - إلا أن الواضح : أن والد ابن القَيِّم كان أشهر من

(١) ابن القيم من اثاره العلمية ، لأحمد ماهر محمود البقري ، دار النهضة العربية ، من دون طبعة ، (بيروت/١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ٥ .

(٢) ينظر: البداية والنهاية ، ١٦١/١٣ ؛ ورجال الفكر والدعوة في الاسلام ، ٣١٦/٢ .

(٣) الجوزية : هي المدرسة التي أنشأها محي الدين أبو المحاسن يوسف بن عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي ، وتقع هذه المدرسة بالبزورية المسمى قديماً سوق القمح ، وقد اختلس جيرانها معظمها وبقي منها الآن بقية ثم صارت محكمة إلى سنة ١٣٧٢هـ ؛ ينظر: معجم البلدان ، ١٦٣/٣ .

تولى هذا المنصب ، فصار هو المراد عندما يقال: قيم الجوزية، وغلبت -
بالتالي - هذه الشهرة على ابنه ، حتى صار لا يُعرف إلا بها، وقد يكون
الأب اكتسب هذه الشهرة بسبب شهرة ابنه شمس الدين ، الذي ذاع صيته
آنذاك^(١).

والمشهور الآن بين أهل العلم وطلابه ، وأكثر الناس قولهم : ابن القِيم
بحذف المضاف إليه اختصاراً وجعل ال عوضاً عنه ، وهذا الاختصار لا
مانع منه ؛ فقد صار هو المقصود عند الإطلاق لشهرته^(٢) .

ثانياً : شيوخه وتلاميذه

١_ شيوخه:

إنّ من أهم العوامل التي تسهم بشكل كبير في التكوين العلمي
للشخص هو شيوخه الذين تلقى عنهم ، واستفاد علومه منهم ، وقد أخذ
العلم عن جملة كبيرة من أهل العلم والفضل ، وسأذكر أهمهم وأبرزهم :
أ- والده : أبو بكر بن أيوب ، قِيم الجوزية ، وقد تقدم أنه كان له في
الفرائض اليد الطولى^(٣)، ولذلك فقد أخذها

(١) ينظر: ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارد ، ٢٤.

(٢) رجال الفكر والدعوة في الاسلام ، ٣١٧/٢ ؛ وابن القيم من آثاره العلمية ، ٦ .

(٣) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن

محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق : محمد عبد المعيد

ضان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الثانية ، (إباد-

الهند/١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) ، ١٢٥/٢ .

عنه ابن القيم "رحمه الله" (١).

ب- شيخ الإسلام ابن تيمية : هو تقي الدين ، أبو العباس ، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبد الله بن محمد بن الخضر بن تيمية ، الحرّاني، ثم الدمشقي، الإمام، العالم، والفقيه، الحافظ، المفتي، شيخ الإسلام الذي أثنى عليه الموافق والمخالف ، ولد سنة ٦٦١هـ ، وشهرة الشيخ تغني عن الكلام عنه ، وقد توفي سنة ٧٢٨هـ محبوساً بقلعة دمشق (٢).

ت- القاضي بدر الدين ابن جماعة : هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة ابن حازم بن صخر بن عبد الله الكناني، الحموي الأصل ، أبو عبد الله ، ولد في ربيع الآخر سنة ٦٣٩هـ بحماة ، وتوفي سنة ٧٣٣هـ بمصر (٣).

ث- المزي: هو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، القُضاعي، ثم الكلبي، الدمشقي، الشافعي ، أبو الحجاج ، جمال الدين، الإمام ،

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ١٢٥/٢ ؛ رجال الفكر والدعوة في الاسلام ، ٣١٧/٢ .

(٢) ينظر: الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية ، لمرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (ت: ١٠٣٣هـ)، تحقيق : نجم عبدالرحمن خلف دار الفرقان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (بيروت/١٤٠٤هـ) ، ٣٤ .

(٣) ينظر: الوافي بالوفيات، لصلاح الدين بن أبيك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، من دون طبعة ، (بيروت/١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ، ٢٥٩/٤ .

العلامة، الحافظ، محدث الشام، ولد بطلب سنة ٦٥٤هـ،

وتوفي في صفر سنة ٧٤٢هـ^(١).

وله شيوخ كثير لا يسع المقام لذكرهم.

٢- تلاميذه :

إنَّ أهمَّ الثَّمَار التي تُجَنَى من جهد أولئك العلماء الجهابذة ؛ تخريج التلاميذ والطلاب الذين يحملون راية الخير والهداية لمن بعدهم ، امتداداً لجهود شيوخهم ونشاطهم، وحلقةً في سلسلة متصلة متماسكة لا تتقطع^(٢)، وسأذكر أهمهم وأبرزهم :

١- السُّبكي : هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن

موسى بن تمام ، الأنصاري ، الخزرجي ، تقي الدين ، أبو

الحسن، ولد سنة ٦٨٣هـ ، وتوفي سنة ٧٥٦هـ^(٣).

(١) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لعبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت : ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرنؤوط ، وخرج أحاديثه : عبد القادر الأرنؤوط ، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ، (دمشق-بيروت/١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ٤٥٦/٧ .

(٢) ينظر: داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب ، لعبد العزيز شلبي سيد الأهل (ت: ١٤٠٢هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة، (بيروت- لبنان/١٩٨٦م)، ٦٩ .

(٣) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة ، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن ، السلامي، البغدادي ، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ) ، تحقيق : د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ، (الرياض/١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م) ، ٢٢٥/٢ .

ب- الصَّفَدِي: هو خليل بن أَيْبَك بن عبد الله ، الصَّفَدِي ، صلاح الدين، العلامة، الأديب، البارع ، ولد سنة ٦٩٦هـ ، وتوفي في شوال سنة ٧٦٤هـ^(١).

ج- الحافظ ابن كثير: هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضَوْء بن كثير، القرشي، البُصْرَوِيّ، الدمشقي، عماد الدين، أبو الفداء، الإمام، المَحَدَّث، المُفَسِّر، الحافظ، البارع ولد سنة ٧٠١هـ، وتوفي في شعبان سنة ٧٧٤هـ^(٢)، وقال الحافظ ابن كثير "رحمه الله" في ترجمته لابن القيم "رحمه الله": (وكنيت من أصحاب الناس له، وأحبّ الناس إليه)^(٣).

د- ابن رجب الحنبلي: عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن عبدالرحمن، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، زين الدين، أبو الفرج، ولد سنة ٧٣٦هـ في بغداد، وتوفي سنة ٧٩٥هـ^(٤).

وله تلاميذ كثير ملؤوا الدنيا علماً ومعرفة لا يسع المقام لذكرهم .

(١) ينظر: الوافي بالوفيات، ٨٩/٢؛ ومن أعلام المجددين، لصالح بن فوزان بن

عبد الله الفوزان، دار المؤيد، الطبعة الأولى، (بلا/ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م)، ١٧.

(٢) ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ١٢٧/٢.

(٣) البداية والنهاية، ١٦٣/١٣.

(٤) ينظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٤٥٨/٧.

ثالثاً : أهم أعماله ونشاطاته الدعوية

يمكننا حصر الأعمال التي مارسها ابن القيم "رحمه الله" ، ونشاطاته الدعوية التي كان يشغلها في : التدريس والإمامة والخطابة والإفتاء والتأليف ، وسأذكرها على النحو الآتي :

١- التدريس والتعليم :

إن انتشار المدارس في دمشق في عصر ابن القيم "رحمه الله" وكثرتها، كان من أبرز مظاهر ازدهار الحركة العلمية آنذاك، وأنه كان يتقلد وظيفة التدريس بهذه المدارس أكابر العلماء، فكانت المدارس بمثابة الجامعات العلمية في وقتنا الحاضر، بل إن نظام الدراسة في كثير من جامعاتنا اليوم يشبه إلى حد كبير نظام الدراسة قديماً ، ومن المدارس التي عرفتها دمشق على عهد ابن قيم الجوزية "رحمه الله" هي :

أ- المدرسة الظاهرية : بناها الملك الظاهر بيبرس عام (٦٧٠هـ)^(١).

ب- المدرسة الجوزية : بناها محيي الدين بن الشيخ جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، وكان والد ابن

(١) الملك الظاهر : هو بيبرس بن عبد الله ، السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح الصالحي ، وولد الملك السلطان الظاهر بأرض القبحاق سنة خمس وعشرين وستمائة تقريباً ؛ ينظر: فوات الوفيات ، لمحمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون بن شاکر الملقب بصلاح الدين (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، الطبعة الأولى، (بيروت/١٩٧٣م)،

القيم "رحمه الله" قيماً عليها ، ويتولى إمامة الصلاة فيها^(١).

ج- المدرسة الصدرية : أنشأها صدر الدين بن منجا^(٢).

ولمَّا كان ابن القيم "رحمه الله" واحداً من جهابذة علماء ذلك العصر وأئمة المُقدِّمين ؛ فإنه قد شارك بجهده وعلمه في هذا الجانب المهم ، ألا وهو التدريس .

أما عن الأماكن التي درّس بها، فقد أجمعت المصادر التي ذكرت ممارسته للتدريس على ذكر تدريسه بالمدرسة الصدرية ، ويُحدِّد الحافظ ابن كثير "رحمه الله" تاريخ تَوَلَّيه التدريس بهذه المدرسة ، فيقول (وفي يوم الخميس سادس صفر - يعني سنة ٧٤٣هـ - درّس بالصدريّة صاحبنا الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرعيّ)^(٣).

(١) ينظر: الرد الوافر ، ١٠٤ ؛ والدارس في تاريخ المدارس ، لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت: ٩٢٧هـ) ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، (بيروت/١٤١٠هـ/١٩٩٠م) ، ٢٣/٢ .

(٢) صدر الدين بن منجا : هو أسعد بن المنجا بن بركات بن مؤمل التنوخي المصري ثم الدمشقي الحنبلي أحد المعدلين ذوي الأموال والمروآت والصدقات الدارة البارّة وقف مدرسة للحنابلة قبره بها؛ ينظر: الوافي بالوفيات ، ٢١٤/٧ ؛ والأعلام ، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي ابن فارس ، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ) ، دار العلم للملايين ، الطبعة الخامسة عشر ، (بلا/٢٠٠٢م) ، ٢٣٦/٨ .

(٣) البداية والنهاية ، ٢٣٥/١٤ .

٢- الإمامة :

إنّ وظيفة الإمامة لا يصلح لها كل أحد، بل لا بد أن يكون المتصدي لها عارفاً بالقراءة وأحكامها ، مع أمور أخرى - في دينه وخُلقه - لا بد من توافرها ، ولقد كان ابن القيم "رحمه الله" كما وصفه بذلك ابن كثير "رحمه الله" (حَسَنَ القِراءَة)^(١)، مع ما كان عليه من القراءة بالتدبر والتفكير، والعلم بمعاني ما يقرأ، والخشوع والخضوع والتذلل والإنابة لله (ﷻ) على النحو الذي مضى وصفه ، كل ذلك يجعله "رحمه الله" مؤهلاً غاية التأهل لشغل منصب الإمامة ؛ بل إن ذلك يجعله من أحق الناس بها^(٢).

وكان ابن القيم "رحمه الله" ملتزماً إمامة المدرسة الجوزية - التي كان أبوه قِيَمَها - كما ذكر ذلك عنه جماعة ، وكما قال عنه الذهبي "رحمه الله" في ترجمته : (... أبو عبد الله ، الدمشقي ، إمام الجوزية)^(٣)، ويقول ابن كثير "رحمه الله" ايضاً : (... إمام الجوزية ، وأبى قِيَمَها)^(٤)، ولا تُعَرَفُ مُدَّةُ إمامته بالجوزية ، إلا أن ابن رجب "رحمه الله" يقول : (وقد أمَّ بالجوزية مدة طويلة)^(٥).

(١) البداية والنهاية ، ٢٣٥/١٤ .

(٢) ينظر: ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارد ، ٣٢ .

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ، لمحمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو

عبد الله شمس الدين (ت: ٧٤٨هـ) ، دار الحديث، من دون طبعة، (القاهرة /

١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م) ، ٢٢٠/١٢ .

(٤) البداية والنهاية ، ٢٧٠/١٤ .

(٥) ذيل طبقات الحنابلة ، ٢٣٢/٢ .

٣ - الخُطابة :

وإلى جانب التدريس والإمامة ، فقد كان "رحمه الله" مشتغلاً بالخطابة، فقد ذكر الحافظ ابن كثير "رحمه الله" في أحداث سنة ٧٣٦هـ أنه : (في سَلْخِ رَجَبِ أُقِيمَتِ الْجُمُعَةُ بِالْجَامِعِ الَّذِي أُنشِأَهُ نَجْمُ الدِّينِ بْنِ خَلِيحَانَ^(١)، تَجَاهَ بَابِ كَيْسَانَ مِنَ الْقِبْلَةِ، وَخَطَبَ فِيهِ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ شَمْسُ الدِّينِ ابْنُ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةِ^(٢)، وَنَقَلَ أَيضاً: (... أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ خَطَبَ بِهِ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيْمِ^(٣)، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ٧٣٦هـ تَارِيخَ إِقَامَةِ الْجُمُعَةِ فِي هَذَا الْجَامِعِ ، وَأَمَّا عَنِ الْجَامِعِ ، فَقَدْ أُدْخِلَ الْيَوْمَ فِي بَسْتَانَ لَهُ ، يُقَالُ لَهُ بَسْتَانَ الْأَمِيرِ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ آثَارِهِ الْيَوْمَ إِلَّا بَعْضُ مَنَارَتِهِ ، وَقَبْرٌ إِلَى جَانِبِهَا^(٤)).

(١) نجم الدين بن خليخان : وهو من قام ببناء الجامع الذي عرف بجامع (الخليخاني) ، نسبة إلى بانيه ، وباب كيسان ينسب إلى كيسان بن معاوية ، وهو الآن مسدود ولم يزل مسدوداً إلى عهدنا هذا ؛ ينظر: منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، لعبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران (ت: ١٣٤٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، (بيروت/ ١٩٨٥م) ، ٣٧٥ .

(٢) البداية والنهاية ، ٢٧٨/١٤ .

(٣) الدارس في تاريخ المدارس ، ٧٠/٢ .

(٤) ينظر: منادمة الأطلال ، ٣٧٦ .

٤ - الإفتاء:

إنّ ما كان عليه ابن القيم "رحمه الله" من رغبة قوية في نشر العلم وتبليغه ، والصّدّع بالحق وبيانه ، والأخذ بيد الجاهل ليعلم أحكام دينه ؛ فإن التصدي للفتوى سيكون متأكّداً فيه أكثر من غيره (١).

ولقد وصف ابن القيم "رحمه الله" بأنه كان مشتغلاً بالفتوى ، فقال الذهبي "رحمه الله" بوصفه له : (الإمام ، المفتي ، المُتَفَنِّن) (٢) ، وقال ابن رجب "رحمه الله" : (تفقه في المذهب ، وبرع ، وأفتى) (٣).

ولقد كان "رحمه الله" فيما يُفتى به : صادعاً بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم، وقد جرى له من محنٍ وحبسٍ بسبب افتائه "رحمه الله" (٤) .

٥ - التأليف :

أما التأليف : فقد كان له فيه اليد الطولى ، والصيت الذائع، والحلاوة الفائقة، والعبارة الرائقة ، والفوائد الجَمّة، والقبول التام ، فمن الأعمال الجليلة التي اشتغل بها الإمام "رحمه الله" التأليف العلمي في المجالات المختلفة ، والمتتبع لتلك المؤلفات يدرك العناية الفائقة التي بذلها "رحمه الله" في التأليف بأسلوب علمي ، وجزالة في اللفظ وحسن انتقاء للعبارة مما

(١) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة ، ٢٣٣/٢ .

(٢) سير أعلام النبلاء ، ٢٣٣/١٢ .

(٣) ذيل طبقات الحنابلة ، ٢٣١/٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ٢٠٢/٢ .

يجعل القارئ لا يكاد يمل من قراءة هذه الكتب الفائقة، قال النعيمي^(١) "رحمه الله" : (وأوقف كتبًا حسناً في علوم شتى)^(٢)، وقال الذهبي "رحمه الله" (ومصنفاته سائرة مشهورة)^(٣).

وقد صنف ابن قيم الجوزية "رحمه الله" تصانيف كثيرة جداً في أنواع العلوم ، وكان شديد المحبة للعلم ، وقال ابن كثير "رحمه الله" : (... وله من التصانيف الكبار والصغار شيء كثير، وكتب بخطه الحسن شيئاً كثيراً ، واقتنى من الكتب ما لا يتهاى لغيره)^(٤)، وقد بلغت مؤلفاته نحو سبعة وتسعون مصنف وأكثر^(٥)، فمنها المطبوعة ومنها المخطوطة ومنها ما لم يصلنا ، وسأكتفي بذكر أهم وأشهر مؤلفات ابن قيم الجوزية "رحمه الله" ، وهي على النحو الآتي :

١. زَادَ الْمَعَادِ فِي هَدْيِ خَيْرِ الْعِبَادِ : وهو كتاب مطبوع أكثر من طبعة ويقع في خمسة مجلدات .

(١) النعيمي: هو عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، ولد في دمشق سنة ٨٤٥هـ، وكان شديد الحب بمسقط رأسه الذي تولى فيه وإفترقة منصب القضاء، وهو من أشهر من كتب في فضائل دمشق ولكنه ليس بأخبرهم ، وتوفي النعيمي في سنة ٩٧٨ هـ ؛ ينظر: الأعلام ، ٨٥/١ .

(٢) الدارس في تاريخ المدارس ، ٧٤/٢ .

(٣) سير أعلام النبلاء ، ٢٣٥/١٢ .

(٤) البداية والنهاية ، ٢٨٢/١٤ .

(٥) ينظر: ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارد، ٣٨؛ وابن القيم من آثاره العلمية،

٢. أحكام أهل الذمة : وهو كتاب مطبوع اكثر من طبعة ويقع في مجلد .
٣. أعلام الموقَّعين عن رب العالمين: وهو كتاب مطبوع اكثر من طبعة ويقع في اربعة مجلدات .
٤. إغاثة اللهفان في طلاق الغضبان: وهو كتاب مطبوع اكثر من طبعة في مجلد .
٥. تحفة المؤود بأحكام المولود: وهو كتاب مطبوع اكثر من طبعة ويقع في مجلد .
٦. الرسالة النبوية (زاد المهاجر إلى ربه) : وهو كتاب مطبوع اكثر من طبعة ويقع في مجلد .
٧. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية: وهو كتاب مطبوع اكثر من طبعة ويقع في مجلد .
٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : وهو كتاب مطبوع أكثر من طبعة ويقع في مجلدين .
٩. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: وهو كتاب مطبوع اكثر من طبعة ويقع في مجلد .
١٠. طريق الهجرتين وباب السعادتين : وهو كتاب مطبوع اكثر من طبعة ويقع في مجلد .

١١. إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان: وهو كتاب مطبوع اكثر من طبعة ويقع في مجلد (١) .

١٢. الصّواعق المُرسلّة على الجَهَمِيَّة والمُعَطَّلَة: وهو كتاب مطبوع اكثر من طبعة ويقع في اربعة مجلدات ، ويوجد ايضاً كتاب مختصر الصّواعق المُرسلّة لابن القيم ايضاً ويقع في مجلد .

١٣. الطَّرْقُ الحُكْمِيَّة في السِّيَاسَة الشَّرْعِيَّة: وهو كتاب مطبوع اكثر من طبعة ويقع في مجلد.

١٤. الفروسية : وهو كتاب مطبوع اكثر من طبعة ويقع في مجلد ... وغيرها كثير في شتى العلوم والفنون (٢).

رابعاً: وفاته

بعد هذه الحياة الحافلة بالجهاد المتصل لنشر منهج السلف ، ومحاربة كثير من الانحرافات التي ابتدعها الخلف، وما لقيه من محن في سبيل ذلك، وبعد أن كَمَلَ له من العمر ستون سنة، توفي هذا الإمام العالم

(١) ذكرت هذه المؤلفات لابن القيم "رحمه الله" في مظان كتب اخرى؛ ينظر: شذرات الذهب، ١٠٠/٦ ؛ والدارس في تاريخ المدارس، ٧٤/٢ ؛ وذيل طبقات الحنابلة، ٢٣٧/٢ .

(٢) ذكرت هذه المؤلفات لابن القيم "رحمه الله" في مضان كتب اخرى ؛ ينظر: شذرات اللفهان ، لابن قيم الجوزية : تحقيق محمد عفيفي ، مطبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، (بيروت/١٤٠٦هـ) ، ٥٦ .

العلامة ، وذلك في ليلة الخميس ، ثالث عشر من شهر رجب ، من سنة (٧٥١هـ) وقت أذان العشاء^(١).

وقد صَلَّيَ عليه "رحمه الله" من الغد عقب صلاة الظهر بالجامع الأموي ، ثم بجامع جَرَّاح^(٢).

ولأن ابن القيم "رحمه الله" كان قائماً لله بالحق ، صادقاً في النصح للخلق فقد : (كانت جنازته حافلة رحمه الله ، شهدها القضاة والأعيان والصالحون، من الخاصة والعامة ، وتزاحم الناس على حمل نعشه)^(٣)، وقد دفن "رحمه الله" بمقبرة الباب الصغير من دمشق عند والديه^(٤).

وقد رُوِيَ له بعد موته منامات كثيرة حسنة (وكان هو "رحمه الله" قد رأى قبل موته بمدة الشيخ تقي الدين - ابن تيمية- "رحمه الله" في النوم، وسأله عن منزلته ؟ فأشار إلى علوها فوق بعض الأكابر، ثم قال له: وأنت كدت تلحق بنا، ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة "رحمه الله")^(٥). فَرَحِمَ الله ابن القيم رحمة واسعة ، وجزاه عن الإسلام وأهله خيراً ، وأسكنه فسيح جناته ، آمين .

(١) ينظر: ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارد ، ٤٠٦ .

(٢) ينظر: البداية والنهاية ، ١٠٦/١٤ ؛ والدارس في تاريخ المدارس ، ٧٠/٢ ؛

وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٢٩٨/٨ .

(٣) ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارد ، ٤٠٧ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٤٠٧ .

(٥) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٢٩١/٨ .

المطلب الثاني

التعريف بكتاب

(زاد المعاد في هدي خير العباد)

وهو ذاك الكتاب الجليل ، الذي ذاع صيته ، وطار ذكره في الآفاق ، وانتفع به القاصي والداني ، مع الثناء عليه والاعتراف بجلالته من الموافق والمخالف على السواء ، قال الحافظ ابن رجب "رحمه الله" : (وهو كتاب عظيم جداً)^(١) ، وهو موسوعة شاملة متخصصة في السيرة النبوية ووقائعها ، والدعوة ، والأصلاح ، والأخلاق ، ويتضمن علوماً أخرى كالفقه وغيره أيضاً ، ثم إن هذا التعدد في الموضوعات والفنون عنده "رحمه الله" ربما كان سمةً مُميّزةً لهذا الكتاب ، إذ بلغت مصادره (ثمانين ومائة مصدرٍ تقريباً)^(٢) ، ويشير "رحمه الله" نفسه إلى أهمية الكتاب فيقول في أوله : (وهذه كلمات يسيرة لا يستغني عن معرفتها من له أدنى همة إلى معرفة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيرته وهديه ، اقتضاها خاطر المكود على عجره وبجره ، مع البضاعة المزجاة التي لا تنفتح لها أبواب السدد ، ولا يتنافس فيها المتنافسون مع تعليقها في حال السفر لا الإقامة ، والقلب بكل واد منه شعبة ، والهمة قد تفرقت شذر مذر ، والكتاب مفقود ،

(١) ذيل طبقات الحنابلة ، ٤٥٦/٢ .

(٢) ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده ، ١٣٢ .

ومن يفتح باب العلم لمذاكرته معدوم غير موجود، فعود العلم النافع الكفيل بالسعادة قد أصبح زاوياً، وربعه قد أوحش من أهله وعاد منهم خالياً، فلسان العالم قد ملئ بالغلول مضاربة لغلبة الجاهلين، وعادت موارد شفائه وهي معاطبه لكثرة المنحرفين والمحرفين، فليس له معول إلا على الصبر الجميل، وما له ناصر ولا معين إلا الله وحده وهو حسبنا ونعم الوكيل^(١)، وهذا دليل صريح من عبارة المؤلف على أنه كتاب سيرة نبوية في الأساس وغيرها ذكرت ضمناً^(٢).

وقد يسميه بعضهم : (الهدى)^(٣) اختصاراً، وسماه الحافظ ابن حجر "رحمه الله" (الهدى النبوي)^(٤)، وهو كثير النقل عنه في شرح البخاري، وسماه بذلك السخاوي أيضاً^(٥).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابو عبدالله شمس الدين بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية ، الطبعة السابعة والعشرون ، (بيروت-الكويت/ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ، ٧٠/١ ، وهذه هي الطبعة المعتمدة في هذا البحث .

(٢) ينظر: ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارد ، ١٣٢ .

(٣) البداية والنهاية ، ٤٤٥/١٤ .

(٤) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ١٥٠/٢ .

(٥) ينظر: جمال القراء وكمال الإقراء ، لعلي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي ، أبو الحسن علم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ) ، تحقيق: الدكتور مروان العطيّة - والدكتور محسن خرابة ، دار المأمون للتراث ، الطبعة الأولى ، (دمشق-بيروت/ ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) ، ٧٥ .

إنّ كتاب زاد المعاد نفيس قلّ نظيره ؛ بل هو فريد في ميدانه ، جمع فيه المصنف ما يتعلق بالنبي (ﷺ) من قول ، أو فعل، أو تقرير؛ فالكتاب موضوعه حياة النبي (ﷺ) بكل ما تحويه هذه اللفظة من معنى ، لكن المصنف استخرج من هذه السيرة العطرة فقهاً تارة ، وحلالاً وحراماً تارة ، وآداباً تارة ، وتوحيداً تارة ، ودعوة وتوجيهات وتعليمات تارة أخرى ، وذكر فيه سيرة الرسول في غزواته وحياته وبين هديه في معيشته وعباداته ومعاملته لأصحابه وأعدائه^(١) .

وقد امتاز الكتاب بحسن الترتيب وجودة التأليف وتفوقه في هذا المجال على شيخه ابن تيمية "رحمه الله" أيضاً ، وهي بجانب ذلك يتميز برقة الأسلوب وسلاسة العبارة وتأثيرها ؛ ولعل ذلك جاء من قبل نفسه التي تحلت بالجمال أكثر منها بالجلال ، فإنه أكثر جمعاً لخصائص مؤلفاته ويحتوي في الوقت نفسه على مواضيع مختلفة من السيرة والسنة والفقهِ وعلم الكلام والتزكية والإحسان ، ويبدو انه أراد أن يؤلف كتاباً ينوب عن المكتبة الدينية إلى حد كبير ، ويقوم مقام مرب ومرشد ، وفقه ومحدث، ولقد شغف بهذا الكتاب وأولع به من كانوا يتذوقون الحديث ويحرصون على إتباع السنة والآداب النبوية ، وكانوا يهتمون بها ، وقد اشتهر ان ابن القيم "رحمه الله" الفه في حال سفر ، واذا صح هذا ، فلا بد من الاعتراف

(١) ينظر: رجال الفكر والدعوة (الجزء الثاني) ، خاص بحياة شيخ الاسلام الحافظ احمد بن تيمية الحراني الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ) ، لابي حسن علي الحسن الندوي، دار القلم ، الطبعة الاولى ، (الكويت/١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ، ٣١٦ .

بأن مؤلفه كان متبحراً في العلوم الإسلامية كلها ولاسيما في الفقه والسنة ، وأن مكتبة العلوم الدينية كانت تموج في صدره ، وكان خير خلف لخير سلف من المحدثين المتقدمين في قوة الذاكرة واستحضار العلوم وخلفية صدق لأستاذه العظيم^(١).

لقد شرح الحافظ أبو القيم "رحمه الله" في أول هذا الكتاب موضوع البعثة المحمدية ومراتب الوحي ، انه استوعب في بيان مراتب الوحي وأنواع الوحي ما لا يوجد له نظير في كتب السيرة العامة ، ثم ذكر تلك المدارج التي مرت بها الدعوة الإسلامية ، كما تناول الأسماء المباركة ومعانيها ودقائقها ببحث لطيف ، ولم يترك في هذا البحث مسائل ونكتاً من النحو والفقه وما يتعلق بالذوق والوجدان إلا وقد ذكرها كلها كعادته وعادة شيخه "رحمه الله"^(٢) في ذلك ، وبهذه المناسبة جمع كل ما يتصل بالسيرة وشخصية النبي (ﷺ) من التفاصيل ، حتى تكونت ذخيرة قيمة للأخلاق والشمائل والعبادات النبوية^(٣).

ثم أنه تناول عبادات النبي (ﷺ) وهيئة صلواته وسننها وعباداته بتفصيل دقيق يعد عصارة دراسته للحديث والعلوم الدينية ، وهو يتجلى في ذلك بلون المحدث وأسلوب المحقق ، وقد تضمن هذا البحث كلاماً دقيقاً لأصول الحديث والفقه ، ومعلومات مهمة لفن الرجال ، أن أبواب الكتاب

(١) ينظر: رجال الفكر والدعوة (الجزء الثاني) ، ٣١٦ .

(٢) هو شيخ الاسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) .

(٣) ينظر: رجال الفكر والدعوة (الجزء الثاني) ، ٣١٧ .

التي تشمل بيان العبادات والأركان الأربعة ليست مجرد كتاب للأحكام والخلافيات الفقهية بل أنها تضمن نكتاً علمية لطيفة ومعاني غزيرة للذوق والوجدان تبعث الإيمان من جديد ، وقد ذكر في بيان الزكاة والصدقة... (كان صلى الله عليه وسلم اشرح الخلق صدرًا وأطيبهم نفساً وأنعمهم قلباً فإن للصدقة وفعل المعروف تأثيراً عجبياً في شرح الصدور وإنصاف ذلك إلى ما خصه الله به من شرح صدره للنبوة والرسالة وخصائصها وتوابعها وشرح صدره حساً وإخراج حظ الشيطان منه)^(١).

واهتم المؤلف ببيان حكمة العبادات والأركان والأحكام وأسرارها وفوائدها قبل أن يتحدث عنها وقد تصدى بعرض تاريخي للتشريع وحكمته في هذه العبادات والأركان وفوائدها ، بأسلوب شيق جذاب^(٢).

أما الجزء المهم لهذا الكتاب الذي يشهد على علو كعب المؤلف وسعة اطلاعه واستحضاره للعلم فهو باب الحج ، فلم أطلع على مثل هذه الذخيرة العلمية والتحقيق الجامع والبحث الدقيق عن الحج ومناسكه ، وحجة النبي (ﷺ) وأحكامها ، وقد توسع فيه ما يقارب ١٦٩ صفحة ، تناول المؤلف بيان حجة النبي (ﷺ) بغاية من التفصيل من خروجه من المدينة إلى عودته إليها ، وهو ملخص لذخائر مختلفة للحديث ومجموعة للروايات الصحيحة والجزئيات الكثيرة ، وأنه في ضمن هذا البحث يلقي ضوءاً على كثير من مباحث الحج الخلاقية والمسائل المختلف فيها ،

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٢/٢ .

(٢) ينظر: رجال الفكر والدعوة (الجزء الثاني) ، ٣١٨ .

ذكر حكمها في ضوء الحديث باجتهاده ، وبرأيه ، ويبدو انه لا يتقيد في ذلك بمذهب معين ، فمع أنه حنبلي يثبت بالدلائل أن النبي (ﷺ) لم يكن مفرداً بل قارناً ، ثم أنه يضع الأصعب في مواضع الخطأ والخلافات التي ترجع إلى المتقدمين والمتأخرين في بيان كيفية حج القرآن للنبي (ﷺ) ، ويشير إلى عذرهم فيها، كما أوضح الأوهام التي عرضت لكبار العلماء والمحققين في حجة النبي (ﷺ) قديماً وجديداً ، وذكر القول الراجح في تفاصيل حجة النبي (ﷺ) التي صححها المؤلف ، وبذلك نستطيع ان نقدر مدى رسوخه وتبحره في العلم ، والحقيقة أن مجرد باب الحج في هذا الكتاب يكفي لمعرفة قيمة الكتاب وإمامة مؤلفه وجلالة قدره ، وقد جاء المؤلف في ثنايا الكتاب بمباحث كلامية وعقائدية تشهد بعلو مكانته وسعة نظره وتحقيقه ، وحاول التعبير الصحيح عن روح الشريعة ، متبعاً في ذلك ذوقه وذوق شيخه ، ومما يجدر بالدراسة والاستفادة في هذا الموضوع هو ما بحث فيه عن حقيقة التوكل والتوسل بالأسباب في تحقيق دقيق^(١).

وقبل أن يبدأ الكلام عن الغزوات بحث عن حقيقة الجهاد ومراتبه في غاية من التحقيق والمعرفة كعادته ، وذكر بدء دعوة الإسلام وأحوال مكة آنذاك والهجرة إلى المدينة ، وفريضة الجهاد والغنيمة ، والصلح والأمان ، والجزية والمعاملة مع أهل الكتاب وأحكام المنافقين بتفصيل كبير ، وهو بمناسبة ذكر فريضة الجهاد ومشروعيته تحدث عن قيمة النفس ضالتها

(١) ينظر: رجال الفكر والدعوة (الجزء الثاني) ، ٣١٩ .

بازاء حقيقة الجنة ونعيمها بحماس وقوة وأسلوب يستهوي القلوب ، وهو نموذج رائع لقوة كتابته وإيمانه^(١).

ثم تعرض بذكر مغازي النبي (ﷺ) وبعوثة ومهامته بترتيب ، وبما أن له اطلاعاً واسعاً على الحديث والسيرة معاً وهو ناقد ومحدث أكثر من مؤرخ ، يتميز هذا الجزء من كتابه ايضاً بالنسبة إلى كتب السيرة الأخرى، وأن قوله فصل في الأمور الخلافية ، وهو عندما يتحدث عن الوقائع والأحداث يأتي بتفسير الآيات ولطائفها وأسرارها في أسلوبه الخاص به ، ومن دأبه في بيان الغزوات أنه يتناول كل ما يتعلق بها من الأحكام الفقهية أو ما يستتبط بها من مسائل الأحكام ، فمثلاً بعد ذكر غزوة خيبر عقد فصلاً مستقلاً (فيما كان في غزوة خيبر من الأحكام الفقهية)^(٢)، وبعد غزوة الفتح (فصل في الإشارة إلى ما في هذه الغزوة من الفقه واللطائف)^(٣) وكذلك بعد غزوة حنين وأوطاس (فصل في الإشارة إلى ما تضمنت هذه الغزوة من المسائل الفقهية والنكت الحكيمة)^(٤)، وما إلى ذلك مما يشحنه بمواد قيمة ومعلومات مهمة^(٥).

(١) ينظر: رجال الفكر والدعوة (الجزء الثاني) ، ٣٢٠ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣٠١/٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢٧٥/٢ .

(٤) المصدر السابق ، ١٩٨/٣ .

(٥) ينظر: رجال الفكر (الجزء الثاني) ، ٣١٩ .

وهو في هذه الغزوات والوقائع ليس مقلداً أو ناقلاً للمتقدمين من أهل السير والمغازي فإنه عارضهم في بعض المناسبات في أمور اشتهرت بينهم ، وقدم فيها تحقيقاً خاصاً بدراسته الشخصية ، وفهمه العميق ، فمثلاً يعرف بوجه عام تذكر كتب السير والتاريخ أن نسوة الأنصار وبناتهم أنشدن هذه الأبيات :

طلّع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما داع لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع^(١)

عندما كان النبي (ﷺ) يدخل المدينة مهاجراً من مكة ، ولكنه معارض هذا الرأي ، ويرى أن هذه الأبيات إنما أنشدت عودته (ﷺ) من غزوة تبوك التي هي في جهة الشام كما يقول : (وبعض الرواة يهيم في هذا يقول : إنما كان ذلك عند مقدمه الى المدينة من مكة ، وهو وهم ظاهر ، فان ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة إلى المدينة ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام)^(٢) .

وبعد ذكر غزوة تبوك أيضاً تصدى لذكر أحكامها ، وفوائدها بتفصيل يتضمن فوائد مهمة ومعلومات فقهية واستنباطات لطيفة وأحكام اجتماعية

(١) ينظر: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، لعلي بن عبد الله بن أحمد الحسن الشافعي ، نور الدين أبو الحسن السمهودي (ت: ٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الاولى ، (بيروت/١٩٤١هـ) ، ٥٣/١ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٨٣/٣ .

ومدنية ، ولما فرغ من بيان الغزوات والبعوث بدأ بذكر قدوم وفود العرب في تفصيل ، وذكر وفود النبي (ﷺ) وكاتبه التي وجهها إلى ملوك العالم وأمراء القبائل (١).

أما الجزء الثاني من الكتاب فيختص بالطب النبوي ، ذكر فيه أسرار الطب النبوي وحكمه وتوجيهاته الطبية ، واجتمع في هذا البحث الأحكام الطبية مع الأحكام الفقهية والمباحث الحديثة ، وقد بذل جهداً في جمع تلك الأدوية والأغذية والمفردات في مكان واحد بترتيب حروف الهجاء ، التي يتصل بها حديث صحيح أو ضعيف أو موضوع ، أخذ عليها من الناحية الطبية وبين خواصها ، ويمكن تقدير مدى دراسته الواسعة للحياة وأمراض القلب واطلاعه الواسع على نفسية الإنسان ، بما قد ذكره في باب الأمراض والمعالجات من مرض العشق والحب وعلاجه وحقيقة المحبة وأسبابها الطبيعية ، وأقسامها ودرجاتها ، ثم علاجها والتدبير لها (٢) .

ولما فرغ من بيان ذلك التفت إلى أحكام النبي (ﷺ) في القضايا ، وأستطاع أن يجمع ذخيرة غالية واسعة لأبواب الفقه المختلفة ، وكأنه ألف كتاباً للفقه يبني على الأحاديث والأحكام والأقضية ، وإن هذا الكتاب يتضمن عدا هذه الفصول والأبواب تحقيقات ولطائف تفسيرية ونحوية وتاريخية وكلامية قيمة تتفرق في ثنايا ألف صفحة من الكتاب (٣).

(١) ينظر: رجال الفكر والدعوة (الجزء الثاني) ، ٣٢٢ .

(٢) المرجع نفسه ، ٣٢٣ .

(٣) ينظر: ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارده ، ١٤٤ .

ومما ينتقد في هذا الكتاب هو أنه خليط للعلوم الإسلامية كلها من السيرة والحديث، والفقه، والتاريخ، والكلام، والنحو، والصرف، ولعل نفسية أستاذه وشيخه كانت تعمل فيه لدى تأليف هذا الكتاب، فإنه لا يلبث إلا وينتهز أضعف مناسبة للتعرض في مسألة كلامية أو نحوية ثم يتفرغ للكلام عنها بغاية من الشرح والتفصيل، فإن أفرز من هذا الكتاب كل موضوع على حدة تسنت الاستفادة منه، ولكنه مع ذلك كله يعد من أهم كتب الإسلام الذي يقوم مقام مكتبة بأسرها، وأن وجوده كوجود عالم كثير الفنون، متبحر ومحقق في العلوم، نال به آلاف مؤلفة من طلاب الحق ومتبعي السنة هداية دينية، وغذاء روحياً وحلاوة إيمانية^(١).

احاطة الداعية وتبحره بأنواع الفنون والعلوم:

قبل الانتقال الى فصول الدراسة لابد ان اذكر بان على الداعية ان يكون له إمام بالجوانب الفقهية والاصول والسياسة الشرعية حتى يكون على بينة من امره وهو يدعو الى الله تعالى، وقد كان ابن القيم "رحمه الله" يملك من هذه المفاتيح المهمة في دعوته، فقد كان له من الآراء الفقهية والدعوية والاصولية، وكذلك السياسة الشرعية والتفسير واللغة التي مكنته من فقه الدعوة^(٢).

اما في السياسة الشرعية، فقد أفرد ابن القيم "رحمه الله" في مؤلفاته في طرق الإثبات، أو طرق الحكم التي يعتمد عليها القضاة في أحكامهم،

(١) ينظر: رجال الفكر والدعوة (الجزء الثاني)، ٣٢٧ .

(٢) ينظر: ابن القيم من اثاره العلمية، ٤٢ .

ويعول عليها في تنفيذ الأحكام في كتابه الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، وكتب عن الفراسة وأهميتها في حل المشكلات في القضاء، كما كتب عن ضرورة دراسة وفهم الواقع قبل إصدار الأحكام الشرعية في كتابه الطرق الحكمية في السياسة الشرعية^(١)، فيقول "رحمه الله": (فإذا ظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه، والله سبحانه أعلم وأحكم وأعدل أن يخص طرق العدل وأماراته وأعلامه بشيء ثم ينص ما هو أظهر منها وأقوى دلالة وأبين أمانة فلا يجعله منها)^(٢).

وكذلك اهتم ابن قيم الجوزية بمختلف الجوانب التي يتكون منها الإنسان: الجسمية والروحية والعقلية والوجدانية والسلوكية؛ فكتب عن الجانب الروحي وأفاض فيه وذلك في كتابه (الروح) حيث عرف مفهوم الروح، وتعرض لقضية خلق الروح، ولعلاقة الروح بالبدن، وللعلاقة بين

(١) ينظر: إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب أبو عبدالله، ابن قيم الدمشقي (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، من دون طبعة، (بيروت/ ١٩٧٣م)، ٤٢/١؛ والسياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية، لعبد الوهاب خلاف (ت: ١٣٧٥هـ)، دار القلم، من دون طبعة، (بلا/ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ٤٥.

(٢) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبدالله، ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: الدكتور محمد جميل غازي، مطبعة المدني، من دون طبعة، (القاهرة/ بلا سنة نشر)، ١٩.

الروح والنفس، وهل النفس واحدة أم ثلاث، وهل الروح من أمر الغيب أم لا، ولعلاقة العبد بربه^(١).

وكتب ابن القيم "رحمه الله" بالتفصيل عن الجانب الجسمي وخاصة في وصف أعضاء البدن ووظائفها، واهتم أيضاً بالجانب الوجداني - الإنفعالات والعاطفة- خاصة في التربية وتهذيب النفس في كتاب (مدارج السالكين) و(زاد المعاد في هدي خير العباد)، وأما الجانب السلوكي ولاسيما في بعده الأخلاقي فقد كان محورياً أساسياً في مختلف كتبه^(٢).

والمأمل فيما كتبه ابن قيم "رحمه الله" يلاحظ تنوعاً كبيراً في فكره وإهتماماته شأنه في ذلك شأن العلماء الموسوعيين في إطار الحضارة الإسلامية الذين كتبوا في مختلف العلوم والمعارف والفنون، ورغم تنوع المجالات التي كتب فيها ابن القيم "رحمه الله" ، فإن آراءه ومواقفه الفكرية تتسم بالعمق والنظرة الصائبة في أغلب الأحوال^(٣).

(١) ينظر: الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب

والسنة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية ، من دون طبعة ، (بيروت / بلا سنة نشر)، ٦ .

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لمحمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد شمس الدين ، ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي ، الطبعة الثالثة ، (بيروت/ ١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ، ٣٣/١ .

(٣) ينظر: رجال الفكر والدعوة (الجزء الثاني) ، ٣٣٠ .

الفصل الأول

الجانب الدعوي عند ابن القيم

”رحمه الله“ على ضوء ذكره للهجرة

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الجانب الدعوي عند ابن

القيم ”رحمه الله“ على ضوء ذكره للهجرة

الصحابة (رضي الله عنهم) إلى الحبشة .

المبحث الثاني: الجانب الدعوي عند ابن

القيم ”رحمه الله“ على ضوء ذكره لرحلته (رضي الله عنه)

إلى الطائف.

المبحث الثالث: الجانب الدعوي عند ابن

القيم ”رحمه الله“ على ضوء ذكره للهجرة

النبوية الشريفة .

الفصل الأول

الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله"

على ضوء ذكره للهجرة

لقد اعتنى ابن القيم "رحمه الله" في كتابه زاد المعاد على ذكر حادث الهجرة الاولى والثانية الى بلاد الحبشة والهجرة النبوية الشريفة وما حدث بينهما من احداث، كأحداث رحلة الطائف وغيرها من المواقف ، حيث كانت أهم جهتين هاجر المسلمون إليها هما الحبشة ويثرب ، وجميع الهجرات إليهما تمت في أوقات متفاوتة لتحقيق أهداف حددها الرسول محمد (ﷺ)، فهي إما للحفاظ على من اعتنق الإسلام أو لنشره في بيئة تضمن له منطلقاً صالحاً وصحيحاً استعداداً لنشره في العالم وإقامة دولة الإسلام ، وفي هذا الفصل سنحاول الوقوف على ذكر الهجرة إلى الحبشة ورحلة الطائف والهجرة النبوية الشريفة ، ثم نستنتج اهم الجوانب الدعوية التي اشار اليها ابن القيم "رحمه الله" والتي اراها جانباً دعوياً يضاف له في كل مبحث ، وهذا ما سأتناوله في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء

ذكره لهجرة الصحابة (رضي الله عنهم) إلى الحبشة .

المبحث الثاني : الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء

ذكره لرحلته (رضي الله عنه) الى الطائف .

المبحث الثالث : الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره للهجرة النبوية الشريفة .

المبحث الأول

الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره للهجرة الصحابة (ﷺ) إلى الحبشة

لا بد لنا ان نتعرف على معنى الهجرة وحكمها، وهي كالاتي :

اولاً: معنى الهجرة

فقد عرف العلماء الهجرة بأنها :

(الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام)^(١) ، وقيل (الانتقال من مواضع الشرك والمعاصي إلى بلد الإسلام والطاعة)^(٢) ، وقيل ايضاً

(١) أحكام القرآن ، لمحمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي القاضي (ت: ٥٤٣هـ)، تعليق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة ، (بيروت - لبنان/١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ، ٦١١/١ .

(٢) ألفية السيرة النبوية - نظم الدرر السنية الزكية ، لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم أبو الفضل العراقي (ت: ٨٠٦هـ)، دار المنهاج ، الطبعة الأولى، (بيروت/١٤٢٦هـ) ، ٥٧ .

(الخروج من دار الكفر إلى دار الايمان)^(١).

ومن هذه التعريفات يتبين لي ان الهجرة هي: ترك دار الكفر والخروج منها إلى دار الإسلام والايمن .

ولهذا أمر الرسول (ﷺ) بعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة في أول البعثة المحمدية حيث قال لهم : (اذهبوا إلى الحبشة فإن هناك ملكاً لا يظلم عنده أحد)^(٢)، فكانت هذه هجرة إلى دار أمن ، أما الهجرة إلى المدينة فكانت هجرة إلى دار إيمان^(٣).

وقال ابن حجر "رحمه الله" : (والهجرة ضربان : ظاهرة وباطنة ؛ فالباطنة هي ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان ؛ وأما الظاهرة فهي الفرار بالدين من الفتن)^(٤)، ولهذا قال الرسول (ﷺ) :

(١) خلاصة الكلام شرح عمدة الأحكام ، لفیصل بن عبد العزيز بن فیصل بن حمد المبارك الحریملي النجدي (ت: ١٣٧٦هـ) ، من دون دار نشر ، الطبعة الثانية ، (بلا/١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ، ١١ .

(٢) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو عبد الله الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: الدكتور عبد الله بن عبدالمحسن التركي ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الاولى، (بلا / ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م)، ١٥٩/٤ ، رقم الحديث (١٨٣٠٤) ، تعليق شعيب الأرنؤوط: قال إسناده حسن .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٩٥/١ .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت: ٧٧٣هـ) ، طبعة جديدة ومنقحة ، رقم كتبها =

(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)^(١).

ثانياً : حكم الهجرة

قال ابن قيم الجوزية "رحمه الله" : (الهجرة الى الله ورسوله هي فرض عين على كل أحد في كل وقت وهي مراد الله من العباد)^(٢)، ويقول أيضاً : (الهجرة هجرتان : الأولى هي هجرة بالجسم من بلد إلى بلد وهذه أحكامها معلومة فهي الهجرة الحقيقية ، وأما الثانية فهي هجرة بالقلب إلى الله ورسوله وهذه الهجرة هي الأصل وهجرة الجسد تابعة لها ... فهي هجرة من وإلى الله تعالى ... فالمهاجر يهاجر بقلبه من محبة غير الله إلى محبته سبحانه .. ومن عبودية غيره إلى عبوديته جل وعلا . ومن سؤال غيره إلى سؤاله تعالى ، وهذا بعينه معنى الفرار إليه في قوله تعالى :

=وابوابها واحاديثها : محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة دار السلام - مكتبة دار الفيحاء، الطبعة الثالثة، (الرياض- دمشق/ ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ١/ ٥٤ .

(١) أخرجه البخاري في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) ، لمحمد بن إسماعيل ابن إبراهيم ابن المغيرة أبو عبد الله البخاري (ت: ٢٥٦هـ) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، (بلا/ ١٤٢٢هـ)، كتاب الايمان ، باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، ١١/١ ، رقم الحديث (١٠) .

(٢) الرسالة التبوكية (زاد المهاجر إلى ربه) ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، تحقيق : الدكتور محمد جميل غازي ، مكتبة المدني ، من دون طبعة ، (جدة/ بلا سنة نشر)، ١٦ .

﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾^(١)، فرار من المكروه الذي أوجبه مشيئة الله إلى ما تقتضيه رحمته ولطفه واحسانه^(٢).

إذا فالهجرة قبل أن تكون من مكة الى المدينة -أي هجرة من مكان إلى مكان آخر- فهي أولاً كانت هجرة إلى الله تعالى بالإنقياد له بالطاعة واخلاص العمل له، وهي أيضاً فريضة على هذه الأمة باقية الى قيام الساعة ، لأن رسولنا الكريم (ﷺ) يقول: (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها)^(٣)، فهنا اقترنت الهجرة بالتوبة ، فكأنما التائب من الذنب كلما يجدد توبته فهو يجدد بذلك هجرته إلى الله تعالى أيضاً^(٤).

أما المقصود بقوله (ﷺ) (لا هجرة بعد الفتح ...)^(٥)، فيقصد منه الهجرة من مكة تحديداً إلى المدينة تحديداً ، أي أن تكون مقصورة على

(١) سورة الذاريات ، جزء من الآية (٥٠) .

(٢) الرسالة التبوكية (زاد المهاجر إلى ربه) ، ١٦ .

(٣) اخرجه ابو دواد في سننه : سنن أبي داود ، لسليمان بن الأشعث بن إسحاق بن

بشير بن شداد ابن عمرو الأزدي أبو داود السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق:

محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، من دون طبعة ، (صيدا-

بيروت/ بلا سنة نشر) ، كتاب الجهاد ، باب : في الهجرة هل انقطعت ، ٣/٣ ،

رقم الحديث (٢٤٧٩) ، قال الألباني : حديث صحيح .

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٩٢/١ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب: فضل الجهاد

والسير ، ١٥/٤ ، رقم الحديث (٢٧٨٣) .

مكان بعينه، فالهجرة في بادئ الأمر كانت ركناً، حيث كان يجب أن ينتقل الأعراب وأهل القرى والمدن من ديارهم إلى المدينة المنورة ؛ وذلك لأنها كانت بداية تكوين النواة الأولى للدولة الإسلامية التي ستصبح عاصمتها المدينة المنورة ؛ لذا كان لزاماً على كل فرد آمن بالله (ﷻ) أن يهاجر إليها، لتتكون القاعدة الصلبة لهذه الدولة والتي منها ينطلقون إلى الأمصار، وفيما بعد رجعوا إلى مكة فاتحين، فكانت الهجرة في أول الإسلام واجبة ليتجمع المسلمون ويتحدوا ليفتحوا القرى والأمصار على ما تم والله الحمد ، وأكمل الله (ﷻ) الدين للأمة^(١).

وبعد أن فتحت مكة طهرت الجزيرة من درن الأصنام ، وقضي على دولة الشرك وبقيت البلاد إسلامية من أقصاها لأقصاها ، ثم بدأ المسلمون ينطلقون منها إلى ما جاورها ، فقد كانت الهجرة في أول الأمر واجبة ، ثم بعد ذلك صارت مندوبة، أو صارت بحسب حال الفرد، فمن استطاع أن يؤدي أمور دينه في بلده فليثبت، ومن لم يستطع فليهاجر إلى المكان الذي يستطيع فيه تأدية شعائر دينه^(٢).

(١) ينظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ، ٢١٢ ؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، لأحمد أحمد غلوش ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، (بلا/١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) ، ١٨٤ .

(٢) ينظر: دراسة في السيرة ، للدكتور عماد الدين خليل ، مطبعة دار النفائس ، الطبعة الثانية ، (بيروت/ ١٤٢٥هـ) ، ٦٢ .

وفي هذا المبحث سأحاول الوقوف على ذكر اهم الاحداث في الهجرة إلى الحبشة ومكائد قريش للمهاجرين ؛ ثم استخرجت منها اهم الجوانب الدعوية التي اشار اليها ابن القيم "رحمه الله" ، وهذا ما سأتناوله في ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : ذكر اهم الاحداث في هجرة الصحابة (رضي الله عنهم) إلى الحبشة .

المطلب الثاني : محاولة قريش أسترداد المهاجرين من الحبشة .

المطلب الثالث : الجانب الدعوي المفاد من الهجرة إلى الحبشة .

المطلب الأول

ذكر أهم الاحداث في هجرة الصحابة (ﷺ)

إلى الحبشة

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۗ وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (١)

أطلّ العام الخامس للدعوة المحمدية ، وقد جمع الرسول (ﷺ) حوله عصابة مؤلفة من خمسين صحابياً متفانين في ولائهم ، وكان ايمانهم المشترك قد جعل منهم جماعة صغيرة مترابطة لم تزدها اضطهادات المكيبين إلا تماسكاً ، وإلى هذا، فقد نمت قوتهم العددية يوماً بعد يوم ، وكان الرسول (ﷺ) يتفطر قلبه حتى لآلام خصومه ، فكيف يستطيع ان يحتمل رؤية الأذى ينزل بصحابته ؟ وليس من ريب في أن هؤلاء الاصحاب كانوا مصدر قوة له عظيمة (٢).

(١) سورة النحل ، الآية (٤١) .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، للامام أبي عبد الله شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، جمع واعداد: عماد زكي البارودي، المكتبة التوقيفية ، من دون طبعة، (بلا / ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) ، ٨٤ ؛ وسبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، لمحمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد =

قال ابن القيم "رحمه الله" عن الهجرة الى الحبشة : (لما كثر المسلمون وخاف منهم الكفار اشتد أذاهم لهم وفتنتهم إياهم ، فأذن لهم رسول الله (ﷺ) في الهجرة إلى ارض الحبشة ، وقال : (لو خرجتم إلى ارض الحبشة ، فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد ، وهي ارض صدق ، حتى يجعل الله لكم مخرجًا مما أنتم فيه)^(١) ، فهاجر من المسلمين اثنا عشر رجلا وأربع نسوة ، منهم عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ، وهو أول من خرج ومعه زوجته رقية بنت رسول الله (ﷺ) ، فأقاموا في الحبشة في أحسن جوار ، فبلغهم أن قريشا أسلمت ، وكان هذا الخبر كذبا فرجعوا إلى مكة ، فلما بلغهم أن الأمر أشد مما كان رجع منهم من رجع ودخل جماعة ، فلقوا من قريش أذى شديدا^(٢) ، ثم أذن لهم في الهجرة ثانيا إلى الحبشة ،

=عبدالموجود - والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، (بيروت/١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) ، ٣٦٣/٢ .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٩٥/١ ؛ وعمدة القاري شرح صحيح البخاري ، لمحمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي أبو محمد ، بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، من دون طبعة ، (بيروت / بلا سنة نشر) ، كتاب التطوع ، باب : ما ينهى من الكلام في الصلاة ، ٢٦٨/٧ ، رقم الحديث (٢٢١) .

(٢) ينظر : المختصر في أخبار البشر ، لإسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، أبو الفداء عماد الدين الملك المؤيد ، صاحب حماة (ت: ٧٣٢هـ) ، المطبعة الحسينية المصرية ، الطبعة الأولى ، (مصر/ بلا سنة نشر) ، ٤٨/١ ؛ ومختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لمحمد بن =

فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلاً ، ومن النساء ثمان عشرة امرأة^(١)، فأقاموا عند النجاشي على أحسن حال^(٢).

وهكذا استعد أول فريق من المهاجرين ، للإبحار إلى الحبشة ، مغادرين شواطئ وطنهم الجميل التماساً للسلامة في أرض أخرى ، وما ان تسامعت قريش بارتحالهم حتى وجّهت رجالها على جناح السرعة ابتغاء صدّهم عن سبيلهم ، فقد كانوا يحرصون على ان لا يجد الاسلام موطئ قدم في أيما موطن آخر، فعمدوا العزم ، آخر الأمر، على ان يوجهوا إلى النجاشي وفدا يسأله أن لا يعطي المسلمين حمايته وان يسلمهم إلى

=عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت: ١٢٠٦هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الطبعة الأولى ، (المملكة العربية السعودية / ١٤١٨هـ) ، ٧٨ .

(١) ينظر: تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ، وصلة تاريخ الطبري ، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي ، ت: ٣٦٩هـ)، دار التراث ، الطبعة الثانية ، (بيروت/ ١٣٨٧هـ) ، ٣/٣٢ ؛ والكامل في التاريخ ، لعلي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري أبو الحسن عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، مطبعة دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، (بيروت/ ١٤١٧هـ) ، ٥٢/٢ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٩٦/١ .

المكيين ، وهذه هي إحدى مكائد قريش نحو المسلمون^(١) ، وقد أشار ابن القيم "رحمه الله" الى بعض اسباب الهجرة الى الحبشة ، ومنها :

أولاً: اضطهاد قريش للمسلمين

١- اضطهاد قريش :

قد نال أبو بكر (رضي الله عنه) نصيبه من الأذى ، حتى فكر في الهجرة إلى الحبشة فراراً بدينه ؛ فلما اشتدت وطأة أهل مكة على النبي (صلى الله عليه وسلم) واشتدت على أصحابه (رضي الله عنهم) تعذيب الافراد الداخلين في الاسلام ، لان الدعوة سرية وفردية ، خرج أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) إلى الهجرة عن مكة ، فخرج حتى بلغ برك الغماد^(٢) ، يريد الحبشة ، فأرجعه ابن الدغنة^(٣)

(١) ينظر: السيرة النبوية لأبن هشام ، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، أبو محمد ، جمال الدين (ت : ٢١٣ هـ) ، تحقيق : مصطفى السقا وإبراهيم الأنباري ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، الطبعة الثانية ، (مصر / ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م) ، ٣٢١/١ .

(٢) برك الغماد: هو موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر، وقيل بلد باليمن ؛ ينظر: معجم البلدان ، لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي أبو عبد الله شهاب الدين (ت: ٦٢٦هـ) ، دار صادر ، الطبعة الثانية ، (بيروت / ١٩٩٥م) ، ٣٩٩/١ .

(٣) ابن الدغنة : بضم المهملة والمعجمة وتشديد النون عند أهل اللغة ، والدغنة أمه ، وقيل أم أبيه وقيل ابنته ، قيل اسمه الحارث بن يزيد ، وهو سيد قبيلة =

في جواره^(١).

وكان عم عثمان بن عفان يلفه في حصير من أوراق النخيل ، وأقسم ألا يحله إلا إذا ترك الإسلام ، فأقسم عثمان على عدم تركه الإسلام، فلما رأى عمه صلابته في دينه تركه، ولما علمت أم مصعب بن عمير بإسلامه أجاعته وأخرجته من بيتها، وكان من أنعم الناس عيشاً ، وعند ما سمع أبو ذر الغفاري^(٢) (رضي الله عنه) بخبر النبي (ﷺ) جاء ودخل مكة ، وأخذ

=القارة؛ ينظر: جمل من أنساب الأشراف ، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَّاذُري (ت: ٢٧٩هـ) ، تحقيق: سهيل زكار - ورياض الزركلي ، دار الفكر، الطبعة الأولى ، (بيروت/ ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) ، ١ / ٣٠٦ .

(١) ينظر: صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب: هجرة النبي (ﷺ) واصحابه الى المدينة ، ٨٥/٥ ، رقم الحديث (٣٩٠٥) .

(٢) أبو ذر الغفاري: هو جندب بن جنادة ويقال جندب بن السكن بن كعب بن سفيان ابن عبيد بن حرام أبو ذر الغفاري ، وهو أول من حيا النبي (ﷺ) بتحية الإسلام وأسلم قديماً، ويقال كان خامساً في الإسلام ثم انصرف إلى قومه فأقام عندهم إلى أن قدم المدينة بعد الخندق ثم سكن الريدة إلى أن مات بها سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان وصلى عليه ابن مسعود (رضي الله عنه) ؛ ينظر : معجم الصحابة ، عبدالله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه أبو القاسم البغوي (ت: ٣١٧هـ)، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان، الطبعة الاولى ، (الكويت/١٤٢١هـ/٢٠٠٠م) ، ١ / ٣١٥ ؛ ومعرفة الصحابة ، لأحمد ابن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران ابو نعيم=

يسأل عن الرسول (ﷺ)، فضربه أهل مكة حتى غشي عليه ، وكاد يموت،
فخلصه العباس (رضي الله عنه) منهم^(١).

٢- تعذيب الموالى :

وأما تعذيب الموالى ، فقد بذلت قريش كل ما في وسعها من قوة وحيلة
في إطفاء أنوار الدعوة المحمدية ، وباعت بخيبة مريرة حوّلت ذلك إلى
نقمة على المستضعفين، فقد لقيَ عمّار وأمه ووالده ياسر من العذاب
الشديد، فكانوا يخرجونهم-اي العوائل والأسر الداخلة في الاسلام- إلى
الأبطح إذا حميت الرمضاء يعذبونهم بحرّها، فمر بهم النبي (ﷺ) وهم
يعذبون ، فقال: (صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة)^(٢)، فمات ياسر
تحت العذاب ، وأما سمية فقد أغلظت القول لأبي جهل فطعنها بحرثته

=الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) ، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن

للنشر، الطبعة الاولى ، (الرياض/ ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) ، ٥٥٨/٢ .

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٩٥/١ ؛ والإبانة عن شريعة الفرقة

الناجية ، الكتاب الرابع (جزء في فضائل الصحابة) ، لعبيد الله بن محمد بن

محمد بن حمدان العُكْبَري أبو عبد الله المعروف بابن بَطَّة العكبري (ت:

٣٨٧هـ)، تحقيق: حمد بن عبد المحسن التويجري ، دار الولاية للنشر والتوزيع ،

من دون طبعة ، (بلا/٢٠٠٥هـ) ، ١٦٢ .

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير ، لمحمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج

العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري زين الدين (ت:

١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى، (مصر/ ١٣٥٦هـ)، ٦٩/١ ،

قال الالباني ، حديث صحيح .

في قبلها فماتت شهيدة ، فكانت أول شهيدة في الإسلام، وشدد أعداء الله العذاب على عمّار ونوّعوا العذاب عليه فمرة بالجرّ ومرة بوضع الصخرة على صدره ، وأخرى بالغمس في الماء إلى حد الاختناق ويقولون له لا نتركك حتى تسب محمداً، وتقول في اللات والعزى خيراً، وفعل ما طلبوه منه فتركوه ، فأتى النبي (ﷺ)، يبكي فقال : ما وراعتك؟ ، فقال: شر يا رسول الله ، كان الأمر كذا وكذا، فقال له : كيف تجد قلبك؟ ، قال: أجده مطمئناً بالإيمان ، فقال: (إن عادوا يا عمّار فعد)^(١)، وأنزل الله تعالى قوله : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٢).

وأما خباب^(٣)، فقد أسلم سادس ستة ، وقد عذبه المشركون عذاباً شديداً إذ كانوا يلصقون ظهره بالرمضاء ثم بالحجارة المحماة بالنار ويلوون

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، باب: شراء المملوك من الحربي وهبته وعنته ، ٤٥/١٨ ، رقم الحديث (٧١٢٢) .

(٢) سورة النحل ، الآية (١٠٦) .

(٣) خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي، كنيته أبو عبد الله، وقد روى عن النبي (ﷺ) ، نزل الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين وصلى عليه علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما)، وكان من المهاجرين الأولين ؛ ينظر: معرفة الصحابة لابن منده ، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندّه العبدي أبو عبدالله (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق : الدكتور عامر حسن صبري ، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى، =

رأسه^(١) ، وأمّا عامر بن فهيرة^(٢)، فقد أسلم قديماً ، وكان من المستضعفين
فعدّب عذاباً شديداً، ولم يردّه ذلك عن دينه ، وكان يرعى

= (الإمارات/١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م) ، ٤٨٥ ؛ ومغاني الأخيار في شرح أسامي رجال
معاني الآثار ، لمحمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي
أبو محمد بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ) ، تحقيق: محمد حسن محمد حسن
إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، (بيروت- لبنان/
١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م) ، ٦٩/٢ .

(١) ينظر: سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) ، لمحمد بن إسحاق بن يسار
المطلبي بالولاء، المدني (ت: ١٥١هـ) ، تحقيق: سهيل زكار ، دار الفكر،
الطبعة الأولى، (بيروت/ ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م) ، ٣٤١/١ ؛ ومختصر زاد المعاد ،
لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت: ١٢٠٦هـ) ، دار الريان
للتراث ، الطبعة الثانية ، (القاهرة/ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ، ١٠١ ؛ ونضرة النعيم
في مكارم أخلاق الرسول الكريم (ﷺ) ، لعدد من المختصين ، بإشراف: الشيخ
صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي ، دار الوسيلة للنشر
والتوزيع ، الطبعة الرابعة ، (جدة / بلا سنة نشر) ، ٢٣٤ / ١ .

(٢) عامر بن فهيرة التيمي ، مولى أبي بكر الصّدّيق (رضي الله عنهما) ، وأحد
السابقين وكان يرعى الغنم لابي بكر (ﷺ) ، ولما سار النبي (ﷺ) وأبو بكر من
الغار هاجر معهما، فأردفه أبو بكر خلفه، ومعهم دليلهم ، استشهد ببئر معونة ؛
ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لعلي ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن
عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، ابن الأثير أبو الحسن عز الدين
(ت: ٦٣٠هـ) ، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود ، دار
الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، (بلا/ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م) ، ٤٠٥/١ .

غنماً لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) (١).

٣ - النبي (ﷺ) يثبت أصحابه :

كان النبي (ﷺ) يثبت أصحابه دائماً على الصبر على الأذى ويخبرهم بأن الله تعالى سوف ينصر دينه، فقد جاء إليه خباب بن الارت (رضي الله عنه) يشكو إليه ما يصيبهم من شدة عذاب المشركين ، وقال له : يا رسول الله ألا تدعو الله لنا ؟ ففعد وهو محمراً الوجه ، فقال (ﷺ): (لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد، ما دون عظامه من لحم أو عصب، ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشقّ باثنين، ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت ما يخاف إلا الله) (٢).

واشتد البلاء على أصحاب رسول الله (ﷺ) وجعل الكفار يحبسونهم ويعذبونهم، بالضرب والجوع والعطش، ورمضاء مكة والنار؛ ليفتوهم عن دينهم، فمنهم من يفتتن من شدة البلاء وقلبه مطمئن بالإيمان، ومنهم من تصلب في دينه وعصمه الله منهم، فلما رأى رسول الله (ﷺ) ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية لمكانه من الله تعالى ، ومن عمه أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ،

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٩٦/١ ، والبداية والنهاية ، ٦٠/٣ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب: ما لقي النبي (ﷺ) ،

٤٥/٥ ، رقم الحديث (٣٨٥٢) .

فنصحهم وحثهم إلى الخروج إلى أرض الحبشة ، مخافة الفتنة ، وفرارا إلى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة في الإسلام^(١).

ثانياً: ظهور الإيمان

ولما كثر الداخلون في الإسلام ، وظهر الإيمان وتحدث به المكيون ، ثار المشركون من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم يعذبونهم ويسجنونهم وأرادوا فتنتهم عن دينهم فلما بلغ ذلك رسول الله (ﷺ) قال للذين آمنوا به : تفرقوا في الأرض، قالوا: فأين نذهب يا رسول الله ، قال: ها هنا ؟ وأشار إلى أرض الحبشة^(٢) .

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢١/٣ ؛ وفقه السيرة ، لابن قيم الجوزية، ١٠٠ .

(٢) ينظر: المغازي النبوية ، لمحمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الأصغر ابن شهاب ابو بكر المخزومي الزهري (ت: ١٢٤هـ)، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، من دون طبعة ، (دمشق/ ١٤٠١ / ١٩٨١م) ، ٩٦ ؛ والمصنف، لعبدالرزاق بن همام بن نافع أبو بكر الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ) ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، (بيروت/ ١٤٠٣هـ)، ٣٨٤/٥ .

ثالثاً: الفرار بالدين

كان الفرار بالدين خشية الافتتان فيه سبباً مهماً من أسباب هجرتهم للحبشة ، قال ابن إسحاق^(١) "رحمه الله" : (فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله (ﷺ) إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم)^(٢).

(١) ابن إسحاق: هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، من أقدم مؤرخي العرب، من أهل المدينة، وهو من أحسن الناس سياقاً للأخبار، له من الكتب (السيرة النبوية) هذبها ابن هشام ومن أصل أجزاء مخطوطة كتبت سنة ٥٠٦ هـ ، في خزانة القرويين بفاس و(كتاب الخلفاء) و (كتاب المبدأ) ، سكن بغداد ومات فيها سنة ١٥١ هـ ؛ ينظر: الطبقات الكبرى ، لمحمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء أبو عبد الله ، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ) ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، (بيروت / ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م) ، ١٦٦/٢ ؛ وتاريخ بغداد ، لأحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي أبو بكر الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) ، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، (بيروت / ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م) ، ٢١٤/١ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٢/٣ ؛ والسيرة النبوية لابن هشام ، ٣٢٢/١ .

رابعاً: نشر الدعوة خارج مكة

قال الأستاذ سيد قطب^(١) "رحمه الله": (... ومن ثم كان يبحث الرسول ﷺ) عن قاعدة أخرى غير مكة، قاعدة تحمي هذه العقيدة وتكفل لها الحرية، ويتاح فيها أن تتخلص من هذا التجميد الذي انتهت إليه في مكة، حيث تظفر بحرية الدعوة وحماية المعتقدين لها من الاضطهاد والفتنة، وهذا في تقديري كان هو السبب الأول والأهم للهجرة، ولقد سبق الاتجاه إلى الحبشة، حينما هاجر إليها كثير من المؤمنين الأوائل، القول بأنهم هاجروا إليها لمجرد النجاة بأنفسهم لا يستند إلى قرائن قوية، فلو كان الأمر كذلك لهاجر إذن أقل الناس وجاهة وقوة ومنعة من المسلمين، غير أن الأمر كان على الضد من هذا، فالموالي المستضعفون الذين كان ينصب عليهم معظم الاضطهاد والتعذيب والفتنة لم يهاجروا، إنما هاجر رجال ذوو عصبيات، لهم من عصبيتهم في بيئة قبلية ما يعصمهم من

(١) سيد قطب بن إبراهيم : مفكر إسلامي مصري ، من مواليد قرية (موشا) في أسيوط، تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٣٥٣هـ ، وعمل في جريدة الأهرام ، وكتب في مجلتي (الرسالة) و(الثقافة) وعين مدرسا للعربية، وفي (١٩٥٢) انضم إلى الإخوان المسلمين ، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (١٩٥٣م - ١٩٥٤م) وسجن معهم ، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى ان صدر الأمر بإعدامه سنة (١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م) ؛ ينظر: الأعلام ، ١٤٧/٣ .

الأذى، ويحميهم من الفتنة، وكان عدد القرشيين يؤلف غالبية المهاجرين^(١).

خامساً: البحث عن مكان آمن للمسلمين

كان هم الرسول (ﷺ) هو الحفاظ على الصفة المؤمنة ؛ ولذلك رأى (ﷺ) أن الحبشة تعد مكاناً آمناً للمسلمين لحين اشتداد عود الإسلام وتهدأ الهجمات والتحديات، وقد وجد المهاجرون في أرض الحبشة مأمنهم ، وفي ذلك تقول أم سلمة (رضي الله عنها) : (لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي، أمناً على ديننا وعبدنا الله تعالى لا تؤذى)^(٢).

وهناك عدة أسباب تساعد الباحث للإجابة عن سبب اختيار النبي (ﷺ) الحبشة عن غيرها، منها:

١- النجاشي العادل .

٢- النجاشي الصالح .

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب بن إبراهيم (ت: ١٣٨٦هـ) ، دار الشروق ، الطبعة التاسعة ، (بلا/١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ، ٢٩/١ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج ١/ص ٢٥٩ ؛ وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، تحقيق : محمد أحمد الحاج ، دار القلم - دار الشامية ، الطبعة الأولى ، (جدة - السعودية/ ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م) ، ٢٦١ .

فقد ورد عن النبي (ﷺ) ثناؤه على ملك الحبشة بقوله : (وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي ، لا يظلم أحد بأرضه)^(١)، وكان يثني -يشاع- عليه مع ذلك صلاحه ويظهر هذا الصلاح في حمايته للمسلمين، وتأثره بالقرآن الكريم عندما سمعه من جعفر (رضي الله عنه) ، وكان معتقده في عيسى (عليه السلام) صحيحاً^(٢).

٣- الحبشة متجر قريش:

إنّ التجارة كانت عماد الاقتصاد القرشي، والحبشة تعد من مراكز التجارة في الجزيرة ، وربما عرفها بعض المسلمين عندما ذهبوا إليها في التجارة، أو ذكرها لهم من ذهب إليهم قبلهم ، وقد ذكر الطبري "رحمه الله" في معرض ذكره لأسباب الهجرة للحبشة: (وكانت أرض الحبشة متجراً

(١) تاريخ الطبري ، ٣٢٨/٢ ؛ وتبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه - شروطه وأسبابه - مراحل وأهدافه) ، لعلي محمد محمد الصلّابي ، مكتبة الصحابة - مكتبة التابعين ، الطبعة الأولى ، (الشارقة - القاهرة / ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) ، ٤٠ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٥٩/١ ؛ وفقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٠٤ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، لعلي محمد محمد الصلّابي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة السابعة ، (بيروت - لبنان / ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م) ، ٥٨ .

لقريش، يتجرون فيها، يجدون فيها رفاغاً^(١) من الرزق وأمناً، ومتجراً حسناً^(٢).

٤ - الحبشة البلد الآمن:

لم يكن في حينها في خارج الجزيرة بلد أكثر أمناً من بلاد الحبشة، ومن المعلوم بُعد الحبشة عن سطوة قريش من جانب، وهي لا تدين لقريش بالاتباع كغيرها من القبائل^(٣)، وفي حديث ابن إسحاق "رحمه الله" عن أسباب اتخاذ الحبشة مكاناً للهجرة أنها: (أرض صدق، وأن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد)^(٤)، فهي أرض صدق، وملكها عادل، وتلك من أهم

(١) رفاغاً: والرفع والرفاغة والرفاغية: هي سعة العيش والخصب والسعة؛ ينظر: لسان العرب، ٤٢٠/٨، مادة (ربغ).

(٢) تاريخ الطبري، ١١٨٠/١؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١٠٥.

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢١/٣؛ وتاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت: ٩٦٦هـ)، دار صادر، من دون طبعة، (بيروت / بلا سنة نشر)، ٢٨٨/١؛ وهجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة، لأحمد عبد الغني النجولي الجمل، دار الوفاء، الطبعة الأولى، (بلا / ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، ٩٧.

(٤) رواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند، ١٥٩/٤، رقم الحديث (١٨٣٠٤)، وقال الالباني حديث صحيح؛ ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، أبو عبد الرحمن الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (الرياض/ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ١٢٢٦/٦.

سمات البلد الآمن^(١).

٥- محبة الرسول (ﷺ) للحبشة ومعرفة بها:

إنّ بلاد الحبشة كانت أحب الأرض إلى رسول الله (ﷺ) واران أن يهاجر اصحابه إليها، ولعل تلك المحبة لها أسباب كذلك^(٢)، ومنها:

أ- حكم النجاشي العادل .

ب- التزام الأحباش بالنصرانية ، وهي أقرب إلى الإسلام من الوثنية .

ج- معرفة الرسول (ﷺ) بأخبار الحبشة من خلال حاضنته أم أيمن^(٣) (رضي الله عنها) ، وأم أيمن هذه ثبت

(١) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١٠١؛ والهجرة الأولى في الإسلام، للدكتور

سليمان العودة، دار طيبة للنشر، الطبعة الأولى، (الرياض / ١٤١٩هـ)، ٤٦.

(٢) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ١٩٤ .

(٣) أم أيمن واسمها بركة مولاة رسول الله وحاضنته ، وكان رسول الله (ﷺ) ورثها من

أبيه وخمسة أجمال أوارك وقطعة غنم فأعتق رسول الله (ﷺ) أم أيمن حين تزوج

خديجة بنت خويلد، وقد حضرت أم أيمن أحدا وكانت تسقي الماء وتداوي

الجرحي وشهدت خير مع رسول الله (ﷺ)، وتوفيت أم أيمن في أول خلافة

عثمان (رضي الله عنه)؛ ينظر: الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء،

البصري أبو عبد الله، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد

عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (بيروت/١٤١٠هـ/١٩٩٠م)،

. ١٧٩/٨

في صحيح مسلم وغيره أنها كانت حبشية^(١).

وأما الهجرة الثانية إلى الحبشة ، فبعد إسلام حمزة (رضي الله عنه) أسلم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكان عمر ذا شكيمة لا يرام ، فلما أسلم امتنع به أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحمزة حتى قهروا قريشاً ، وكان إسلام الرجلين العظيمين بعد خروج المسلمين إلى الحبشة، فكان إسلامهما عزةً للمسلمين وقهراً للمشركين وتشجيعاً لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على المجاهرة بعقيدتهم^(٢).

وقال ابن مسعود (رضي الله عنه) إن إسلام عمر (رضي الله عنه) كان فتحاً، وإن هجرته كانت نصراً، وإن إمارته كانت رحمة ، ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر، فلما أسلم قاتل قريشاً حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه^(٣).

(١) ينظر: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم) ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية ، (بيروت- لبنان/ ١٩٧٢م) ، ٣/١٣٩٢ ؛ وتهذيب الأسماء واللغات، لمحيي الدين يحيى بن شرف أبو زكريا النووي (ت: ٦٧٦هـ) ، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله : شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية ، دار الكتب العلمية ، من دون طبعة ، (بيروت- لبنان/ بلا سنة نشر) ، ٣/٣٥ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٢١ ؛ والبداية والنهاية ، ٣/٨٧ .

(٣) صحيح السيرة النبوية ، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ) ، المكتبة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، (الأردن-عمان/١٩٨٢م) ، ١٨٨ .

فبلغ المهاجرين في بلاد الحبشة أن قريشاً أسلمت ، وكان هذا الخبر كذباً فرجعوا إلى مكة ، فلما بلغهم أن الأمر أشد مما كان رجع منهم من رجع ودخل جماعة ، فلقوا من قريش أذى شديداً، وكان ممن دخل عبد الله بن مسعود(رضي الله عنه)(١).

ثم أذن لهم في الهجرة ثانية إلى الحبشة ، فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلاً، إن كان فيهم عمار ، فإنه يشك فيه، ومن النساء ثمان عشرة امرأة، فأقاموا عند النجاشي على أحسن حال، فبلغ ذلك قريشاً، فأرسلوا جماعة، ليكيدوهم عند النجاشي(٢).

المطلب الثاني

محاولة قريش استرداد المهاجرين من الحبشة

لم تترك قريش المهاجرين ؛ بل سعوا الى اعادتهم واللحاق بهم خلال طريقهم الى الحبشة ، وارسلوا من يأتي بهم من تلك البلاد واعدوا مكائدهم لذلك .

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢٢/٣؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية،

. ١٠٦

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٢/٣ .

قال ابن القيم "رحمه الله": (فلما بلغ قريش بان المهاجرين قد فروا من فرسانهم وبلغوا الحبشة أرسلوا من يأتي بهم واختاروا لهذه المهمة : عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة^(١) في جماعة ، ليكيدوهم عند النجاشي ، فرد الله (ﷺ) كيدهم في نحورهم ، فاشتد أذاهم لرسول الله (ﷺ) ، فحصره وأهل بيته في الشعب ، شعب أبي طالب^(٢) .

ومما تقدم بالإمكان ان اقف على نقطتين ، تحدثت فيهما عن محاولة قريش استرداد المهاجرين وكيف استطاع المسلمون المهاجرون التغلب عليها ، وهي كالاتي :

أولاً : قريش تعمل على إعادة المهاجرين من الحبشة

قال ابن القيم "رحمه الله" عن محاولة المشركين رد المهاجرين من عند النجاشي: (فانحاز المهاجرون إلى مملكة أصحاب النجاشي آمنين ، فلما علمت قريش بذلك بعثت في أثرهم عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص بهدايا وتحف من بلدهم إلى النجاشي ليردهم عليهم، فأبى ذلك

(١) عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي المخزومي ، أخو عيَّاش بن أبي ربيعة، يكنى أبا عبد الرحمن، وكان اسمه في الجاهلية بجيرا، فسماه رسول الله (ﷺ) عبد الله ، أسلم يوم الفتح ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ليوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر بن عاصم أبو عمر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل، الطبعة الأولى، (بيروت/١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ، ٩٨٣/٣ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٢/٣ .

عليهم، وشفعوا إليه بعظماء بطارقتة^(١) فلم يجيبهم إلى ما طلبوا، فوشوا إليه: إن هؤلاء يقولون في عيسى قولاً عظيماً، يقولون: إنه عبد الله، فاستدعى المهاجرين إلى مجلسه، ومقدمهم جعفر بن أبي طالب، فلما أرادوا الدخول عليه قال جعفر: يستأذن عليك حزب الله، فقال للآذن: قل له يعيد استئذانه، فأعاده عليه، فلما دخلوا عليه قال: ما تقولون في عيسى؟ فتلا عليه جعفر صدرًا من سورة: ﴿كَهَيَّعَ﴾^(٢)، فأخذ النجاشي عوداً من الأرض، فقال: ما زاد عيسى على هذا ولا هذا العود، فتناخرت^(٣) بطارقتة عنده، فقال: وإن نخرتم، قال: اذهبوا فأنتم سيؤم بأرضي، من سبكم غرم، والسيوم: الأمنون في لسانهم، ثم قال للرسولين: لو أعطيتموني دبراً من ذهب، يقول: جبلاً من ذهب، ما أسلمتهم إليكما، ثم أمر فردت عليهما هداياهما، ورجعا مقبوحين^(٤).

(١) بَطَارِقَتُهُ: جمع بَطْرِيْق وهو القريب من الملك وصاحب مشورته، وبلغه أهل الرُّوم هو الحاذق بالحَرْبِ وأمورها وهو ذو مَنْصِبٍ؛ ينظر: لسان العرب، ٣٠١/١.

(٢) سورة مريم، الآية (١).

(٣) تناخرت: أي تكلمت، وكأنه كلام مع غضب ونفور؛ ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري أبو السعادات ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، من دون طبعة، (بيروت/ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ٣٢/٥.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢٨/٣؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١٠٧.

ومن هذا النص الذي ساقه ابن القيم "رحمه الله" يتبين كيف عزَّ على قريش أن يجد المهاجرون مأمناً لأنفسهم ودينهم ، وأغرتهم كراهيتهم للإسلام أن يبعثوا إلى النجاشي وفداً منهم محملاً بالهدايا والتحف ، كي يحرم المسلمين وده ، ويطوي عنهم بشره ، وتخيروا لهذه المهمة عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة على رأس وفد قريش^(١).

ثانياً: تفوق المهاجرين على مكائد قريش

بعد ما عملت قريش على إعادة المهاجرين من الحبشة ، ولم يكن شيء أبغضَ إلى وفد قريش من أن يسمع كلامَ المهاجرين النجاشي ، وبعد أن أذن النجاشي للمهاجرين بالكلام والدفاع عن انفسهم ، فقد وقع الاختيار على جعفر بن أبي طالب (ﷺ)، ليمثل المهاجرين أمام الملك، فكان اختياراً موفقاً ، وظهر ذلك في فصاحته ولباقته ، ومن خلال الحس الأمني العالي الذي امتاز به سيدنا جعفر بن أبي طالب (ﷺ)، أثناء مخاطبته للنجاشي^(٢).

(١) ينظر: البدء والتاريخ ، للمطهر بن طاهر المقدسي (ت: ٣٥٥هـ) ، مكتبة الثقافة الدينية ، من دون طبعة ، (بور سعيد/ بلا سنة نشر) ، ٢٦/٤ ؛ وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ١٩١ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٣٠ ؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، لمحمد سعيد رمضان البوطي (ت: ١٤٣٤هـ)، دار الفكر ، الطبعة الخامسة والعشرون ، (دمشق/ ١٤٢٦ هـ) ، ٧٥ .

فأول ما فعله جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) ، هو أن عدد للنجاشي عيوب الجاهلية، وعرضها بصورة تتفرّ منها السامع ، وقصد بذلك تشويه صورة قريش في عين الملك ، وفي ذات الوقت إبراز محاسن الإسلام ، التي هي نقيض لأفعال الجاهلية ، فضلاً عن ذلك ، فقد نفى التهمة التي لفتتها عليهم قريش ، وقد نجح أيما نجاح ، بدليل أن النجاشي طلب منه أن يقرأ عليه شيئاً من القرآن ، فاختر سورة مريم ، الأمر الذي أثر على النجاشي وبطارقتة ، واختيار جعفر لسورة مريم ، يظهر بوضوح حكمة وذكاء مندوب المهاجرين ، فسورة مريم تتحدث عن مريم وعيسى (عليهما السلام) ، فأثرت في النجاشي وبطارقتة ، حتى بكوا جميعاً، وبعد ذلك أصدر قراره في صالح المسلمين بعدم تسليمهم أبداً^(١).

ولم تياس قريش من محاولة التأثير على موقف النجاشي ، فلجأ وفدهم إلى محاولة أخيرة لا تخلو من دهاء أيضاً، فقد زعم عمرو أن المهاجرين يقولون في عيسى ابن مريم (عليه السلام) قولاً عظيماً ، وهذه بالطبع مكيدة عظيمة ، تؤكد ما قلناه عن ذكاء ودهاء عمرو بن العاص ، ولقد كان لهذه المكيدة أثرها البالغ على المهاجرين، حتى قال قائلهم: (لم ينزل بنا مثلها قط)^(٢)، وقد جعلت النجاشي يستدعيهم مرة أخرى ، ولكن ذكاء

(١) ينظر: الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ٥٢/٢؛ والبداية والنهاية، ٨٧/٣ .

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ٢٦٣؛ والسيرة النبوية - دروس

وعبر، للدكتور مصطفى بن حسني السباعي (ت: ١٣٨٤هـ)، المكتب الإسلامي،

الطبعة التاسعة ، (بيروت-لبنان/١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ، ٢٦ .

وثبات المسلمين على الحق رد هذا السهم إلى نحور رماته ، إذ كانت الإجابة واضحة ، كما جاء بها الإسلام ، هو عبد الله ورسوله ، وروحه ، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول ، فهذا الرد جعل النجاشي يضرب يده بالأرض، ويأخذ عودًا ، ثم يقول : (والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلتَ هذا العود)^(١)، وقال لهم : (اذهبوا فأنتم سُيُومٌ - أي آمنون - بأرضي)^(٢).

وبالنظر إلى هذين الموقفين ، نستنتج أمرين مهمين ، هما دهاء قيادة قريش، وتفوق المهاجرين عليها ... والنص السابق يظهر بوضوح الدهاء والإحكام المتقن في الخطة التي رسمتها قريش للعودة بالمهاجرين^(٣) ، من خلال هذا الاستنتاج نلاحظ ما يأتي :

١ . نلاحظ ابتداءً الدقة في اختيار ممثلي الوفد ، فعمرو بن العاص يعد داهية من دهاة العرب ، يمتاز بالذكاء ، وحسن التصرف ، ولا يقل عنه في ذلك عبد الله بن أبي ربيعة ، فهما من أهل الرأي والمشورة في قريش ، فمثل هذه المهمة ، تحتاج إلى نوعية

(١) ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، لعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد أبو القاسم السهيلي (ت: ٥٥٨هـ) ، تحقيق ، عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، (بيروت/١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ٨٥/٢ .

(٢) الكامل في التاريخ ، لابن الأثير ، ٦١/٢ ؛ والبداية والنهاية ، ٨٧/٣ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٠٠/٣؛ والسيرة النبوية - دروس وعبر، ٢٣ .

معينة من الرجال ، يمتازون بالذكاء ، والحكمة ، والدهاء ،
وحسن التصرف، حتى يكونوا أهلاً للقيام بها^(١).

٢. ولعل من أهم ما يمكن ملاحظته في هذه المهمة ، هو الاتفاق
المسبق على كيفية التخاطب ، وكيف يتم الحوار، فهم اختاروا
أحب الهدايا للنجاشي ، ثم قدموا هدايا لجميع البطارقة ، وطلبوا
منهم أن يثيروا على النجاشي بتسليم المهاجرين ، وكان هذا
الاتفاق قبل مقابلة النجاشي ، مع الإصرار على عدم الكلام
والتحدث مع المهاجرين^(٢).

فاختيار الهدايا التي يحبها النجاشي ، محاولة لكسب جانبه ، وبالتالي
فقد يرضخ لطلبهم ، كما أن إعطاء الهدايا للبطارقة قبل النجاشي ، فيه
محاولة لكسب حاشية الملك أيضاً ، التي غالباً ما تشاركه اتخاذ القرار،
وبالتالي قد تزين له ذلك القرار، وتحمله على الموافقة عليه ، ولاسيما أن
رسولي قريش قد طلبا من القساوسة أن ينصحوا الملك

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٠٣ .

(٢) ينظر: الفصول في السيرة ، لإسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء القرشي
البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق وتعليق : محمد العبد الخطراوي محيي
الدين مستو، مطبعة مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الثالثة، (بلا/١٤٠٣هـ)، ١٥٦؛
والسيرة النبوية - دروس وعبر، ٢٦.

بتسليم المهاجرين لهما^(١).

٣. كما أن تخير الوفد للألفاظ التي وُصف بها المهاجرون ، بكونهم غلمان سفهاء قد فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دين الملك ، إنما كان لإثارة الغضب والسخط على المهاجرين من قِبَل الملك وبتارقاته ، بحيث يصبحون مهينين تمامًا لقبول طلب التسليم ، من دون أن يكلم الملك المهاجرين ، وهذا ما تصبو إليه قريش^(٢).

٤. وكان إصرار الوفد على عدم مقابلة النجاشي للمسلمين ليكلمهم، لعلمهم بأن الادعاء الذي قدموه ، والوصف الذي وصفوه به ، لا يقوم على أساس من الصحة، فإذا كلمهم الملك اتضح له افتراء وفد قريش ، مما قد يترتب عليه فشل الوفد في مهمته ، وهذا ما حدث فعلاً عندما تكلم النجاشي إلى المهاجرين^(٣).

(١) ينظر: مختصر سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ص ٨٦ ؛ والسيرة النبوية وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، لعبد الشافي محمد عبد اللطيف، مطبعة دار السلام ، الطبعة الأولى ، (القاهرة / ١٤٢٨ هـ) ، ٧٤ .
(٢) ينظر: مختصر زاد المعاد، ١٠٦؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ٧٥.

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٩٥/١ ؛ والبداية والنهاية ، ١٤ / ٢٧٣.

المطلب الثالث

الجانب الدعوي المفاد من الهجرة الى الحبشة

إنّ الهجرة الى بلاد الحبشة وما رافق هذه الهجرة من مواقف نستطيع ان نقف على جوانب دعوية ومواقف قيمة ، وقد اشار لبعضها ابن القيم "رحمه الله" من خلال عرضه لهجرة الصحابة (رضي الله عنهم) الى بلاد الحبشة ، والتي اوجزها على النحو الاتي :

١. ثبات المؤمنين على عقيدتهم بعد أن أنزل بهم الأشرار والضالون أنواع العذاب والاضطهاد ، وهذا دليل على صدق إيمانهم وإخلاصهم في عقيدتهم ، وسمو نفوسهم، بحيث يرون ما هم عليه من راحة الضمير واطمئنان النفس والعقل ، وما يأملونه من رضا الله (ﷻ) أعظم بكثير مما ينال أجسادهم من تعذيب وحرمان واضطهاد ، لان ثبات المؤمنين بقوة ارواحهم لا بقوة ابدانهم ، وهم يسرعون الى تلبية مطالب ارواحهم من حيث لا يباليون بما تتطلبه أجسامهم من راحة وشبع ولذة ، وبهذا تنتصر الدعوات وبهذا تتحرر النفوس من الظلمات والجهالات^(١).

٢. شفقة الرسول الكريم (ﷺ) على أصحابه ، ورحمته بهم ، وحرصه

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ١/٩٦؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ٧٦.

الشديد للبحث عما فيه أمنهم وراحتهم ، ولذلك أشار عليهم بالذهاب الى الملك العادل الذي لا يظلم أحداً عنده ، فكان الأمر كما قال (ﷺ) ، أن أمئوا على دينهم ونزلوا عنده في خير منزل^(١) ، فالرسول (ﷺ) هو الذي وجّه الأنظار الى الحبشة ، وهو الذي اختار المكان الآمن لجماعته ودعوته ؛ كي يحميها من الإبادة ، وهذه تربية نبوية لقيادات المسلمين في كل عصر أن تخطط بحكمة وبعد نظر لحماية الدعوة والدعاة ، وتبحث عن الأرض الآمنة التي تكون عاصمة احتياطية للدعوة ، ومركزاً من مراكز انطلاقها فيما لو تعرض المركز الرئيس للخطر ، أو وقع احتمال اجتياحه ، فجنود الدعوة هم الثروة الحقيقية ، وهم الذين تنصب الجهود كلها لحفظهم وحمايتهم ، من دون أن يتم أي تفريط بأرواحهم وأمنهم ، ومسلم واحد يعادل ما على الأرض من بشر خارجين عن دين الله وتوحيده^(٢) .

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٩٧ ؛ ورحمة للعالمين محمد رسول الله سيد الناس أجمعين نبي الرحمة ، الرحمة المهداة خاتم المرسلين (ﷺ) نشأته ، وأخلاقه ، ومعجزاته ، وعموم رسالته (ﷺ) في ضوء الكتاب والسنة ، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني ، من دون طبعة ، (الرياض/ بلا سنة نشر) ، ١١٢ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٩٦/١ ؛ والروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، ٨٦/٢ ؛ وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ٢٥٥ .

٣. على الداعية إذا وجد جماعته في خطر على حياتهم او معتقداتهم من الفتنة ، إن يهيئ لهم مكاناً يأمنون فيه من عدوان المبطلين ، حيث وجودهم في مكان امن ضمان لاستمرار الدعوة وانتشارها^(١).

٤. إن الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام واجب على كل مؤمن ،

وذلك لكي يعبد ربه ويأمن الفتن^(٢)، قال تعالى : ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ

ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾^(٣)، فهذه الآية الكريمة نزلت في

حث المؤمنين الذين كانوا بمكة على الهجرة ، لأن البقاء في بقعة

على أذى الكفار ليس بصواب ، بل الصواب أن يلتمس عبادة الله

(ﷻ) في أرضه مع صالحى عباده ، أي إن كنتم في ضيق من

إظهار الإيمان بها فهاجروا ، فإن ارض الله واسعة لإظهار

التوحيد^(٤)، ثم أخبرهم الله (ﷻ) أن الرزق لا يختص ببقعة معينة ،

بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا ، وأين كانوا، بل كانت أرزاق

المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب، فإنهم بعد قليل صاروا

(١) المصدر نفسه ، ٩٦/١ ؛ والسيرة النبوية - دروس وعبر ، ٢٨ .

(٢) ينظر: فقه السيرة النبوية، ابن قيم الجوزية، ص٩٨؛ والبداية والنهاية،

ج٣/ص٨٦ .

(٣) سورة العنكبوت ، الآية (٥٦) .

(٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لعبد الحق بن غالب بن

عبدالرحمن بن تمام بن عطية أبو محمد الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ) ،

تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ،

(بيروت / ١٤٢٢هـ) ، ٣٢٤/٤ .

حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار^(١)، ولهذا قال
تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ﴾^(٢).

٥. اختيار البلد والأرض الطيبة وإن يكون الملك أو السلطان أو الأمير
عادل^(٣).

وهذا جانب آخر من جوانب الدعوة ودرس بليغ من دروسها ، فهذا
ملك نصراني وهو ملك في الحبشة ، وإرشاد من رسول الله (ﷺ) حينما
قال لهم : (فإن بالحبشة ملكاً عادلاً لا يظلم أحد في جواره)^(٤)، والرسول
(ﷺ) يصفه بأنه عادل، ومن هنا نعلم أن العدل من الكافر يثبت له ملكه،
وكما قال الإمام ابن تيمية "رحمه الله" : (الملك يدوم مع العدل ولو
لكافر، ولا يدوم مع الظلم ولو لمسلم)^(٥).

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٠/٣ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية (٦٠) .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٠/٣ .

(٤) سبق تخريجه ، ٧٩ .

(٥) مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن قاسم

ومساعدة ابنه محمد ، توزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء

والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى ، (الرياض/ ١٣٩٨هـ) ، ٩٦/٧ .

٦. على المؤمن أن يجعل في دعوته وتحركه سرية تامة لا يكشفها أمام الآخرين ، ولا تكون معلومة للعدو، كما تحرك المهاجرون من مكة الى الحبشة من دون الشعور بهم^(١).
٧. لا يتسرع الداعية بأي إجراء يتخذه من خلال خبر يصله يفيد الدعوة أو يضرها من دون التأكد منه ، والرصد له ، كما حدث للمهاجرين عند سماعهم بإسلام أهل مكة واسرعوا في رجوعهم من الحبشة^(٢).
٨. الديانات السماوية أصل واحد ومنبع واحد يستطيع الداعية التواصل من خلالها مع الآخرين والدعوة للحق ، حيث في أمر الرسول (ﷺ) أصحابه بالهجرة الأولى والثانية إلى الحبشة دليل على ان رابط الدين بين المتدينين ولو اختلفت دياناتهم هي أقوى وأوثق من رابطتهم مع الوثنيين والملحدين^(٣).

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٠١ ؛ وأضواء على أوضاعنا السياسية، لعبدالرحمن بن عبد الخالق اليوسف ، مطبعة دار القلم ، الطبعة الاولى ، (الكويت/١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) ، ٢٩ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٢/٣ ؛ وإتباع الهوى لدى المدعو في العهد النبوي، لمصطفى بن عبد الرحمن البار، رسالة ماجستير ، كلية الدعوة والإعلام ، قسم الدعوة والاحتساب، (يلا / ١٤١٧هـ) ، ١٠٥ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٢/٣ ؛ والرسول القائد ، لمحمود شيت خطاب (ت: ١٤١٩هـ)، مطبعة دار الفكر، الطبعة السادسة ، (بيروت/١٤٢٢هـ)،

٩. اعتماد كل شيء عن النبي محمد (ﷺ) من قول وعمل وقرار ثبت صحته ، وجعله اساس للعمل الدعوي^(١) ، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾^(٢).

١٠. على قائد الدعوة ان يكون على علم ودراية بكل ما يجري حوله ، وان يكون ملماً ومطلعاً على أحوال الأمم الأخرى والحكومات ، وهذا ما افدناه من اختيار النبي (ﷺ) للحبشة والنجاشي دون غيره من الملوك^(٣).

١١. الاستعداد التام للعدو واختيار الرجل المناسب في التصدي للأعداء من خلال المناظرات والمناقشات والمحاضرات إلى آخره، فإن اختيار جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ليمثل المهاجرين أمام الملك، كان اختياراً موفقاً، وظهر ذلك في فصاحته ولباقته، ومن خلال الحس الأمني العالي الذي امتاز به سيدنا جعفر (رضي الله عنه)، أثناء مخاطبته للنجاشي، وهذا يظهر بوضوح حكمة وذكاء مندوب المهاجرين^(٤).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٠٧/٣؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ٧٩ .

(٢) سورة النجم ، الآيتان (٤،٣) .

(٣) ينظر: مختصر زاد المعاد ، ١٠٤ ؛ وأضواء على أوضاعنا السياسية ، ٢٩ .

(٤) ينظر: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل، لربيع بن هادي المدخلي، مطبعة مكتبة الفرقان، من دون طبعة، (عجمان/١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م)،

١٢. على الداعية المتقدم للمناظرة أن يكون ذا فصاحة وحكمة وذكاء في اختيار الألفاظ والكلمات المؤثرة في دعوته وفي الدفاع عنها ، واستشهاده بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والآيات المؤثرة والقصص التي تناسب الموضوع كما كان اختيار سيدنا جعفر (عليه السلام) لسورة مريم ، وكيف قرأها عند النجاشي^(١).

١٣. على الداعية ان يستعين بالله (عز وجل) في كل أمر ويثبت في دعوته ولا يضعف ولا تأخذه في الله (عز وجل) لومة لائم ، فالله (عز وجل) هو المثبت والناصر وقادر على أن يخذل العدو وينصر دينه وعباده ، وليحذر من المبطلين فإنهم لا يستسلمون أمام أهل الحق بسهولة ويسر ، فهم كلما أخفقت لهم وسيلة من الوسائل المقاومة والقضاء على دعوة الحق ، ابتكروا وسائل أخرى ، كما فعل رئيس وفد قريش عند النجاشي^(٢).

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٣/٣ ؛ والمسيرة النبوية - دروس وعبر ، ٣٠ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، ابن قيم الجوزية ، ١٠١ ؛ وأصول الدعوة ، للدكتور عبدالكريم زيدان (ت: ١٤٣٥هـ) ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة التاسعة ، (بيروت- لبنان/١٤٢١هـ-٢٠٠١م) ، ١٦٧ ؛ والدعوة قواعد وأصول ، لجمعة أمين عبدالعزيز ، مطبعة دار الدعوة، من دون طبعة، (القاهرة/١٤١٩هـ-١٩٩٩م) ، ٥٥ .

المبحث الثاني

الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله"

على ضوء ذكره لرحلته (ﷺ) الى الطائف

إن مدينة الطائف^(١) هي المدينة الثالثة الكبيرة - بعد مكة ويثرب - التي سعدت بقدوم النبي (ﷺ) إليها ، وقد كانت هذه الرحلة في سبيل الدعوة حدثاً كبيراً ، ليس في السيرة النبوية وحدها بل في تاريخ النبوات والدعوات وقد قصدتها النبي (ﷺ) مرتين ، الأولى في شوال في السنة العاشرة بعد البعثة ، والثانية في شوال في السنة الثامنة بعد الهجرة^(٢).

(١) الطائف: كانت الطائف تعرف باسم (وَجّ) نسبة إلى وج بن عبد الحي احد العمالقة الذين سكنوها، رحلت إليها قبيلة هوازن من وادي القرى، وتزوج زعيمها قسب بن منبه بن بكر بن هوازن بابنة زعيم وج عامر العدواني، واشتهر قسب باسم ثقيف فيما بعد ، وعندما تكاثروا بنوا سورا يكون لهم حصناً، وأطلقوا عليه الطائف، لاطافته بهم، ومن ثم عرفت هذه المدينة بالطائف بدلاً من (وَجّ) ؛ ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد أبو عبيد البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ) عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، (بيروت/ ١٤٠٣هـ) ج ١/ ٦٦- ٦٧ ؛ والنهاية في غريب الحديث والأثر، ١٥٤/٥ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٩٥/١ ؛ وخاتم النبيين (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ٣٦٢/١ ؛ والسيرة النبوية ، لأبي الحسن الندوي ، ٢١٧ .

وتقع مدينة الطائف على مسافة خمسة وسبعين ميلاً تقريباً إلى الجنوب الشرقي من مكة^(١)، وهي واقعة على ظهر جبل غزوان ، ويبلغ ارتفاع هذا الجبل نحو ستة آلاف قدم^(٢).

وقد قصد رسول الله (ﷺ) الطائف ، إمّا لأنه المركز الثاني للقوة والسيادة في الحجاز بعد مكة ، أو لأن أحواله من بني ثقيف ، فرأى أن يخرج إلى الطائف ، حتى يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه^(٣)، وكانت الطائف مستقر عبادة اللات - صنم يُعبد، ويُحج إليه - وكانت تضارع في ذلك مكة ، التي كانت مستقر عبادة (هُبَل) ، صنم قريش الأكبر^(٤).

وما كان النبي (ﷺ) - وهو ابن مكة الواعي - يجهل الصلّات الوطيدة بين مكة والطائف وتزاور أبنائهما ، وإنّ أخبار تكذيب قريش له وتصديهم بالأذى قد بلغت الطائف ، ولكنّه تجشّم هذه الرحلة حرصاً على تبليغ

(١) ذلك بالنسبة إلى الطريق القديم بين مكة والطائف ، أما بعد أن فتح الطريق الجديد المعبد بين مكة والطائف فلا تزيد المسافة على ثمانين كيلو متراً ؛ ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، للدكتور جواد علي (ت: ١٤٠٨هـ) ، دار الساقى ، الطبعة الرابعة ، (بلا/ ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) ، ١٤٢/٤ .

(٢) ينظر: السيرة النبوية ، لأبي الحسن الندوي ، ٢٢٤ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٨/٣ ؛ والبداية والنهاية ، ٣٤٥/٤ .

(٤) ينظر: السيرة النبوية ، لأبي الحسن الندوي ، ٢١١ .

الرسالة وانتشار الدعوة ، وذلك يدلّ على علوّ همّته النبويّة وشدة توكلّه على الله (ﷻ) ، وأمله في الفطرة البشريّة السليمة^(١) .

وهذا التحرك الدعوي السياسي الاستراتيجي الذي يقوم به الرسول (ﷺ) يدل على حرصه في الأخذ بالأسباب لإيجاد دولة مسلمة أو قوة جديدة تطرح نفسها داخل حلبة الصراع ، لأن الدولة أو إيجاد القوة التي لها وجودها من الوسائل المهمة في تبليغ دعوة الله إلى الناس^(٢) .

وفي هذا المبحث سأقف على ذكر رحلته (ﷺ) إلى الطائف ، وما حدث فيها من احداث مهمة ، ثم استخرج منها اهم الجوانب الدعوية التي اشار اليها ابن القيم "رحمه الله" ، وهذا ما سأتناوله في المطلبين الآتيين :
المطلب الأول : اهم الاحداث في رحلته (ﷺ) إلى الطائف .

المطلب الثاني : الجانب الدعوي المفاد من رحلته (ﷺ) إلى الطائف .

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١/٩٦ ؛ وفقه السيرة ، لمحمد الغزالي

السقا (ت: ١٤١٦هـ) ، دار القلم، الطبعة الأولى ، (دمشق/١٤٢٧هـ) ، ٢٨٤ .

(٢) ينظر: البداية والنهاية ، ٤/٣٤٧ ؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة

الراشدة ، ٨٤ .

المطلب الأول

أهم الأحداث في رحلته (ﷺ) إلى الطائف

قد نالت قريش من رسول الله (ﷺ) من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً ، ودخل رسول الله (ﷺ) بيته والتراب على رأسه ، فقامت إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله (ﷺ) يقول لها : (لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أبابك)^(١)، ولقد أطلق النبي (ﷺ) على هذا العام اسم (عام الحزن)^(٢)، لشدة ما كابد فيه من الشدائد في سبيل الدعوة^(٣).

-
- (١) تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن ، لسيد قطب - رحمه الله - ، لعلوي بن عبد القادر السقّاف ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، (بلا/١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ، ٢٨٦/١ ، رقم الحديث (٥٥٧) قال : حديث مرسل .
- (٢) عام الحزن : هو العام الذي توفي فيه أبو طالب عم النبي (ﷺ) ، وزوجته خديجة الكبرى (رضي الله عنها) واشتد الأمر على رسول الله (ﷺ) بعد ذلك كثيراً ، لأن الكفار تمكنوا من أذيته أكثر مما كان قبل مقاومة الدعوة وتعذيب المسلمين ، وما لقي من أهل الطائف في رحلته ، وكان هذا العام العاشر من البعثة ؛ ينظر : تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، ٣٠١/١ .
- (٣) ينظر : حياة محمد ورسالته ، لمحمد علي اللاهوري القادياني (ت: ١٩٥١م) ، ترجمه إلى الإنجليزية : محمد يعقوب خان ، ترجمه إلى العربية : منير بعلبكي (ت: ١٤٢٠هـ) ، مطبعة دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، (بيروت/١٣٩٠هـ) ، ١٠٥ ؛ ودراسة في السيرة ، ٧٥ .

قال ابن القيم "رحمه الله" عن رحلة النبي (ﷺ) إلى الطائف: (فلما نقضت الصحيفة ووافق موت أبي طالب وموت خديجة^(١))، وبينهما يسير، اشتد البلاء على رسول الله (ﷺ) من سفهاء قومه، وتجرؤوا عليه فكاشفوه بالأذى، فخرج رسول الله (ﷺ) إلى الطائف رجاء أن يؤوه وينصروه على قومه ويمنعوه منهم، ودعاهم إلى الله (ﷻ) فلم ير من يؤوي، ولم ير ناصراً، وآذوه مع ذلك أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله قومه، وكان معه زيد بن حارثة مولاه، فأقام بينهم عشرة أيام لا يدع أحداً من أشرفهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلدنا، وأغروا به سفهاءهم، فوقفوا له سماطين^(٢) واستهزؤوا به (ﷺ) وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونه ويصيحون به، وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه وزيد بن حارثة (ﷺ) يقيه بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، فانصرف راجعاً من الطائف إلى مكة محزوناً^(٣).

(١) كان خروجه (ﷺ) في العام العاشر من بعثته، وهذا العام الذي توفت فيه زوجته خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها)، وتوفي فيه عمه أبو طالب، وقد كان بين وفاة خديجة وأبي طالب شهر وخمسة أيام؛ ينظر: مختصر سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ٧٤.

(٢) سِمَاطَيْن، أي: صَفَيْن؛ ويقال سِمَاطَان أي صفان ويقال هم على سِمَاط واحد أي على نظم واحد؛ ينظر: تهذيب اللغة، ٢٤/١٢.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٩٥/١.

لم يسمع اهل الطائف من رسول الله (ﷺ)، ولم يزل به السفهاء حتى
 ألجأوه إلى حائط - بستان - لعنبة وشيبة ابني ربيعة^(١)، فلما اطمأن
 رسول الله (ﷺ)، يعنى في ظل الحائط، قال: (اللهم إليك أشكو ضعف
 قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب
 المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو
 ملكته أمرى؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي
 أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصلاح عليه أمر
 الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك، لك
 العتبي^(٢) حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك^(٣)، فلما رآه ابنا ربيعة وما

(١) عتبة وشيبة ابني ربيعة ابن عبد مناف اخوة من قريش كانوا ممن لهم اموال في
 الطائف ومن ضمنها هذا البستان والحائط الذي استظل به رسول الله (ﷺ)، وقد
 قتل حمزة بن عبد المطلب شيبة ابن ربيعة يوم بدر، وهو ابن عمه، لانهما ابنا
 عبد مناف عن قيس بن عباد؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣٧٢/١.

(٢) العتبي : هو اسم من الإعتاب لا من العتب أي أنت المطلوب إعتابه ولك علي
 أن أعتبك وأرضيك بطاعتك فافعل ما ترضى به عني ، الإعتاب وهو من الله
 ومن العبد باعتبارين فأعتاب الله عبده إزالة عتب نفسه عن عبده وإعتاب العبد
 ربه إزالة عتب الله عليه والعبد لا قدرة له على ذلك إلا بتعاطي الأسباب التي
 يزول بها عتب الله تعالى عليه؛ ينظر: بدائع الفوائد ، لمحمد بن أبي بكر ابن
 أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، دار الكتاب العربي ،
 من دون طبعة ، (بيروت - لبنان/ بلا سنة نشر) ، ١٨١/٤ .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢٨/٣، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع؛
 ينظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن =

لقى، تحركت له رَحْمَهُمَا، فدعوا غلامًا لهما نصرانيًا، يقال له عَدَّاس^(١)، فقالا له: خذ قِطْفًا من هذا العنب، فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه، ففعل، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله (ﷺ)، ثم قال له: كُلْ، فلما وضع رسول الله (ﷺ) فيه يدهُ قال: بسم الله، ثم أكل، فنظر عدَّاس في وجهه، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله (ﷺ): (ومن أي البلاد أنت يا عدَّاس؟ وما دينك؟ قال: نصراني وأنا رجل من أهل نينوى، فقال رسول الله (ﷺ): من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال له: وما يدريك ما يونس ابن متى؟ قال رسول الله (ﷺ): ذاك أخي، كان نبيًا وأنا نبي) (٢)،

=نجاتي ابن آدم أبو عبدالرحمن، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، أشراف: زهير الشاويش، المكتبة الإسلامية، من دون طبعة، (بلا/ بلا سنة نشر)، ٣٥٨/١ .

(١) عداس: هو مولى عتبة بن ربيعة الثقفي، وكان من أهل نينوى قرية الموصل، أوقعه حظه في الأسر، فبيع في سوق الرقيق، وجيء به إلى الطائف فصار مملوكا لعتبة وشيبة ابني ربيع، وقد اسلم، وقيل مات في معركة بدر، وقيل بعد رجوعه؛ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، لابن الأثير، ٤/٤؛ والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، ٣٨٥/٤ .

(٢) أخرجه ابن قدامة في كتابه الرقة والبكاء لابن قدامة، لأبي محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، =

فَأَكْبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) يُقْبَلُ رَأْسَهُ وَيَدِيَهُ وَقَدَمِيهِ (١) .

ورجع رسول الله (ﷺ) في طريق مكة بعد خروجه من الحائط كئيباً محزوناً كسير القلب ، فلما بلغ قرن المنازل (٢) بعث الله إليه جبريل (الكلبي) ، ومعه ملك الجبال ، يستأمره أن يطبق الأخشبين (٣)

= دار القلم - الدار الشامية، الطبعة الأولى، (دمشق-بيروت/ ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ١١٤ ، وقال المحقق : حديث حسن .

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٨/٣ ؛ وتفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) ، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، (بلا/١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ، ٨٠/١ ؛ والاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (ﷺ) والثلاثة الخلفاء ، لسليمان بن موسى بن سالم بن حسان أبو الربيع ، الكلاعي الحميري (ت: ٦٣٤هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ، (بيروت/١٤٢٠هـ) ، ٢٤٧/١ .

(٢) قرن المنازل: وهو قرن الثعالب، بسكون الراء: ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة، وهو قرن أيضا غير مضاف وأصله الجبل الصغير المستطيل المنقطع عن الجبل الكبير ، وقرن قرية بينها وبين مكة أحد وخمسون ميلاً وهي ميقات أهل اليمن، بينها وبين الطائف ذات اليمين ستة وثلاثون ميلاً ؛ ينظر: معجم البلدان ، ٣٣٢/٤ .

(٣) الْأَخْشَبَيْنِ: الأخشبان: هما الجبلان المطيفان بمكة وهما (أبو قبيس) وقعيقعان، ويسميان الجبجان أيضاً، ويقال: (بل هما أبو قبيس والأحمر، وهو جبل مشرف=

على أهل مكة (١).

ففي الحديث عن عُرْوَةَ بن الزُّبَيْرِ (٢) أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ (ﷺ) أَنَّهَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) : (يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمٍ أَحَدٍ ؟ فَقَالَ : لَقَدْ لَقَيْتُ مِنْ قَوْمِكَ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقَيْتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتَ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ (٣) ، فَلَمْ يَجِبْنِي

=وجهه على قعيقعان) والأخشب: كل جبل خشن غليظ الحجارة ؛ ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض ، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية ، من دون طبعة ، (بلا/ بلا سنة نشر) ، ٣٥٨/٢ ، مادة (خشب) .

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٨/٣ ؛ والرحيق المختوم ، ١٠٧ .

(٢) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي المدني: يكنى أبا عبد الله ، قدم مصر وتزوج بها امرأة من بني وعلة ابنة أسميفع بن وعلة ، وأقام بمصر سبع سنين، وكان فقيها فاضلاً ، توفي سنة ثلاث وتسعين ؛ ينظر: موسوعة أقوال الإمام أحمد بن حنبل في رجال الحديث وعلله ، جمع وترتيب: السيد أبو المعاطي النوري ، وأحمد عبد الرزاق عيد ، ومحمود محمد خليل ، عالم الكتب، الطبعة الأولى ، (بلا/١٤١٧هـ/١٩٩٧م) ، ٤٤١/٢ .

(٣) ياليل: صنم أضيف إليه مثل عبد يعوث وعبد مناة ، وكانت عند أحد هؤلاء الإخوة امرأة من قریش من بني جمح، ولعلها لذلك اختار الرسول (ﷺ) لقاءهم والحديث إليهم ودعوتهم إلى الإسلام ابن عبد ياليل ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ١٠٥/٤ ؛ وتاريخ دمشق ، ١٢٣/١٢ .

إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلمتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل (عليه السلام) ، فناداني فقال : إن الله (ﷻ) قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت ، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ ثم قال: يا محمد إن الله (ﷻ) قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك ، فما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال رسول الله (ﷺ) : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً^(١).

ولما انصرف النبي (ﷺ) من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خبر ثقيف، حتى إذا كان بنخلة^(٢)، فقام من جوف الليل يصلي ، فمر به

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٩٦/١ ، ٢٨/٣ ؛ واخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب : اذا قال احدكم امين والملائكة في السماء ، ١١٥/٤ ، رقم الحديث (٣٢٣١) ؛ واخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب : ما لقي النبي (ﷺ) من اذى المشركين والمنافقين ، ١٤٢٠/٣ ، رقم الحديث (١٧٩٥) .

(٢) نخلة: موضع على ليلة من مكة ، وكان بها لقريش وبنى كنانة بعض الطواغيت التي كانت تعظمها مع الكعبة لأنهم قالوا : أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا فكانت لهم بيوت تعظمها وتطوف بها كطوافها بالكعبة ؛ ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد الله بن عبد المنعم أبو عبد الله الجميري (ت: ٩٠٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة ، طبع على مطابع دار السراج ، الطبعة الثانية ، (بيروت/١٩٨٠م) ، ٥٧٦ .

النفر من الجن الذين ذكرهم الله (ﷺ) ، وكانوا سبعة نفر من جن أهل نصيبين^(١) ، فاستمعوا الى تلاوة الرسول (ﷺ) ؛ فلما فرغ من صلاته ، ولّوا إلى قومهم منذرين ، فقد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا^(٢) ، فقص الله (ﷺ) خبرهم على النبي (ﷺ) ، في كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٣٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ .^(٣)

ثم عاد رسول الله (ﷺ) - ومعه زيد بن حارثة (رضي الله عنه) - يريد دخول مكة، فقال له زيد (رضي الله عنه) : (كيف تدخل عليهم يا رسول الله وهم أخرجوك ؟ فقال : يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً ، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه)^(٤) ، ثم أرسل رجلاً من خزاعة إلى

(١) نصيبين: بفتح أوله ، وكسر ثانيه هي مدينة ديار ربيعة وهي مدينة كبيرة في مستو من الأرض ذات سور حصين وأسواق عامرة ومقاصد تجارات ، وهي بين الحيرة والشام و أكثر المدن نزاهة في الجزيرة ، وبها أديرة للنصارى ؛ ينظر : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، لمحمد بن محمد ابن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي (ت: ٥٦٠هـ)، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، (بيروت / ١٤٠٩هـ) ، ٦٦٢/٢ .

(٢) ينظر: صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب : في ذكر الجن ، ٤٦/٥ ، رقم الحديث (٣٨٥٩) .

(٣) سورة الأحقاف ، الآيتان (٢٩، ٣٠) .

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٣٠ ؛ والبداية والنهاية ، ٤/١٥٤ .

المطعم بن عدي^(١)، فقال المطعم : نعم ، ثم تسلح ودعا بنيه وقومه فقال: البسوا السلاح ، وكونوا عند أركان البيت ، فإني قد أجرت محمداً ، ثم بعث إلى رسول الله (ﷺ): أن ادخل، فدخل رسول الله (ﷺ)، ومعه زيد بن حارثة (رضي الله عنه) حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المطعم بن عدي على راحته فنادى : يا معشر قريش ، إني قد أجرت محمداً فلا يهجه أحد منكم، وانتهى رسول الله (ﷺ) إلى الركن فاستلمه ، وصلى ركعتين ، وانصرف إلى بيته ، ومطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته^(٢).

وقد حفظ رسول الله (ﷺ) للمطعم هذا الصنيع ، فقال في أسرى بدر: (لو كان المطعم بن عدي حياً ثم كلمني في هؤلاء الننتى لتركتهم له)^(٣).

(١) المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي القرشي النوفلي ، كان شريفاً ذا صيت في قريش، وكان حسن البلاء في أمر الصحيفة التي كتبها قريش على بني هاشم في حصار شعب بني طالب ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٢٣٣/١ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٨/٣ ؛ وفتح السيرة النبوية ، لابن القيم الجوزية ، ٨٠ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل احداث ، ٢١٧ .

(٣) اخرج البخاري في صحيحه ، كتاب فرض الخمس ، باب : ما من النبي على الاسرى من غير ان يخمس ، ٩١/٤ ، رقم الحديث (٣١٣٩) .

المطلب الثاني

الجانب الدعوي المفاد من رحلته (ﷺ) إلى الطائف

ومن هذه الرحلة والمواقف العظيمة التي حدثت لرسولنا الكريم (ﷺ) استطيع أن اقف على دروس عدة ، قد اشار اليها ابن القيم "رحمه الله" من خلال عرضه لرحلته (ﷺ) للطائف ، ومن اهم هذه الجوانب الدعوية المفادة والتي اوجزها على النحو الآتي :

١. على الداعية أن يجد مكاناً او ميداناً جديداً للدعوة بعد أن قامت الحواجز دونها في ميدانها الأول ، وكما أن في إغراء ثقيف صبيانها وسفهاءها بالرسول (ﷺ) ، دليلا على أن طبيعة الشر واحدة أينما كانت، وهي الاعتماد على السفهاء في إيذاء دعاة الخير^(١).

٢. قد يحمي الداعية أحدُ أقربائه ممن ليسوا على دعوته ، وفي ذلك فائدة للدعوة حين تكون مستضعفة ، إذ يمنع الأشرار من العدوان على حياته أو مسه بأذى ، فعصبية القبيلة والعائلة قد يفيد منها

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢١/٣ ؛ والسيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها، لعبدالرحمن على الحجى، مطبعة دار ابن كثير، الطبعة الأولى ، (دمشق/١٤٢٠هـ) ، ٣٢٣ .

الداعية في حمايته وحماية دعوته إذا لم يسايرها على ما هي عليه من منكرات^(١).

٣. إنَّ في سيل الدماء من قدمي النبي الكريم (ﷺ) ، هو أكبر مثل لما يتحمله الداعية في سبيل الله (ﷻ) من أذى واضطهاد^(٢).

٤. إنَّ في دعاء النبي (ﷺ) في البستان فيه تأكيد لصدق الرسول (ﷺ) في دعوته ، وتصميم على الاستمرار فيها مهما قامت في وجهه الصعاب ، وأنه لا يهمله إلا رضا الله وحده ، فلا يهمله رضا الكبراء والزعماء ، ولا رضا العامة والدهماء ، كما أن فيه استمداد القوة من الله باللجوء إليه والاستعانة به عندما يشتد الأذى بالداعية، وفيه أن خوف الداعية كل الخوف هو من سخط الله

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٠١ ؛ والمختصر الكبير في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، لعبد العزيز بن محمد بن إبراهيم ، ابن جماعة الكناني، الحموي الأصل، الدمشقيّ، ثم المصري، عز الدين (ت: ٧٦٧هـ) ، تحقيق: سامي مكّي العاني ، دار البشير ، الطبعة الأولى، (عمان/١٩٩٣م) ، ٥٨ ؛ وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، لنخبة من العلماء، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الطبعة الأولى ، (المملكة العربية السعودية / ١٤٢١هـ) ، ١١٦ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ص ١٠٢ ؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، ٨٤ .

عليه وغضبه ، لا من سخط أي شيء سواه^(١).

٥. اختيار النبي (ﷺ) للطائف ، كان اختيارًا مبنياً على أسس أمنية مهمة ، فكون الطائف قريبة من مكة ، يجعل الوصول إليها سهلاً قليل المخاطر ، كما أن وجود أخواله فيها ربما ضمن له جانباً من الحماية على وفق أعراف الجاهلية ، وقرب ديار بني سعد ، ربما أعانه على السير ، لأنهم أخواله في الرضاعة ، وربما يكون مأمون الجانب^(٢).

٦. خروج الرسول (ﷺ) ماشياً، يعد أيضاً تصرفاً حكيمًا، فعندما تراه قريش على هذه الحالة ماشياً على قدميه ، لا يخطر ببالها إطلاقاً أنه ينوي الخروج من مكة ، أما لو خرج راكباً فذلك مما يثير الشبهة والشكوك ، وأنه ينوي الخروج والسفر إلى جهة ما، مما قد يعرضه لل منع من الخروج من قبل قريش ، ولكن خروجه ماشياً ضمن له مغادرة مكة من دون اعتراض من أحد^(٣).

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢١/٣ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ٢١٢ .

(٢) ينظر: البداية والنهاية ، ٤ / ١٥٤ ؛ وروح البيان ، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ) ، مطبعة دار الفكر، من دون طبعة ، (بيروت/ بلا سنة نشر) ، ٤٤٥/٨ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٨/٣ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ٢١٣ .

٧. اختيار الرسول (ﷺ) زيداً كي يرافقه في رحلته ، فيه جوانب أمنية، فزيد هو ابن رسول (ﷺ) بالتبني ، فإذا رآه معه أحد ، لا يثير ذلك أي نوع من الشك ، لقوة الصلة بينهما، كما أنه (ﷺ) عرف زيداً عن قرب ، فعلم فيه الإخلاص والأمانة، والصدق ، والوفاء ، فهو إذن مأمون الجانب ، فلا يفشي سرّاً ، ويعتمد عليه في الصحبة ، وهذا ما ظهر عندما كان يقي النبي (ﷺ) الحجارة بنفسه ، حتى أصيب بشجاج في رأسه (ﷺ) (١).

٨. اتصاله (ﷺ) برؤساء ثقيف قبل غيرهم ، حين دخوله إلى الطائف، تصرف سليم، يتطلبه الموقف، وذلك لأن الأمر أمر نصر وتأييد، وهذا ما لا يتأتى إلا من سادات القوم لا من عوامهم ، فإذا وافق هؤلاء كان الآخرون تبعاً لهم ، لذا بدأ بهم الرسول (ﷺ) دون غيرهم (٢).

وعندما كان رد هؤلاء النفر رداً قبيحاً مشوباً بالاستهزاء والسخرية ، تحمله الرسول (ﷺ) ولم يغضب أو يثور، بل طلب منهم أن يكتموا عنه ، فهذا تصرف غاية في الحيطة ، فإذا علمت قريش بهذا الاتصال ، فإنها

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٠٢ ؛ والبداية والنهاية ، ٤ / ١٦١ ؛ والرحيق المختوم ، ١١١ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١ / ٩٦ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ٢١١ .

لا تسخر منه فحسب ، بل ربما شددت عليه في العذاب والاضطهاد ،
وحاولت رصد تحركاته داخل وخارج مكة^(١).

٩. الحوار الجميل ، إن حوارہ (ﷺ) مع عداس قد اظهرت براعته (ﷺ)
في كيفية إدارة الحوار، مما ترتب عليه أن أصبح عداس يسأل
عن المعلومة من الرسول (ﷺ) والإنسان حين يسأل عن المعلومة،
فإنه يهتم بها، ويعي مضمونها ، بخلاف ما لو أُلقيت عليه دون
أن يطلبها، لذا كان أثر تلك المعلومة على عداس واضحًا، فنجم
عن ذلك أن قَبِلَ رأس وبدي وقدمي رسول الله (ﷺ) ، وأعلن
إسلامه^(٢).

ونستفيد من قصة عداس غلام بنى ربيعة ، انه لا بأس في قبول هدية
المشرك، وأن لا يتورع عن طعامه ، وفيه دعوة عداس للإسلام وتعجبه
لمعرفة النبي (ﷺ) أخبار يونس بن متى (عليه السلام) ، وهو (ﷺ) أمي ، وفي
أمة أمية^(٣).

١٠. إنَّ من أسباب انتصار الدعاة العمل والتمسك بسنة نبيهم (ﷺ)،
فإن التسمية قبل الأكل كسائر السنن الظاهرة من أسباب تميز

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢٣/٣؛ والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ٧١.

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٠٣ ؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز
لتاريخ الخلافة الراشدة ، ٨٤ ؛ وفقه السيرة ، لمحمد الغزالي السقا ، ٢٨٤ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٩/٣ ؛ وسبل الهدى والرشاد، في سيرة
خير العباد ، ٤٣٩/٢ .

المسلمين على من حولهم من الوثنيين ، وهذا التميّز يلفت أنظار الكفار ويدفعهم الى السؤال عن سبب ذلك ، ثم يقودهم ذلك الى فهم الدين الإسلامي والانجذاب إليه ، إن تسمية النبي (ﷺ) قبل الأكل تطبيق لسنة من سنّة الإسلام الظاهرة ، وقد كان من بركة ذلك انجذاب الرجل النصراني إلى الإسلام ، فما أن ذكر رسول الله (ﷺ) اسم الله (ﷻ) قبل الأكل حتى اهتز كيان ذلك المولى النصراني وجاشت مشاعره ، فأخبر النبي (ﷺ) بعجبه من ذلك حيث لا يعرف أهل تلك البلاد ذكر اسم الله (ﷻ)^(١).

١١ . على الداعية ان يتصرف حسب الظروف المهيئة له والمؤمنة له ؛ لكي لا يقع في ملابسات تضر بالدعوة وبه ، وهذا رسول (ﷺ) قدوتنا ومثلنا الأعلى ، فعندما عاد من الطائف إلى مكة ، لم يدخلها ، بل ذهب إلى غار حراء وجلس فيه ، حيث يعد ذلك تصرفاً أمنياً تمليه الظروف والملابسات ، فالرسول (ﷺ) أدرك أن قريشاً علمت بخروجه لا سيما وقد مكث في الطائف عشرة أيام ، وتبين الاخبار ودخل جوار المطعم واطمئن على الدعوة واستمرارها^(٢).

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٠٣ ؛ والاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (ﷺ) والثلاثة الخلفاء ، ٢٤٩/١ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٩/٣ ؛ وفقه السيرة ، محمد الغزالي السقا ، ٢٨٤ .

١٢. يجوز للمسلمين أن يدخلوا في حماية غير المسلمين إذا دعت الحاجة إلى ذلك، سواء أكان المجير من أهل الكتاب أو كان مشركاً ، كأولئك الذين عادوا من الحبشة ودخلوا في حماية أبي طالب عم رسول الله (ﷺ) ، وكالمطعم بن عدي الذي دخل الرسول (ﷺ) مكة في حمايته عندما رجع من الطائف^(١).

١٣. وفي عرض الرسول (ﷺ) نفسه على القبائل في طريقه الى الطائف، دليل على أن الداعية لا ينبغي أن يقتصر في دعوة الناس إلى الخير ضمن مجالسه وفي بيئته فحسب، بل يجب أن يذهب إلى كل مكان يجتمع فيه الناس أو يمكن أن يجتمعوا فيه ، وأنه لا ينبغي له أن ييأس من إعراضهم عنه مرة بعد أخرى ، فقد يهين الله (ﷻ) له أنصاراً يؤمنون بدعوته الخيرة من حيث لا يفكر ولا يحتسب ، وقد يكون لهذه القلة التي تهتدي به في بعض المناسبات شأن كبير في انتشار دعوة الحق والخير، وفي انتصارها النصر النهائي على الشر وأعدائه^(٢) .

١٤. دفاع الدعاة عن نبيهم (ﷺ)، ودينهم وعلمائهم ؛ حيث نستفيد مما كان يفعله زيد بن حارثة (رضي الله عنه) ، من وقاية الرسول (ﷺ) بنفسه ، من حجارة السفهاء ، حتى أنه شج في رأسه عدة شجاج ، نموذج

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٩/٣ .

(٢) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ٢١١ .

لما ينبغي أن يكون عليه حال الأمة بالنسبة لقائد الدعوة ، من حمايته له بنفسه ودفاعه عنه وإن اقتضى ذلك التضحية بحياته^(١).

المبحث الثالث

الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره للهجرة النبوية الشريفة

يعد حادث الهجرة فيصلاً بين مرحلتين من مراحل الدعوة الإسلامية ، هما المرحلة المكية والمرحلة المدنية ، ولقد كان لهذا الحادث آثار جليّة على المسلمين ، ليس فقط في عصر رسول الله (ﷺ) ولكن آثاره الخيرة قد امتدت لتشمل حياة المسلمين في كل عصر ومصر ، كما أن آثاره شملت الإنسانية أيضاً ، لأن الحضارة الإسلامية التي قامت على أساس الحق والعدل والحرية والمساواة هي حضارة إنسانية ، قدمت ، ولا زالت تقدم للبشرية أسمى القواعد الروحية والتشريعية الشاملة ، التي تنظم حياة الفرد والأسرة والمجتمع ، والتي تصلح لتنظيم حياة الإنسان كإنسان بغض النظر عن مكانه أو زمانه أو معتقداته ، وقد كان نجاح الإسلام في تأسيس

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٠٦ .

وطن له وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة ، فهذه من أعظم المكاسب التي حصل عليها المسلمون منذ بداية الدعوة ^(١).

وفي هذا المبحث سأذكر احداث من الهجرة النبوية الشريفة ، وما تحمله من المواقف والفوائد الكثيرة ، ثم استخرج منها اهم الجوانب الدعوية المهمة التي اشار اليها ابن القيم "رحمه الله" ، وهذا ما سأتناوله في المطلبين الآتيين :

المطلب الأول: ذكر اهم الاحداث في هجرته (ﷺ) إلى المدينة المنورة.
المطلب الثاني: الجانب الدعوي المفاد من الهجرة النبوية الشريفة .

المطلب الأول

ذكر اهم الاحداث في هجرته (ﷺ)

إلى المدينة المنورة

اولاً: اسباب اختيار المدينة المنورة للهجرة

تعد الهجرة النبوية المباركة من مكة إلى المدينة المنورة ^(٢) -يثرب- أهم حدث في تاريخ الامة الاسلامية والدعوة ، إذ كانت نقطة تحول في تاريخ

(١) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ٢٣٣ .

(٢) المدينة المنورة : هي مدينة الرسول الأعظم عليه أفضل الصلاة والسلام ، وقد تكررت كثيراً في السيرة ، وهي أشهر من أن تعرف هنا، ولها من التاريخ ما ملأ=

المسلمين ، كان المسلمون قبل الهجرة أمة دعوة ، يبلغون دعوة الله (ﷺ) للناس ، دون أن يكون لهم كيان سياسي ، يحمي الدعاة والدعوة ويدفع عنهم الأذى من أعدائهم^(١).

فبعد ما تيقن الرسول (ﷺ) من أن مكة لم تعد تصلح أن تكون أرضاً تؤوي الدعوة وتحميها ، بل باتت تهدد وجودها ، كان لابد لدعوة الإسلام من أرض تقف عليها، وتتطلق منها ، وتكون لها السيطرة عليها ، حتى يتسنى لها الانتشار ومجابهة الباطل ، الذي يقف أهله عقبة في طريق الدعوة^(٢).

=عشرات الكتب الضخام ، وكانت تسمى (يثرب) فسمها رسول الله (ﷺ) (المدينة)، وسمها أيضاً (طابة) ، وفي الحديث: (إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها)، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ، ورواه الإمام أحمد في مسنده، ٢٨٣/١٥ ، رقم الحديث (٩٤٧١) ، وقال : إسناده صحيح على شرط الشيخين ؛ ينظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، لعاتق بن عيث بن زوير البلادي الحربي (ت : ١٤٣١هـ) ، دار مكة للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، (مكة المكرمة/١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) ، ٢٨٤ .

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٩٦/١ ؛ والبدء والتاريخ ، ٩٥/٤ ؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ٢٣٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ٩٦/١ ؛ ومكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (ﷺ) ، لأحمد إبراهيم الشريف ، مطبعة دار الفكر العربي ، من دون طبعة ، (بلا/ بلا سنة نشر) ، ٢٣٩ .

وكان لابد لهذه الأرض من أن تتوفر فيها بعض السمات ، حتى تكون عونًا للمسلمين على أداء دورهم في خلافة الأرض ، وإقامة العدل، فقد رأى النبي (ﷺ) في منامه دار الهجرة ومميزاتها ، كما جاء في الحديث النبوي الشريف: (رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة، أو هجر، فإذا هي المدينة يثرب)^(١)، ولعل من أبرز الصفات التي امتازت بها المدينة المنورة هي :

١. إنَّ المدينة كانت مركزًا تجاريًا مهمًا بين شمالي الجزيرة العربية وجنوبيها، وكانت- وما تزال - أرضًا زراعية خصبة ، يزرع بها التمر بكميات هائلة ، وعندما جاء الصحابة (رضي الله عنهم) للمدينة المنورة ، وجدوها أرضًا عامرة بالزراعة^(٢).

٢. تمتاز المدينة بموقع طبيعي حصين ، إذ تحيط بها الجبال ، والحرار من كل الجوانب، وقد ظهرت أهمية هذه الميزة حين هجوم

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/ ٥٤ ؛ وأخرجه البخاري في كتابه صحيح البخاري ، كتاب مناقب الانصار، باب هجرة النبي (ﷺ) وأصحابه إلى المدينة ، ٥٦/٥ ، رقم الحديث (٣٨٩٧) ، وفي رواية اخرى للبخاري : (إنني رأيت دار هجرتكم ، ذات نخل بين لابتيين) ، من حديث عائشة (رضي الله عنها) .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٠٧ ؛ والهجرة النبوية - دراسة وتحليل ، لمحمد السيد الوكيل ، مطبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة الثانية عشر ، (المدينة المنورة / ١٤٠٠ هـ) ، ١٧٩ ؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ٢٣٥ .

الأحزاب عليها ، فقد فشلت قريش في الدخول إلى المدينة المنورة لمجرد حفر المسلمين للخندق^(١) .

٣. أما بخصوص موقع المدينة ، فكان فريداً ، حيث تتمتع بمنافذ وقنوات اتصال مع الخارج ، إذ كانت تمثل همزة الوصل بين شمالي الجزيرة وجنوبيها ، لذا كانت المدينة سالكة مع الخارج^(٢) .

٤. أما أمر الأنصار وحمائيتهم للدعوة، فأمر معلوم تشهد به مجاهداتهم في بدر، وأحد، وغيرهما، فقد كان الأنصار من الأوس والخزرج^(٣) معروفين بقوة الشكيمة، والفروسية، والشجاعة، والنخوة، وكانوا أهل خبرة وبصر بالقتال وفنونه، ولهذا لم يتأخروا أبداً عن

(١) ينظر: فتوح البلدان ، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت: ٢٧٩هـ)، دار ومكتبة الهلال ، من دون طبعة ، (بيروت/١٩٨٨م) ، ١٢٢ ؛ والسيرة النبوية، لأبي الحسن الندوي ، ٢٤٥ .

(٢) ينظر: تاريخ الطبري ، ٩٥/٤ ؛ والكامل في التاريخ ، ٧٧/٣ .

(٣) الأوس والخزرج : وهما قبيلتان من الأزديين ينتمون إلى شعب قحطان ، اللذان سكنوا يثرب، بعدما عطف ثعلبة بن عمرو جدّهم نحو الحجاز بعد خراب سد مأرب (سنة ١٢٠ ق م) وكان الأوس والخزرج يسمعون اليهود يتحدثون عن النبوة والأنبياء ويتلون صحف التوراة ويفسرونها، بل كانوا يتوعّدونهم به، ويقولون: إنّه سيبعث نبيّ في آخر الزمان ، نقتلكم معه قتل عاد وإرم ؛ ينظر: مغاني الأختيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار ، ٣٨٢/٣ .

رسول الله (ﷺ) ، فدوه بالنفس والنفيس^(١).

ونظرًا لتلك الصفات المتفردة ، لم يكن غريبًا أن تصبح المدينة أصلح مكان لهجرة الرسول (ﷺ) وصحبه (رضي الله عنهم) ، فاتخذوها لهم دارًا وقرارًا ، حتى يقوى الإسلام ، ويشق طريقه إلى الأمام ، ويفتح الجزيرة ثم يفتح العالم المتمدن^(٢).

ثانياً: اسباب الهجرة

قال ابن القيم "رحمه الله" عن الهجرة النبوية الشريفة: (فلما رأى المشركون أصحاب رسول الله (ﷺ) قد تجهزوا وخرجوا وحملوا ، وساقوا الذراري والأطفال والأموال إلى الأوس والخزرج ، وعرفوا أن الدار دار منعة ، وأن القوم أهل حلقة وشوكة وبأس ، فخافوا خروج رسول الله (ﷺ) إليهم ولحوقه بهم ، فيشتد عليهم أمره ، فاجتمعوا في دار الندوة^(٣) ، ولم

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٤/٣ ؛ والسيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، ٤٦١/١ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١١٠ ؛ ومختصر سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ١٢٤ .

(٣) دار الندوة : وهي مكان يجتمعون فيها ليحكم فيها بين قريش ، ثم صارت الدار لتشاورهم وعقد الألوية في حروبهم فكانت أول دار بنيت بمكة ، فكانوا لا يتشاورون في أمر ، ولا يعقدون لواء بالحرب إلا فيها ، ولا يدخلها إلا من بلغ سن الأربعين ؛ ينظر: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، لحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق أبو الوليد الغساني المكي =

يتخلف أحد من أهل الرأي والحجة منهم ليتشاوروا في أمره، وحضرهم وليهم وشيخهم إبليس في صورة شيخ كبير من أهل نجد ، فتذاكروا أمر رسول الله (ﷺ) ، فأشار كل واحد منهم برأي، والشيخ يرده ولا يرضاه ، إلى أن قال أبو جهل^(١): قد فرق لي فيه رأي ما أراكم قد وقعتم عليه، قالوا: ما هو؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة من قريش غلاماً نهداً جلدًا، ثم نعطيه سيفاً صارماً، فيضربونه ضربة رجلٍ واحد، فيتفرق دمه في القبائل، فلا تدري بنو عبد مناف بعد ذلك كيف تصنع، ولا يمكنها معاداة القبائل كلها، ونسوق إليهم ديتته، فقال الشيخ : لله در الفتى، هذا والله الرأي، قال: فتفرقوا على ذلك، واجتمعوا عليه، فجاءه جبريل بالوحي من

=المعروف بالأزرقى (ت: ٢٥٠هـ) تحقيق: رشدي الصالح ملحس ، دار الأندلس للنشر ، من دون طبعة ، (بيروت/ بلا سنة نشر) ، ١٠٩/٢ ؛ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ١٠٩/٣ .

(١) أبو جهل: هو عدو الله، فرعون هذه الأمة، اسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القريشي المخزومي، وكان أبا جهل يكنى في الجاهلية أبا الحكم، وكناه رسول الله (ﷺ) أبا جهل، وكان أبو جهل وابنه عكرمة من أشد الناس عداوة لرسول الله (ﷺ) فقتل الله أبا جهل يوم بدر كافرًا وبقي عكرمة ، ثم هداه الله تعالى، فأسلم عكرمة بعد الفتح بقليل ؛ ينظر: جمهرة أنساب العرب ، لأبي محمد علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ) ، تحقيق: لجنة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، (بيروت/ ١٤٠٣/ ١٩٨٣) ، ١٤٥ ؛ وتهذيب الأسماء واللغات ، ٢٠٦/٢ .

عند ربه تبارك وتعالى، فأخبره بذلك، وأمره أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة^(١).

(وجاء رسول الله ﷺ) إلى أبي بكر (ﷺ) نصف النهار في ساعة لم يكن يأتيه فيها متقنعا، فقال له : (أخرج من عندك)^(٢)، فقال: إنما هم أهلك يا رسول الله، فقال: إن الله قد أذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحابة يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، فقال أبو بكر (ﷺ): فخذ بأبي وأمي إحدى راحتي هاتين، فقال رسول الله ﷺ: (بالثمن)^(٣)، وأمر علياً (ﷺ) أن يبيت في مضجعه تلك الليلة، واجتمع أولئك النفر من قريش يتطلعون من صير الباب ويرصدونه، ويريدون بياته، ويأتمرون أيهم يكون أشقاها، فخرج رسول الله ﷺ عليهم فأخذ حفنة من البطحاء، فجعل يذره على رؤوسهم ، وهم لا يرونه، وهو يتلو قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَكَّاءَ وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهَمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾^(٤)، ومضى رسول الله ﷺ إلى بيت أبي بكر (ﷺ)، فخرجا من خوخة في دار أبي بكر ليلا، وجاء رجل ورأى القوم ببابه فقال: ما تنتظرون؟ قالوا: محمدا، قال:

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٦/٣؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١١٢ .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ٢٩٣/٢؛ ومختصر زاد المعاد، ١١١ .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٦/٣؛ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب

مناقب، باب: هجرة النبي (ﷺ) وأصحابه إلى المدينة، ٥٨/٥، رقم الحديث

(٣٩٠٥)، من حديث عائشة (رضي الله عنها).

(٤) سورة يس، الآية (٩).

خبتم وخسرتم ، قد والله مر بكم وذر على رؤوسكم التراب، قالوا: والله ما أبصرناه، وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم، فلما أصبحوا قام علي (ﷺ) عن الفراش فسأله عن رسول الله (ﷺ) ، فقال: لا علم لي به (١). ثم مضى (ﷺ) وأبو بكر (ﷺ) إلى غار ثور، فدخلاه ، وضرب العنكبوت على بابه ، وكانا قد استأجرا عبد الله بن أريقط الليثي (٢) ، وكان هادياً ماهراً بالطريق ، وكان على دين قومه من قريش ، وأمناه على ذلك، وسلمما إليه راحلتيهما، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ، وجدّت قريش في طلبهما، وأخذوا معهم القافة (٣)، حتى انتهوا إلى باب الغار، فوقفوا عليه (٤).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٧/٣؛ وفقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١١٣ .
(٢) عبد الله بن أريقط الليثي الدبلي وهو ابن الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وقيل: من بنى عدى بن عمرو بن خزاعة ، وقيل اسمه : أريقه ، وعند ابن سعد: أريقط وعن مالك اسمه : أريقط، ويقال ابن ارقد ، وهو دليلا وهاديا خريتا والخريت الماهر ، وهو علي دين كفار قريش ، ولم يعرف له إسلام ؛ ينظر: جمل من أنساب الأشراف ، ٢٦٠/١ .

(٣) القافة: مفردھا قائف: هو الذي يعرف الآثار، آثار الأقدام، ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه، وهم مشهورون من (مدلج) قبيلة من بني مرة بن عبد مناة بن كنانة، ينسبون الولد لابيه من اثاره ومشهورين في اتباع الآثار؛ ينظر: غريب الحديث، لحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب أبو سليمان البستي المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرابوي، وخرج أحاديثه: عبدالقيوم عبد رب النبي دار الفكر، من دون الطبعة، (بلا/١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، ٧٠٠/١ .

(٤) ينظر: الرسالة المحمدية ، للسيد سليمان الندوي الحسيني (ت: ١٣٧٣هـ) ، دار ابن كثير ، الطبعة الأولى ، (دمشق/١٤٢٣هـ) ، ٦٢ .

وفي الصحيحين : أن أبا بكر (رضي الله عنه) قال : يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى ما تحت قدميه لأبصرنا ، فقال (رضي الله عنه) : (يا أبا بكر ما ظنك باثنين ، الله ثالثهما ، لا تحزن فإن الله معنا)^(١) ، وكان النبي (رضي الله عنه) وأبو بكر يسمعان كلامهم فوق رؤوسهما ، ولكن الله (سبحانه) عمى عليهم أمرهما ، وكان عامر بن فهيرة يرعى عليهما غنما لأبي بكر ، ويتسمع ما يقال بمكة ، ثم يأتيهما بالخبر ، فإذا كان السحر سرح مع الناس^(٢) .

وقالت عائشة (رضي الله عنها) : وجهزناهما أحسن الجهاز ، ووضعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها) قطعة من نطاقها ، فأوكت به الجراب ، وقطعت الأخرى فصيرتها عصاماً لخم القرية ، فلذلك لقبت ، ذات النطاقين^(٣) .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٧/٣ ؛ وأخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل الصحابة ، باب : مناقب المهاجرين وفضلهم ، ٤/٥ ، رقم الحديث (٣٦٥٣) .

(٢) الفوائد ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت : ٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، (بيروت/١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ، ٧٢ .

(٣) ذات النطاقين : هي أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها) قطعة من نطاقها ، فأوكت به الجراب ، وقطعت الأخرى فصيرتها عصاماً لخم القرية ، فكانت تسمى (ذات النطاقين) ، وزوجها هو الزبير بن العوام وكان إسلامها قديماً بمكة ، وهاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير ، وتوفيت أسماء بمكة في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بيسير ، ويقال : إنها عمرت مائة سنة ؛ ينظر : معرفة الصحابة لابن منده ، ٩٣٢ ؛ وجمهرة اللغة ، =

وعن عمر (رضي الله عنه) قال: (خرج رسول الله (ﷺ) إلى الغار ، ومعه أبو بكر (رضي الله عنه) ، فجعل يمشي ساعة بين يديه ، وساعة خلفه ، حتى فطن له رسول الله (ﷺ) فسأله ، فقال له : يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم أذكر الرصد ، فأمشي بين يديك ، فقال: (يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني ؟)^(١) ، قال : نعم ، والذي بعثك بالحق ، فلما انتهى إلى الغار ، قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار ، فدخل فاستبرأه ، حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الجحرة ، فقال : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ الجحرة ، ثم قال : انزل يا رسول الله فنزل ، فمكثنا في الغار ثلاث ليال حتى خمدت عنهما نار الطلب ، فجاءهما عبد الله بن أريقط بالراحتين ، فارتحلا وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة وسار الدليل أمامهما ، وعين الله تكلؤهما)^(٢).

- = لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ) ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، (بيروت/١٩٨٧م) ، ٩٢٥/٢ .
- (١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣ / ٤٨ ؛ واخرجه الحاكم في المستدرک علی الصحیحین ، لمحمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري أبو عبد الله الحاكم المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، (بيروت/١٤١١هـ/١٩٩٠م) ، ٧/٣ ، كتاب الهجرة ، رقم الحديث (٤٢٦٨) ، وقال صحيح ، وأقره الذهبي وقال : صحيح مرسل .
- (٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣ / ٤٨ ؛ وتاريخ الطبري ، ٤ / ٧٤ ؛ والكامل في التاريخ ، ٣ / ٤٥ .

ولما يئس المشركون من الظفر بهما جعلوا لمن جاء بهما دية كل واحد منهما، فجد الناس في الطلب ، والله غالب على أمره ، فلما مروا بحي بني مدلج مصعدين من قديد ، بصر بهم رجل من الحي، فوقف على الحي فقال : لقد رأيت أنفا بالساحل أسودة ما أراها إلا محمداً وأصحابه ، ففطن بالأمر سراقة بن مالك^(١)، فأراد أن يكون الظفر له خاصة وقد سبق له من الظفر ما لم يكن في حسابه فقال : بل هم فلان وفلان ، خرجا في طلب حاجة لهما ، ثم مكث قليلاً ثم قام فدخل خبائه وقال لخادمه : اخرج بالفرس من وراء الخباء وموعدك وراء الأكمة ، ثم أخذ رمحه وركب فرسه، فلما قرب منهم وسمع قراءة رسول الله (ﷺ) ، وأبو بكر (رضي الله عنه) يكثر الالتفات ، ورسول الله (ﷺ) لا يلتفت ، فقال أبو بكر: يا رسول الله هذا سراقة بن مالك قد لحق بنا ، فدعا عليه رسول الله (ﷺ) فساخت يدا فرسه في الأرض ، فقال: قد علمت أن الذي أصابني بدعائكما ، فادعوا الله لي، ولكما علي أن أرد الناس عنكما ، فدعا له رسول الله (ﷺ) ، فأطلق ، وسأل رسول الله (ﷺ) أن يكتب له كتاباً، فكتب له أبو بكر بأمره في

(١) سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبدمناة بن علي ابن كنانة المدلجي الكناني، يكنى أبا سفيان، ومات سراقة بن مالك بن جعشم سنة أربع وعشرين في صدر خلافة عثمان، وقد قيل: إنه مات بعد عثمان ؛ ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ٢٣٧/٤ .

أديم^(١)، وكان الكتاب معه إلى يوم فتح مكة ، فجاءه بالكتاب فوفاه له رسول الله (ﷺ) ، وقال : (يوم وفاء وبر)^(٢)، وعرض عليهما الزاد والحملان ، فقالا : لا حاجة لنا به ولكن عم عنا الطلب ، فقال : قد كفيتم ، ورجع فوجد الناس في الطلب ، فجعل يقول : قد استبرأت لكم الخبر ، وقد كفيتم ما هاهنا ، فكان أول النهار جاهداً عليهما ، وآخره حارساً لهما^(٣) .

ثم مر رسول الله (ﷺ) في مسيره ذلك ، حتى مر بخيمتي أم معبد الخزاعية^(٤)، وكانت امرأة برزة جلدة تحبني بفناء الخيمة ، ثم تطعم وتسقي

(١) ينظر: صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب: هجرة النبي (ﷺ) واصحابه الى المدينة ، ٦٠/٥ ، رقم الحديث (٣٩٠٦) ، تعليق مصطفى البغا ، وقال المعلق: و(أديم) هو الجلد المدبوغ.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٠/٣ ؛ اخرجه ابن حبان في الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ، (بيروت/١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ، ١٨٨/١٤ ، رقم الحديث (٦٢٨١) ، قال المحقق: حديث صحيح .

(٣) ينظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد بن الحسين بن علي ابن موسى الخُسْرُوْجِرْدِي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (ت : ٤٥٨هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، (بلا / ١٤٠٥هـ) ، ٤٣٧/١ .

(٤) أم معبد الخزاعية : هي عاتكة بنت خالد أخت حبيش ، لما خرج رسول الله (ﷺ) من مكة مهاجراً إلى المدينة هو وأبو بكر ومولى له يدعى عامر بن فهيرة=

من مر بها، فسألاها : هل عندها شيء؟ فقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القرى ، والشاء عازب، وكانت سنة شهباء ، فنظر رسول الله (ﷺ) إلى شاة في كسر الخيمة ، فقال : (ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هي أجهد من ذلك ، فقال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ قالت : نعم ، بأبي وأمي إن رأيت بها حلبا فاحلبها...)^(١) ، فمسح رسول الله (ﷺ) بيده ضرعها ، وسمى الله ودعا ، ثم دعا بإناء لها يربض الرهط ، فحلب فيه حتى علت الرغوة ، فسقاها فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، ثم شرب وحلب فيه ثانيا حتى ملاً الإناء ثم غادره عندها ، فارتحلوا ، فقلما لبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعززا عجافاً يتساوكن هزالاً لا نقي بهن ، فلما رأى اللبن عجب فقال : من أين لك هذا والشاة عازب ؟ ولا حلوبة في البيت ؟ فقالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت ، ومن حاله كذا وكذا ، قال : والله هذا صاحب قریش الذي ذكروا من أمره ما ذكروا ، لقد هممت أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً ، وأصبح صوت بمكة عالياً يسمعونه ولا يرون القائل :

ودليلهما الليثي عبد الله بن الأريقط ، مروا على خيمتي أم معبد ، وكانت امرأة جلدة تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم فسألوها لحمأً وتمراً ليشتروه منها فلم يصيبوا عندها شيئاً ؛ ينظر: الوافي بالوفيات ، ٣١٦/١٦ .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٠٠/٣ ؛ والسيرة النبوية لابن هشام ، ٤٨٨/١ ؛ والمختصر الكبير في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ٧٥ .

جزى الله رب العرش خير جزائه
هما نزلا بالبر وارتحلا به
فيا لقصي ما زوى الله عنكم
ليهن بنتي كعب مكان فتاتهم
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها
دعاها بشاة حائل فتحبت
فغادرها رهنا لديها لحالب

رفيقين حلا خيمتي أم معبد
وأفلح من أمسى رفيق محمد
به من فعال لا يجازى وسؤدد
ومقعدا للمؤمنين بمرصد
فإنكم إن تسألوا الشاء تشهد
عليه صريحا صرة الشاة مزيد
يردد في مصدر ثم مورد^(١).

قالت أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها): ما درينا أين توجه رسول الله
(ﷺ)، إذ أقبل رجل من الجن من أسفل مكة، فأنشد هذه الأبيات، والناس
يتبعونه ويسمعون صوته، ولا يرونه حتى خرج من أعلاها، قالت: فلما
سمعنا قوله، عرفنا حيث توجه رسول الله (ﷺ) وأن وجهه إلى المدينة^(٢).

ويلغ الأنصار مخرج رسول الله (ﷺ) من مكة، وقصده المدينة، وكانوا
يخرجون كل يوم إلى الحرة ينتظرونه أول النهار، فإذا اشتد حر الشمس
رجعوا على عادتهم إلى منازلهم، فلما كان يوم الاثنين ثاني عشر ربيع
الأول على رأس ثلاث عشرة سنة من النبوة خرجوا على عادتهم، فلما
حامي حر الشمس رجعوا، وصعد رجل من اليهود على أطم من أطام
المدينة لبعض شأنه، فرأى رسول الله (ﷺ) وأصحابه مبيضين يزول بهم

(١) فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ص ١١٧؛ وإمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال
والأموال والحفدة والمتاع، ٦٤/١.

(٢) المرجع نفسه، ١١٧؛ ومختصر زاد المعاد، ١١٥.

السراب ، فصرخ بأعلى صوته : يا بني قيلة ، هذا صاحبكم قد جاء ، هذا جدكم^(١) الذي تنتظرونه ، فبادر الأنصار إلى السلاح ليتلقوا رسول الله (ﷺ) ، وسمعت الرجة والتكبير في بني عمرو بن عوف ، وكبر المسلمون فرحاً بقدومه ، وخرجوا للقاءه ، فتلقوه وحيوه بتحيةة النبوة ، فأحدقوا به مطيفين حوله والسكينة تغشاه ، والوحي ينزل عليه : ﴿ وَإِنْ تَطَهَّرَ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾^(٢) ، فسار حتى نزل بقباء في بني عمرو ابن عوف ، فنزل على كلثوم بن الهدم^(٣) ، وقيل : بل على سعد بن خيثة^(٤) ، والأول أثبت ، فأقام في بني عمرو بن

(١) جدكم: أي هذا حظكم وصاحبكم ودولتكم الذي تتوقعونه ، أوجدكم وسلطانكم ، وقد يحتمل أن يريد سعدكم ودولتكم وكلاهما متقارب ؛ ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي ، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ) ، المكتبة العتيقة- دار التراث ، من دون طبعة ، (بلا/ بلا سنة نشر) ، ١٤١/١ .

(٢) سورة التحريم ، من الآية (٤) .

(٣) كلثوم بن الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو ابن عوف بن مالك بن الأوس ، وكان شيخاً كبيراً ، مات بعد قدوم رسول الله (ﷺ) المدينة بيمسير ، وهو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبي (ﷺ) ، ثم مات بعده أسعد بن زرارة بأيام ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ١٣٢٨/٣ .

(٤) سعد بن خيثة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم ابن امرئ القيس بن مالك بن الأوس ، يكنى أبا خيثة ، وقيل: أبو=

عوف ، وأسس مسجد قباء^(١)، وهو أول مسجد أسس بعد النبوة^(٢).
فلما كان يوم الجمعة ركب بأمر الله له ، فأدركته الجمعة في بني سالم
ابن عوف^(٣)، فجمع بهم في المسجد الذي في بطن الوادي ، ثم ركب
فأخذوا بخطام راحلته ، هلم إلى العدد والعدة والسلاح والمنعة، فقال (ﷺ):

=عبد الله، وقيل: إن أبا خيثمة الذي لحق النبي (ﷺ) بتبوك ، قتل ببدر ؛ ينظر:
معرفة الصحابة ، للاصبهاني ، ١٢٥٢/٣ .

(١) قباء: بضم القاف وتخفيف الموحدة وآخره همزة: جاء من أماكن كثيرة من السيرة،
أهمها نزوله (ﷺ) بقباء أول وصوله إلى المدينة، وبنائه فيه أول مسجد أسس،
وقباء هذه قرية على ميلين جنوب المدينة، وأقام بها رسول الله (ﷺ) الاثنتين،
والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وقد اتخذ بنو عمرو بن عوف مسجد قباء، وبعثوا
للنبي (ﷺ) أن يأتيهم فأتاهم وصلّى فيه ، وفعله هذا سنة إذ كان (ﷺ) يأتي مسجد
قباء كل سبت ماشيا وراكبا ؛ ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد
والمواضع ، ١٠٤٥/٣ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٢/٣؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية،
١١٨ .

(٣) بني سالم بن عوف : هم أبناء عمّام بني عمرو بن عوف الذين نزل عندهم
رسول الله (ﷺ) يسكنون في المدينة المنورة في بطن الوادي ، وادي رانواء،
أدركته (ﷺ) صلاة الجمعة فصلاها في المسجد بني سالم ، فكانت أول جمعة
صلاها بالمدينة ، ووادي رانواء: واد صغير بين قباء ومسجده (ﷺ)، يصب من
حرة قباء في وادي بطحان جنوب مسجد الغمامة ، ولا يعرف اسم الوادي اليوم إلا
للخاصة ، ولكن مسجد الجمعة معروف هناك، وقد ظهر في المخطط الذي نشر
في رسم المدينة ؛ ينظر: معجم المَعَالِم الجغرافية في السيرة النبوية ، ١٣٥ .

(خلا سبيلها فإنها مأمورة)^(١)، فلم تنزل ناقته سائرة به لا تمر بدار من دور الأنصار إلا رغبوا إليه في النزول عليهم ، فسارت حتى وصلت إلى موضع مسجده اليوم وبركت ، ولم ينزل عنها حتى نهضت وسارت قليلا ، ثم التفتت فرجعت فبركت في موضعها الأول ، فنزل عنها ، وذلك في بني النجار أخواله (ﷺ)^(٢).

وكان من توفيق الله لها فإنه أحب أن ينزل على أخواله يكرمهم بذلك ، فجعل الناس يكلمون رسول الله (ﷺ) في النزول عليهم، ويأدر أبو أيوب الأنصاري^(٣) (ﷺ) إلى رحله فأدخله بيته ، فجعل رسول الله (ﷺ) يقول : (المرء مع رحله)^(٤).

-
- (١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٣/٣ ؛ والسيرة النبوية لابن هشام ، ٤٩٤/١ .
(٢) ينظر : مختصر زاد المعاد ، ١١٤ ؛ والرحيق المختوم ، ١٥٧ .
(٣) أبو أيوب الأنصاري الخزرجي، واسمه خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عمرو بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار، وأمه هند بنت سعد بن قيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأكبر، حضر أبو أيوب العقبة، ونزل عليه رسول الله (ﷺ) حين قدم المدينة في الهجرة، وعاش بعد ذلك زمانا طويلا ، حتى مات ببلد الروم غازياً في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وقبره في أصل سور القسطنطينية ؛ ينظر : الطبقات الكبرى ، ١٨٨/١ .
(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج٣/ص٥٣ ؛ وتاريخ الطبري ، ٣٩٦/٢ ؛ والرسول القائد، ٢٨٥ .

قال ابن عباس (رضي الله عنهما): كان رسول الله (ﷺ) بمكة ، فأمر بالهجرة ، وأنزل عليه قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ (١) ، وقال قتادة (٢) "رحمه الله": أخرج الله من مكة إلى المدينة مخرج صدق، ونبي الله يعلم أنه لا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان ، فسأل الله سلطاناً نصيراً، وأراه الله (ﷺ) دار الهجرة وهو بمكة ، فقال: (أريت دار هجرتكم بسبخة ذات نخل بين لابتين) (٣) .

(١) سورة الاسراء ، الآية (٨٠) .

(٢) قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري : مفسر حافظ ضرير أكمه ، قال الامام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة ، وكان مع علمه بالحديث ، رأساً في العربية ومفردات اللغة وأيام العرب والنسب ، وكان يرى القدر، وقد يدلّس في الحديث، ومات بواسط في الطاعون في سنة ١١٨ هـ ؛ ينظر: التعديل والتجريح ، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح ، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (ت: ٤٧٤ هـ)، تحقيق: د. أبو لبابة حسين دار اللواء للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، (الرياض/ ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) ، ج٣/ص ١٠٦٣ ؛ والأعلام ، ٤٢٢/١ .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٤/٣ ؛ اخرج البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الانصار ، باب: هجرة النبي (ﷺ) وأصحابه إلى المدينة ، ٥٨/٥ ، رقم الحديث (٣٩٠٥)، من حديث عائشة (رضي الله عنها) .

وقال البراء (رضي الله عنه) : (أول من قدم علينا من أصحاب رسول الله (ﷺ) مصعب ابن عمير ، وابن أم مكتوم^(١) ، فجعلنا يقرءان الناس القرآن ، ثم جاء عمار وبلال وسعد ، ثم جاء عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في عشرين راكباً ، ثم جاء رسول الله (ﷺ) ، فما رأيت الناس فرحوا بشيء كفرحهم به ، حتى رأيت النساء والصبيان والإماء يقولون : هذا رسول الله قد جاء)^(٢) .

أما ذكر بناء المسجد ، فبعد ما بركت ناقة النبي (ﷺ) كان موضع مسجده ، وهو يومئذ يصلي فيه رجال من المسلمين ، وكان مريداً لسهل وسهيل غلامين يتيمين من الأنصار كانا في حجر أسعد بن زرارة ، فساوم رسول الله (ﷺ) الغلامين بالمريد ليتخذ مسجداً ، فقالا : بل نهبه لك يا رسول الله ، فأبى رسول الله (ﷺ) ، فابتاعه منهما بعشرة دنانير ، وكان جداراً ليس له سقف ، وقبلته إلى بيت المقدس ، وكان فيه شجرة غرقد وخرب ونخل وقبور للمشركين ، فأمر رسول الله (ﷺ) بالقبور فنبشت ، وبالخرب فسويت ، وبالنخل والشجر فقطعت وصفت في قبلة المسجد ، وجعل طوله مما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، والجانبين مثل ذلك أو

(١) ابن أم مكتوم: هو عبد الله بن شريح بن قيس من بني عامر بن لؤي وأمه عاتكة بنت مخزوم الذي أنزل الله (ﷺ) فيه: سورة (عَبَسَ) وكان ضريراً، واسم أم مكتوم هي عاتكة بنت عبد الله؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣/٩٧٩.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/٥٤؛ وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الانصار، باب: هجرة النبي (ﷺ) وأصحابه إلى المدينة، ٥/٥٤، رقم الحديث (٣٩٢٥)، من حديث البراء بن عازب (رضي الله عنه) .

دونه ، وجعل أساسه قريباً من ثلاثة أذرع ، ثم بنوه باللبن ، وجعل رسول الله (ﷺ) يبني معهم ، وينقل اللبن والحجارة بنفسه ويقول :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة (١)

وكان يقول :

هذا الحمال لا حمال خبير هذا أبر ربنا وأظهر (٢)

وجعلوا يرتجزون وهم ينقلون اللبن ، ويقول بعضهم في رجزه :

لئن قعدنا والرسول يعمل لذاك منا العمل المضلل (٣)

وجعل قبلته إلى بيت المقدس ، وجعل له ثلاثة أبواب ، بابا في

مؤخره، وبابا يقال له : باب الرحمة ، والباب الذي يدخل منه رسول الله

(ﷺ) ، وجعل عمده الجذوع ، وسقفه بالجريد ، وقيل له : ألا تسقفه

فقال: (لا عريش كعريش موسى) (٤) ، وبنى إلى جنبه بيوت أزواجه باللبن ،

وسقفها بالجريد والجذوع ، فلما فرغ من البناء بنى بعائشة في البيت الذي

(١) فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٢٠ ؛ والبداية والنهاية ، ٣٤٥/٤ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٦/٣ ؛ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب

مناقب الانصار ، باب هجرة النبي (ﷺ) وأصحابه إلى المدينة ، ٦٠/٥ ، رقم

الحديث (٣٩٠٦) .

(٣) فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٢٠ .

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٦/٣ ؛ وفيض القدير شرح الجامع الصغير ،

٧٤١/٤ ، رقم الحديث (٥٤١٦) ، قال الالباني : حديث صحيح .

بناه لها شرقي المسجد قبله ، وهو مكان حجرته اليوم ، وجعل لسودة بنت زمعة بيتا آخر^(١).

ثم آخى رسول الله (ﷺ) بين المهاجرين والأنصار في دار أنس بن مالك (رضي الله عنه) وكانوا تسعين رجلا نصفهم من المهاجرين ، ونصفهم من الأنصار ، آخى بينهم على المواساة ، وان يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام ، وكان ذلك إلى حين واقعة بدر^(٢) ، فلما أنزل الله (ﷻ) : ﴿ أَلَيْسَ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ وَأُزْوَاجُهُمْ وَأُولَآئِكَ أَوْلَىٰ بِبَعْضِكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَآئِكُمْ مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾^(٣) ، فرد التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة^(٤).

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٢١ ؛ والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، ٧٨ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٦/٣ .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية (٦) .

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٧/٣ ؛ وفقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٢١ ؛ والرحيق المختوم ، ١١٩ ؛ والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، ٧٨ .

المطلب الثاني

الجانب الدعوي المفاد

من الهجرة النبوية الشريفة

ومن هذه الهجرة النبوية الشريفة للنبي (ﷺ) واصحابه الكرام (رضي الله عنهم) استطيع ان اقف على عدة أحداث ودروس ومواقف عدة ، قد اشار اليها ابن القيم "رحمه الله" من خلال عرضه لهجرة النبي (ﷺ) الى المدينة المنورة ، ومن اهم هذه الجوانب الدعوية المفادة والتي اوجزها على النحو الاتي :

١_ ضرورة الجمع بين التوكل على الله (ﷻ) والأخذ بالأسباب :

التوكل في لسان الشرع يراد به توجه القلب إلى الله حال العمل ، واستمداد المعونة منه، والاعتماد عليه وحده ؛ فذلك سر التوكل وحقيقته ، والذي يحقق التوكل هو القيام بالأسباب المأمور بها؛ فمن عطلها لم يصح توكله ؛ فلم يكن التوكل داعية إلى البطالة ، أو الإقلال من العمل ، بل لقد كان له الأثر العظيم في إقدام عظماء الرجال على جلائل الأعمال^(١).
ومن هنا فإن رسول الله (ﷺ) أحكم خطة هجرته ، وأعد لكل فرض عُدته ، ولم يدع في حسبانه مكاناً للحظوظ العمياء ، ثم توكل بعد ذلك على من بيده ملكوت كل شيء ، وكثيراً ما يرتب الإنسان مقدمات النصر

(١) ينظر: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل ، ٦٥ .

ترتيباً حسناً ؛ ثم يجيء عَوْنُ أعلى يجعل هذا النصر مضاعف الثمار ، وهكذا جرت هجرة رسول الله (ﷺ) من مكة إلى المدينة على هذا الغرار ؛ فقد استبقى معه أبا بكر وعلياً (رضي الله عنهما) ، وأذن لسائر المؤمنين بتقدمه إلى المدينة ، فأما أبو بكر فإن الرسول (ﷺ) قال له حين استأذنه ؛ ليهاجر : (لا تعجل ؛ لعل الله أن يجعل لك صاحباً) ^(١) ، وأما علي ابن ابي طالب (رضي الله عنه) فبقية في بيت الرسول (ﷺ) ليرد الامانات الى اهلها ويوهم قريش .

بل الأخذ بالأسباب أمر ضروري وواجب ، ولكن لا يعني ذلك دائماً حصول النتيجة ، ذلك لأن هذا أمر يتعلق بأمر الله (ﷻ) ، ومشيئته ومن هنا كان التوكل أمراً ضرورياً وهو من باب استكمال اتخاذ الأسباب ^(٢) . وهذا رسول الله (ﷺ) أعد كل الأسباب ، واتخذ الوسائل كلها ، ولكنه في الوقت نفسه مع الله يدعو ويستتصره أن يكمل سعيه بالنجاح وهنا يستجاب الدعاء ، وينصرف القوم بعد أن وقفوا على باب الغار ، وتسيخ

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٣/٣ ؛ واخرجه الهيتمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيتمي ، دار الفكر ، من دون طبعة ، (بيروت/ ١٤١٢هـ) ، ٧٦/٦ ، رقم الحديث (٩٩٢٠) ، وقال المحقق : حديث حسن .

(٢) المصدر نفسه ، ٥٣/٣ ؛ والسيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) ، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي ، أبو الفرج ، نور الدين (ت : ١٠٤٤هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، (بيروت/ ١٤٢٧هـ) ، ٦٥ .

فرس سراقفة في الأرض ويكلل العمل بالنجاح^(١).

٢ _ تبليغ الدعوة بالسيرة الحسنة :

وهذا من شأنه أن يجذب الناس إلى الإسلام، فالسيرة الطيبة للداعي، وأفعاله الحميدة ، وصفاته العالية، وأخلاقه الكريمة والتزامه بالإسلام ظاهرًا وباطنًا مما يجعله قدوةً طيبةً وأسوةً حسنةً لغيره ؛ لأن التأثير بالأفعال والسلوك أبلغ من التأثير بالكلام وحده، وأصول السيرة الحسنة التي يكون بها الداعية قدوةً طيبةً لغيره ترجع إلى أصليين عظيمين هما: حسن الخلق، وموافقة العمل للقول^(٢).

٣ _ الصراع المستمر بين الحق والباطل :

فعلى الداعية أن يعلم بان الصراع بين الحق والباطل صراع قديم وممتد، وهو سنة إلهية نافذة^(٣)، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ

(١) ينظر: فقه السيرة ، ابن قيم الجوزية ، ١١٢ ؛ والحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم ، لعبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني دمشقي (ت: ١٤٢٥هـ)، دار القلم، الطبعة الاولى، (دمشق/١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ، ٣٠٨.

(٢) ينظر: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، للدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ، (السعودية /١٤٢٣هـ) ، ١٢٩.

(٣) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١١٣ .

صَوْمِعُ وَيَبِعُ وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ
 اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١﴾ ، ولكن هذا الصراع معلوم
 العاقبة ، فقال تعالى : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۗ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ
 عَزِيزٌ ﴾ (٢) .

٤_ المكر المستمر من خصوم الدعوة بالداعية والدعوة :

إنَّ مكر خصوم الدعوة أمر مستمر ومتكرر، سواء عن طريق الحبس
 أو القتل أو النفي والإخراج من الأرض، فيجب على الداعية أن يلجأ إلى
 الله (ﷻ) وأن يثق به ويتوكل عليه ويعلم أن المكر السيئ لا يحيق إلا
 بأهله (٣)، كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴾ (٤) .
 ومن مكر أهل الباطل وخصوم الدعوة استخدام سلاح المال لإغراء
 النفوس الضعيفة للقضاء على الدعوة والدعاة، ولذلك رصدوا مائة ناقة
 لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، فتحرك الطامعون ومنهم سراقاة ، الذي عاد بعد
 هذه المغامرة الخاسرة مادياً بأوفر ربح وأطيب رزق ، وهو رزق الإيمان ،
 وأخذ يعمي الطريق على الطامعين الآخرين الذين اجتهدوا في الطلب،

(١) سورة الحج ، الآية (٤٠) .

(٢) سورة المجادلة ، الآية (٢١) .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٤/٣ ؛ والرحيق المختوم ، ١٠٦ .

(٤) سورة الانفال ، الآية (٣٠) .

وهكذا يرد الله (ﷻ) عن أوليائه والدعاة^(١)، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾^(٢).

٥_ التخطيط جزء من السنّة النبوية :

إنّ من تأمل حادثة الهجرة ورأى دقة التخطيط فيها ودقة الأخذ بالأسباب من ابتدائها الى انتهائها ومن مقدماتها الى ما جرى بعدها يدرك أن التخطيط المسدد بالوحي في حياة رسول الله (ﷺ) كان قائماً ، وأن التخطيط جزء من السنّة النبوية ، وهو جزء من التكليف الإلهي في كل ما طوبى به المسلم وأن الذين يميلون الى العفوية بحجة أن التخطيط وإحكام الأمور ليس من السنّة ، فهؤلاء وأمثالهم مخطئون ويجنون على أنفسهم وعلى المسلمين الكثير من صعوبات الحياة^(٣).

٦_ الإيمان بالمعجزات الحسية :

وفي هجرة النبي (ﷺ) وقعت معجزات حسية، وهي دلائل ملموسة على حفظ الله (ﷻ) ورعايته لرسول الله (ﷺ)، ومن ذلك نسيج العنكبوت على فم الغار، ومنها ما حدث لرسول الله (ﷺ) مع أم معبد، وما جرى له مع

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١١٥ ؛ والبداية والنهاية ، ١٦١/٤ ؛

والسيرة النبوية ، لأبي الحسن الندوي ، ٢٣٤ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية (٣٦) .

(٣) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١١٤ ؛ والسيرة الحلبية في سيرة الأمين

المأمون، ٦٥ .

سراقة، ووعدته إياه بأن يلبس سوارى كسرى، فعلى الدعاة أن لا يتصلوا من هذه الخوارق، بل يذكرها مادامت ثابتة بالسنة النبوية، على أن ينبهوا الناس على أن هذه الخوارق هي من جملة دلائل نبوته ورسالته (ﷺ)^(١).

٧_ جواز الاستعانة بالكافر المأمون :

ويجوز للدعاة أن يستعينوا بمن لا يؤمن بدعوتهم ما داموا يتقون بهم ويأتمنونهم على ما يستعينون به معهم ، فقد رأينا أن النبي (ﷺ)، وأبا بكر (رضي الله عنه) استأجرا مشركاً ليدلهم على طريق الهجرة ، ودفعوا إليه راحتيهما، وواعده عند غار ثور، وهذه أمور خطيرة اطلعاه عليها ، ولاشك في أن النبي (ﷺ) قد وثق به وأمنه ، مما يدل على أن الكافر أو العاصي أو غير المنتسب الى الدعوة ، قد يوجد عند هؤلاء ما يستدعي وثوق الدعاة بهم ، كأن تربطهم رابطة القرابة، أو المعرفة القديمة، أو الجوار، أو عمل معروف كان قد قدمه الداعية لهم^(٢).

٨_ دور المرأة في الدعوة :

وقد لمعت في سماء الهجرة أسماء كثير من الصحابيات ، كان لهن فضل كبير ونصيب وافر في الدعوة وفي الجهاد ، ومنها عائشة بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنها) التي حفظت لنا القصة ووعتها وبلغتها

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٩/٣ ؛ ودلائل النبوة ومعرفة أحوال

صاحب الشريعة، ٤٩/٣ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، ابن قيم الجوزية ، ١١٤ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع

وتحليل احداث، ٢٨١ .

للأمة ، وأم سلمة (رضي الله عنها) المهاجرة الصبور ، وأسماء ذات النطاقين التي اسهمت في تموين الرسول (ﷺ) وصاحبه في الغار بالماء والغذاء ، وكيف تحملت الأذى في سبيل الله (ﷺ) ، فقد حدثتنا (رضي الله عنها) عن ذلك فقالت : (لما خرج رسول الله (ﷺ) وأبو بكر (رضي الله عنهما) من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر (رضي الله عنه) ، فخرجت إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا بنت أبي بكر ؟ قالت : قلت : لا أدري والله أين أبي ؟ قالت : فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشاً خبيثاً - فطمخني لطمة طرحت منها قرطي ، قالت : ثم أنصرفوا)^(١).

فهذا درس من أسماء (رضي الله عنها) تعلمه لنساء المسلمين جيلاً بعد جيل كيف تخفي أسرار المسلمين عن الأعداء، وكيف تقف صامدة شامخة أمام قوى البغي والظلم ؟ وأما درسها الثاني البليغ ، فعندما دخل عليها جدها أبو قحافة^(٢) ، وقد ذهب بصره ، فقال: والله إني لأراه قد

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣ / ٥٩ ؛ والهجرة النبوية المباركة ، للدكتور عبد الرحمن البر، دار الكلمة، الطبعة الأولى، (المنصورة- مصر) / ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م) ، ص ١٢٧ .

(٢) أبو قحافة: هو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، أبو قحافة القرشي التيمي، والد أبي بكر الصديق ، أسلم أبواه ، أسلم يوم فتح مكة ، وأتى به أبو بكر النبي (ﷺ) ليبياعه ، فلما دخل رسول الله (ﷺ) المسجد خرج أبو بكر حتى جاء بأبيه يقوده، فلما رآه رسول الله (ﷺ) قال: (هلاً تركت الشيخ في بيته حتى آتته) ! فقال: يمشي هو إليك يا رسول الله ، أحق من أن تمشي إليه، وأجلسه بين يديه، ثم مسح على صدره، فقال: (أسلم=

فجعلكم بماله مع نفسه ، قالت : كلا يا أبتِ ، ضع يدك على هذا المال ،
قالت : فوضع يده عليه ، فقال: لا بأس ، إذا كان ترك لكم هذا فقد
أحسن ، وفي هذا بلاغ لكم ... ولا والله ما ترك لنا شيئاً ، ولكني أردت أن
أسكن الشيخ بذلك^(١).

وبهذه الفطنة والحكمة كتبت أسماء (رضي الله عنها) أباهما، وسكنت
قلب جدّها الضرير، من غير أن تكذب ، فإن أباهما قد ترك لهم حقاً هذه
الأحجار التي كوّمتها لتطمئن لها نفس الشيخ ! إلا أنه قد ترك لهم معها
إيماناً بالله لا تزلزله الجبال ، ولا تحركه العواصف الهوج ، ولا يتأثر بقلة
أو كثرة في المال، وورثهم يقيناً وثقة به لآحد لها، وغرس فيهم همة تتعلق
بمعالي الأمور، ولا تلتفت الى سفاسفها، فضرب بهم للبيت المسلم مثلاً
عزّ ان يتكرر، وقلّ أن يوجد نظيره^(٢).

٩_ رد الأمانة إلى أصحابها ولو كانوا أصحابها أعداءه :

وفي إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله (ﷺ) مع محاربتهم له
وتصميمهم على قتله دليل باهر على تناقضهم العجيب الذي كانوا واقعين

تسلم)، وعاش أبو قحافة إلى خلافة عمر (رضي الله عنه)، ومات سنة أربع عشرة بعد
الهجرة ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ١٠٣٦/٣ .

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٩/٣ ؛ والسيرة النبوية لابن هشام ،
١٠٢/٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ٥٩/٣ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ٢٨١ .

فيه^(١)، قال تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾^(٢)، ففي أمر الرسول (ﷺ) لعلي (عليه السلام) بتأدية هذه الأمانات لأصحابها في مكة ، مع هذه الظروف الشديدة التي كان من المفروض أن يكتنفها الاضطراب ، بحيث لا يتجه التفكير إلا إلى إنجاح خطة هجرته فقط ، مع ذلك فإن الرسول (ﷺ) ما كان لينسى أو ينشغل عن رد الأمانات إلى أهلها، حتى ولو كان في أصعب الظروف التي تتسي الإنسان نفسه فضلاً عن غيره^(٣).

١٠_ الداعية يَعْفُ عن أموال الناس :

فلما عفا النبي (ﷺ) عن سرقة عرض عليه سرقة (عليه السلام) المساعدة ، فقال: (وهذه كنانتي فخذ منها سهماً فإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال رسول الله (ﷺ) : لا حاجة لي فيها)^(٤)،

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١١٥ ؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، ١٩٣ .

(٢) سورة الانعام ، الآية (٣٣) .

(٣) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١١٥ ؛ والهجرة في القرآن الكريم ، لأحزمي سامعون جزولي ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ، (الرياض/١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) ، ٣٦٤ .

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٦٠/٣ ؛ ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، ٤٨٤/٢ ؛ وإمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، ٣٢٧/٨ .

فحين يزهد الدعاة فيما عند الناس يحبهم الناس ، وحين يطمعون في أموال الناس ينفر الناس عنهم ، وهذا درس بليغ للدعاة إلى الله (ﷺ) ^(١).

١١ - على الداعية أن لا يغفل عن الدعوة إلى الله تعالى في كل

المحن والظروف :

إنّ المسلم الذي تغلغت الدعوة في شغاف قلبه لا يفتر لحظة واحدة عن دعوة الناس الى دين الله تعالى، مهما كانت الظروف قاسية والأحوال مضطربة ، والأمن مفقود، بل ينتهز كل فرصة مناسبة لتبليغ دعوة الله تعالى، هذا نبيّ الله تعالى يوسف (ﷺ) حينما زج به في السجن ظلماً، واجتمع بالسجناء في السجن ، فلم يندب حظه، ولم تشغله هذه الحياة المظلمة عن دعوة التوحيد ، وتبليغها للناس ومحاربة الشرك وعبادة غير الله والخضوع لأي مخلوق ^(٢)، قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مَلَّةَ آبَائِي ابْرِهِيمَ

وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِ وَأَزَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٦٠/٣ ؛ وفي ظلال السيرة النبوية - الهجرة النبوية ، للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس ، دار الفرقان، الطبعة الثانية ، (عمان - الأردن/١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ، ٥٨ .

(٢) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ٢٨٦ ؛ والهجرة النبوية - دراسة وتحليل ، ١٨٣ .

ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ ، وهذه سورة يوسف
 (عليه السلام) مكية ، وقد أمر الله (ﷺ) رسوله محمد (ﷺ) أن يقتدي بالأنبياء
 والمرسلين في دعوته الى الله (ﷻ)، ولذلك نجده (ﷺ) في هجرته من مكة
 الى المدينة وقد كان مطارداً من المشركين قد أهدروا دمه وأغروا
 المجرمين منهم بالأموال الوفيرة ليأتوا برأسه حياً أو ميتاً ، ومع هذا فلم
 ينس مهمته ورسالته ، فقد لقي (ﷺ) في طريقه رجلاً يقال له بريدة بن
 الحصيب الأسلمي^(٢) في ركب من قومه ، فدعاهم إلى الإسلام
 فأمنوا وأسلموا ، وكذلك كان (ﷺ) بالقرب من المدينة ورأى لصان يقال
 لهما: المهانان ؛ فقصدهم وعرض عليهما الإسلام ، فاسلما ثم سألهما عن
 أسمائهما فقالا نحن المهانان ، فقال: بل المكرمان ، وأمرهما أن يقدما
 عليه في المدينة^(٣).

(١) سورة يوسف ، الآيات (٣٨-٤٠) .

(٢) بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح بن
 عدي بن سهم بن مازن بن الحارث بن سلامان بن أسلم بن أفضى الأسلمي ،
 لقي النبي (ﷺ) في طريق هجرته الى المدينة ، فدعاه الى الاسلام ، فأمنوا
 وأسلموا ، وقد غزا مع الرسول (ﷺ) ست عشرة غزوة وأصبح بريدة بعد ذلك من
 الدعاة الى الاسلام ، قال ابن سعد: مات سنة ثلاث وستين ؛ ينظر : الإصابة
 في تمييز الصحابة ، ٤١٨/١ .

(٣) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١١٦ ؛ والتاريخ الكبير المعروف بتاريخ
 ابن أبي خيثمة - السفر الثاني ، لأحمد بن أبي خيثمة أبو بكر (ت: ٢٧٩هـ) ، =

ومن هذين الخبرين يظهر اهتمامه (ﷺ) بالدعوة الى الله (ﻋﻠﯿﻪ ﺳﻼﻡ)، وذلك حينما اغتنم فرصة في طريقه ودعا الى الله (ﻋﻠﯿﻪ ﺳﻼﻡ)، وفي إسلام هذين اللصين مع ما ألفاه من حياة البطش والسلب والنهب دليل على سرعة إقبال النفوس على إتباع الحق إذا وجد من يمثله بصدق وإخلاص ، وتجردت نفس السامع من الهوى المنحرف، وفي اهتمام الرسول (ﷺ) بتغيير اسمي هذين اللصين من المهائين الى المكرمين دليل على اهتمامه (ﷺ) بسمعة المسلمين ومراعاته مشاعرهم إكراماً لهم ورفعاً لمعنوياتهم، وإن في رفع معنوية الإنسان تقوية لشخصيته ودفعاً له إلى الإمام ليبذل كل طاقته في سبيل الخير والفلاح^(١).

١٢_ أهمية العقيدة والدين في إزالة العداوة والضغائن :

إنّ العقيدة الصحيحة السليمة والدين الاسلامي العظيم لهما أهمية كبرى في إزالة العداوات والضغائن ، وفي التآليف بين القلوب والأرواح ، وهو دور لا يمكن لغير العقيدة الصحيحة أن تقوم به ، وها قد رأينا كيف جمعت العقيدة الإسلامية بين الأوس والخزرج، وأزالت آثار معارك استمرت عقوداً من الزمن ، وأغلقت ملف ثارات كثيرة في مدة قصيرة ،

=تحقق: صلاح بن فتحي هلال ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، الطبعة

الأولى ، (القاهرة / ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م) ، ٢٠١/١ .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٦١/٣ ؛ والسيرة النبوية على ضوء القرآن

والسنة ، لمحمد ابن محمد بن سويلم أبو شُهبة (ت: ١٤٠٣هـ) ، دار القلم،

الطبعة الثامنة، (دمشق/١٤٢٧هـ)، ٤٥١/١؛ والهجرة النبوية، لأبي فارس، ٥٩.

بمجرد التمسك بها والمبايعة عليها وقد رأينا ما فعلته العقيدة في نفوس الأنصار، فاستقبلوا المهاجرين بصدور مفتوحة ، وتأخوا معهم في مثالية نادرة ، لا تزال ماثرة الدهشة ومضرب المثل ، ولا توجد في الدنيا فكرة أو شعار آخر فعل مثمما فعلت عقيدة الاسلام الصافية في النفوس^(١).

ومن هنا ندرك السر في سعي الأعداء الدائب إلى إضعاف هذه العقيدة وتقليل تأثيرها في نفوس المسلمين ، واندفاعهم المستمر نحو تذكية النعرات العصبية والوطنية والقومية وغيرها ، وتقديمها كبديل للعقيدة الصحيحة^(٢).

١٣ _ فرحة المسلمين بزيارة الدعاة والعلماء لهم ولمدنيتهم :

كانت فرحة المؤمنين من سكان يثرب من أنصار ومهاجرين بقدم رسول الله (ﷺ) ووصولهم إليهم سالماً فرحة أخرجت النساء من بيوتهن والولائد، وحملت الرجال على ترك أعمالهم ، وكان موقف يهود المدينة موقف المشارك لسكانها في الفرحة ظاهراً، والمتألم من منافسة الزعامة الجديدة باطناً، أما فرحة المؤمنين بلقاء رسولهم ، فلا عجب فيها، وهو الذي أنقذهم من الظلمات الى النور، بإذن ربهم الى صراط العزيز الحميد^(٣).

(١) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ٢٨٨ ؛ والسيرة النبوية- دروس وعبر، ٤٣.

(٢) المرجع نفسه ، ٢٨٨ ؛ والهجرة النبوية المباركة ، ٤٠٥ .

(٣) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية، ١١٧ ؛ والهجرة في القرآن الكريم ، ٣٦٧.

ويُفاد من استقبال المهاجرين والأنصار لرسول الله (ﷺ) مشروعية استقبال الأمراء والعلماء ، عند مقدمهم بالحفاوة والإكرام ، فقد حدث ذلك لرسول الله (ﷺ) ، وكان هذا الإكرام وهذه الحفاوة نابعين من حب للرسول بخلاف ما نراه من استقبال الزعماء والحكام في عالمنا المعاصر ، ويفاد كذلك التنافس في الخير وإكرام ذوي العلم والشرف ، فقد كانت كل قبيلة تحرص أن تستضيف رسول الله (ﷺ) ، وتعرض أن يكون رجاله حُرَّاساً له ، ويؤخذ من هذا إكرام العلماء والصالحين ، واحترامهم وخدمتهم^(١).

١٤_ ضرورة الإخلاص ، والسلامة من الأغراض الشخصية :

إنَّ الإخلاص روح العظمة ، وقطب مدارها ، والإخلاص يرفع شأن الأعمال حتى تكون مراقي للفلاح ، وهو يجعل في عزم الرجل متانة فيسير حتى يبلغ الغاية ، ولولا الإخلاص يضعه الله في قلوب زاكيات لحُرم الناس من مشروعات عظيمة تُقف دونها عقبات كبرى ، ومن مواطن العبرة في قصة الهجرة أن الداعي إلى الإصلاح متى أُوتِي حكمة بالغة ، وإخلاصاً نقيّاً ، وعزماً صارماً ؛ هَيَّأَ اللهُ لدعوته بيئة طيبة فتقبلها^(٢).

وهكذا كان (ﷺ) ، حيث لم يرد بدعوته إلا الإخلاص لله (ﷻ) ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ؛ فكان متجرداً من حظوظ النفس ورغائبها ؛

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٦١/٣ .

(٢) ينظر: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، ١٩٣ ؛ والمختصر

الكبير في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ٦٦ .

ولم يك يطلب بدعوته هذه نباهة شأن ووجاهة ؛ فإن في شرف أسرته ، وبلاغة منطقته ، وكرم خلقه؛ ما يكفيه لأن يحرز في قومه الزعامة لو شاء، ثم إن الهجرة كانت دليلاً على الإخلاص والتفاني في سبيل العقيدة ؛ فقد فارق المهاجرون وطنهم ، ومالهم ، وأهليهم، ومعارفهم ؛ إجابة لنداء الله ورسوله ، وهذا درس عظيم يفيد منه المسلمون فائدة عظيمة أن الإخلاص هو السبب الأعظم لنيل المآرب التي تعود على الأفراد والأمة بالخير^(١).

١٥ _ الاعتدال حال السراء والضراء :

إنّ يوم خروجه (ﷺ) من مكة مكرهاً لم يخنع ، ولم يذل ، ولم يفقد ثقته بربه ، ولما فتح الله (ﷻ) عليه ما فتح ، وأقرّ عينه بعزّ الإسلام، وظهور المسلمين ؛ لم يَطِشْ زهواً ، ولم يتعاضم تيهاً ؛ فعيشته يوم كان في مكة يلاقي الأذى ، ويوم أخرج منها كارهاً ؛ كعيشته يوم دخل مكة ظافراً ، وكعيشته يوم أظلت رايته البلاد العربية ، وأطّلت على ممالك قيصر ناحية تبوك ، وتواضعه وزهده بعد فتح مكة وغيرها كحالته يوم كان يدعو وحيداً، وسفهاء الأحلام في مكة يضحكون منه ويسخرون^(٢) .

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٦٠/٣ ؛ وفقه السيرة ، لابن قيم

الجوزية، ١١٧؛ والسيرة النبوية - دروس وعبر ، ٤٤ .

(٢) ينظر: السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ، ٦٧ ؛ وفقه السيرة النبوية مع

موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، ١٩٣ .

فالجانب الدعوي من هذا المعنى واضح جلي ؛ حيث ان الداعية يمرُّ بأحوال ضعف ، وأحوال قوة ، وأحوال فقر ، وأحوال غنى ؛ فعليه لزوم الاعتدال في شتى الأحوال ؛ فلا يتبطره النعماء ، ولا يقنطه البأساء ، وكذلك الحال بالنسبة للأفراد والامة (١) .

١٦_ اليقين بأن العاقبة للتقوى وللمتقين :

فالذي ينظر في الهجرة بادئ الرأي يظن أن الدعوة إلى زوال واضمحلال ، ولكن الهجرة في حقيقتها تعطي درساً واضحاً أن العاقبة للتقوى وللمتقين ، والنبي (ﷺ) يعلم بسيرته المجاهد في سبيل الحق أن يثبت في وجه أشياع الباطل ، ولا يهتن في دفاعهم ، وتقويم عوجهم ، ولا يهوله أن تُقبل الأيام عليهم ، فيشتد بأسهم ، ويُجلبوا بخيلهم ورجالهم ؛ فقد يكون للباطل جولة ، ولأشياعه صولة ، أما العاقبة فإنما هي للذين صبروا، والذين هم مصلحون ، ولقد هاجر (ﷺ) من مكة في سواد الليل مختفياً ، وأهلها يحملون له العداوة والبغضاء ، ويسعون سعيهم للوصول إلى قتله ، والخلاص من دعوته، ثم دخل المدينة في بياض النهار مُتَجَلِّياً قد استقبله المهاجرون والأنصار بقلوب مُلئت سروراً بمقدمه، وابتهاجاً بلقائه، وصاروا يتنافسون في الاحتفاء به ، والقرب من مجلسه ، وقد هينوا أنفسهم لفدائه بكل ما يعزُّ عليهم (٢).

(١) ينظر: السيرة النبوية - دروس وعبر ، ٤٦ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٦١/٣ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ٢٨٤ .

١٧_ إِنَّ مِنْ حَفْظِ اللَّهِ فِي سِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ حَفْظَهُ اللَّهُ (ﷺ) :

ويؤخذ هذا المعنى من حال زعماء قريش عندما اتتمروا بالنبي (ﷺ) ليعتقلوه ، أو يقتلوه ، أو يخرجوه ، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ ﴾ (١) ، فأجمعوا بعد تداول الرأي على أن يطلقوا سيوفهم تخوض في دمه الطاهر ، فأوحى الله (ﷺ) إلى رسوله (ﷺ) ما أوحى ، فحثا في وجوههم التراب ، وبارح مكة من حيث لا تراه أعينهم ، وهذا درس عظيم ، وسنة ماضية ؛ في أَنَّ مَنْ حَفِظَ اللَّهَ حَفْظَهُ اللَّهُ ، وَالْحَفْظُ مِنْ اللَّهِ شَامِلٌ ، وَأَعْظَمُ مَا فِي ذَلِكَ أَنَّ يُحْفَظَ الْإِنْسَانَ فِي دِينِهِ وَدَعْوَتِهِ ، وَهَذَا الْحَفْظُ - أَيْضاً - يَشْمَلُ حَفْظَ الْبَدَنِ ، وَلَيْسَ بِالضَّرُورَةِ أَنْ يُعَصَمَ ؛ فَلَا يُخْلَصَ إِلَيْهِ الْبِتَّةُ ، فَقَدْ يَصَابُ ؛ لِتُرْفَعِ دَرَجَاتُهُ ، وَتُقَالُ عَثْرَاتُهُ ، وَلَكِنْ الشَّأْنُ كُلُّ الشَّأْنِ فِي حَفْظِ الدِّينِ وَالدَّعْوَةِ (٢) .

١٨_ إِنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ :

قد قضى (ﷺ) في سبيل دعوته في مكة ثلاثة عشر حولاً ، وهو يلاقي نفوساً طاغيةً ، وألسنة ساخرة ، وربما لقي أيادي باطشة ؛ وكان هيناً على الله (ﷺ) أن يصرف عنه الأذى جملة ، ولكنها سنة الابتلاء يؤخذ بها الرسول الأكرم ؛ ليستبين صبره ، ويعظم عند الله أجره ، وليتعلم دعاة

(١) سورة الأنفال ، الآية (٣٠) .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٦١/٣ ؛ وفقه السيرة ، لابن القيم الجوزية ، ١١٧ ؛ والدعوة قواعد وأصول ، ٦٢ .

الإصلاح كيف يقْتَحْمون الشدائد ، ويصبرون على ما يلاقون من الأذى صغيراً أكان أم كبيراً^(١).

١٩_ ظهور المواقف البطولية :

إنَّ عند النبي (ﷺ) تنتهي إليه الشجاعة بأسرها ، ومن مواقفه البطولية ما كان من أمر الهجرة ، وذلك لما اجتمعت عليه قریش ورمته عن قوس واحدة ، وأجمعت على قتله ، والقضاء على دعوته ، فما كان منه إلا أن قابل تلك الخطوب بجأشٍ رابط ، وجبينٍ طَلَّقٍ ، وعزم لا يلتوي^(٢).

ولقد كان ذلك دأبه (ﷺ)، فلم تكن تأخذه رهبة من أشياع الباطل وإن كَثُر عددهم، بل كان يلاقيهم بالفئات القليلة ، ويفوز عليهم فوزاً عظيماً ، ويقابل الأعداء بوجهه لا يوليهم ظهره وإن تزلزل جنده ، وانصرفوا جميعاً من حوله ، وكان يتقدم في الحرب حتى يكون موقفه أقرب موقف من العدو، وإذا اتقدت جمرة الحرب ، واشتدَّ لهبها ؛ أوى إليه الناس ، واحتموا بظله الشريف ؛ فلم يكن يتوارى من الموت ، أو يُقَطَّب عند لقائه ؛ كيف وهو يتيقن أن موته هو انتقال من حياة مخلوطة بالمتاعب والمكاره إلى حياة أصفى لذة ، وأهنأ راحةً ، وأبقى نعيماً؟^(٣).

ولقد كان لهذه المواقف البطولية الرائعة موضع قدوة لأصحابه ومن جاء بعدهم، فحقيق على الأمة التي تريد العزة ، والرفعة ، والسعادة ؛ أن

(١) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ٢٨٨ .

(٢) ينظر: المختصر الكبير في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ٦٦ .

(٣) ينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ٢٧٢ .

تكون على درجة من الشجاعة ؛ حتى تقرّ بها أعينُ حلفائها ، ويكون لها مكانة مهيبية في صدور أعدائها^(١).

وحقيق على دعاة وعلماء الإسلام وزعمائه أن يقتدوا برسول الله (ﷺ) في أدب الشجاعة التي هي الإقدام في حكمة ؛ فقد جرت سنة الله (ﷻ) على أن الحق لا يمحق الباطل، والإصلاح لا يدرأ الفساد ؛ إلا أن يقبض الله (ﷻ) لهما رجالاً يؤثرون الموت في جهاد ؛ على الحياة في غير جهاد^(٢).

٢٠_ إن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه :

إن من هدي القرآن الكريم للتي هي أقوم ، هو إرشاد العباد إلى أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ، قال الله تعالى عن خليله إبراهيم (عليه السلام) : ﴿ فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْبدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾^(٣).

إن المهاجرين لما تركوا ديارهم ، وأهليهم، وأموالهم التي هي أحب شيء إليهم ؛ أعاضهم الله بأن فتح عليهم الدنيا، وملأهم مشارقها ومغاربها^(٤).

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٦٠/٣؛ والهجرة في القرآن الكريم، ٣٦٧.

(٢) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١١٦؛ والسيرة النبوية - دروس وعبر، ٤٧.

(٣) سورة مريم ، الآية (٤٩) .

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٦١/٣؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١١٦.

وفي هذا جانب دعوي عظيم هو أن الله (ﷻ) شكور كريم ، لا يضيع أجر من أحسن عملاً ؛ فمن ترك شيئاً لأجله عوضه خيراً منه ، والعِوَضُ من الله أنواع ، وأجلّ ما يُعوَضُ به الإنسان أن يُرزقَ محبة الله (ﷻ)، وطمانينة القلب بذكره ، وقوة الإقبال عليه ؛ فحري بالدعاة أن يُضحوا في سبيل الله (ﷻ)، وأن يقدموا محبوبات الله (ﷻ) على محبوبات نفوسهم ؛ ليفوزوا بخيري الدنيا والآخرة^(١).

٢١_ التنبيه على عظم دور المسجد في الأمة :

إنّ أول عمل قام به النبي (ﷺ) فور وصوله إلى المدينة هو بناؤه المسجد ؛ لتظهر فيه شعائر الإسلام التي طالما حوربت ، ولتقام فيه الصلوات التي تربط المسلم برب العالمين ، وتتقي قلبه من أدران الأرض، ولقد تمّ بناء المسجد في حدود البساطة ؛ ففراشه الرمال والحصباء، وسقفه الجريد ، وأعمدته الجنوع ، وربما أمطرت السماء فأوحت أرضه، وهذا البناء المتواضع هو الذي تَرَبَّى فيه ملائكة البشر، ومؤدبو الجبابرة، وفتاحو البلاد والقلوب ، وفي هذا المسجد أذنَ الرحمنُ للنبي (ﷺ) أن يؤم بالقرآن خيرة أمته ، فيتعهدهم بأدب السماء من شفق الفجر إلى غسق الليل^(٢).

(١) ينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ٢٧٤ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٦٠/٣ ؛ وفقه السيرة ، محمد الغزالي

السقا ، ١١٨ .

وهذا جانب دعوي نتعلم منه إن مكانة المسجد في المجتمع المسلم تجعله مصدر التوجيه الروحي والمادي ، فهو ساحة العبادة ، وميدان العلم ، ومنطلق الجهاد ؛ فحري بالأمة والدعاة أن تعلم دور المسجد ، وأن تُقَدِّره حق قدره^(١).

٢٢_ الهجرة من سنن الرسل الكرام :

إنَّ الهجرة في سبيل الله سنة قديمة ، ولم تكن هجرة نبينا محمد (ﷺ) بدءاً في حياة الرسل لنصرة عقائدهم ، وقد هاجر من وطنه ومسقط رأسه من أجل الدعوة حفاظاً عليها وإيجاد بيئة خصبة تتقبلها وتستجيب لها، وتذود عنها، فقد هاجر عدد من إخوانه من الأنبياء قبله من أوطانهم لنفس الأسباب التي دعت نبينا للهجرة^(٢).

إنَّ بقاء الدعوة في أرض قاحلة لا يخدمها بل يعوق مسارها ويشل حركتها، وقد يعرضها للانكماش داخل أضيق الدوائر، وقد قص علينا القرآن الكريم نماذج من هجرات الرسل وأتباعهم من الأمم الماضية لتبدو لنا في وضوح سنة من سنن الله في شأن الدعوات ، يأخذ بها كل مؤمن من بعدهم إذا حيل بينه وبين إيمانه وعزته، واستخف بكيانه ووجوده واعتدى على مروءته وكرامته^(٣).

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٦٠/٣ ؛ والمختصر الكبير في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ٦٨ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٢٠ .

(٣) المرجع نفسه ، ١٢٠ ؛ والهجرة في القرآن الكريم ، ١٧٥ .

٢٣ _ عظم دور الشباب في نصره الحق:

يتجلى دور الشباب فيما قام به سيدنا علي بن أبي طالب (عليه السلام) عندما نام في مضجع النبي (ﷺ) ، فضرب أروع الأمثلة في الشجاعة والبطولة ، ومثله ما قام به عبد الله بن أبي بكر (رضي الله عنه) ؛ فقد أمره والده أن يتسمع ما تقوله قريش في الرسول (ﷺ) ، وأبي بكر (رضي الله عنه) ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك من أخبار^(١).

ففي موقف عبد الله بن أبي بكر (رضي الله عنه) ما يثبت أثر الشباب في نجاح الدعوة ، ونصرة الإسلام ، وإذا تأملت السيرة رأيت أن أكثر الصحابة (رضي الله عنهم) كانوا من الشباب الذين حملوا لواء الدعوة ، واستعذبوا من أجلها الموت والعذاب ، وهذا درس عظيم يبين لنا أن الشباب هم عماد الأمة ، وإذا وجهوا وجهة صحيحة على نهج الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة، علت هِمَمُهُمْ ، وكانوا مشاعل هدى ، ومصابيح دجى ، فعلى الدعاة أن يلتفتوا حول الشباب وينتبهوا لهم ولدورهم الكبير في نصره الدعوة، والنهوض بالأمة الإسلامية^(٢).

ويفاد من هذا الجانب الدعوي أن الأمة الإسلامية لا بُدَّ لهم أن يلتفتوا حول الشباب وأن يجتمعوا على أخوة الإسلام ، وعلى كتاب الله تعالى ،

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٦١/٣ ؛ والسيرة النبوية - دروس وعبر ، ٤٨ .

(٢) ينظر: المختصر الكبير في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ٧٣ ؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، ٢٨٦ .

وسنة رسوله (ﷺ)، ونهج الأسلاف الكرام، والرجوع الى العقيدة الصحيحة،
والإ أصبحت مفككة متناثرة لا يُهاب جنابها، ولا تُسمع كلمتها^(١).

ونحن اليوم نحتاج - من معاني الهجرة النبوية - إلى ما نصلح به ما
فسد من عقائد المسلمين ، وإلى أن ننزع في بيوتنا عن الآداب التي
تخالف الإسلام ، وأن نُعيد إلى هذه البيوت الصدق ، والصراحة ، والنبيل ،
والاستقامة ، والاعتدال ، والتواضع ، والعزة ، والكرم ، والتعاون على
الخير، إلى غير ذلك من المعاني السامية ؛ فالبيت الإسلامي وطن بل
هو دولة إسلامية ، وقبل أن نبدأ في علاج الأمة يجب أن نبدأ بالأقرب
فالأقرب ؛ فنبدأ في بيوتنا ، فنهاجر نحن ومن فيها إلى ما يحبه الله
(ﷻ)، ونبتعد عن كل ما لا يرضيه (ﷻ) ، ثم نتحرى في مجتمعاتنا
أنظمة الإسلام وآدابه ، ونهجر كل ما خالفها مما اقتبسناه من غيرنا ،
وخذلنا به مقاصد الإسلام ، فضيِّعنا أغراضه الجوهرية^(٢).

(١) ينظر: السيرة النبوية - دروس وعبر، ٤٤ .

(٢) ينظر: موسوعة البحوث والمقالات العلمية ، حوالي خمسة آلاف وتسعمائة مقال
ويبحث (الهجرة دروس وفوائد) ، جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود ، من دون
دار نشر ، من دون طبعة ، (بلا / بلا سنة نشر) ، ٦ .

الفصل الثاني

الجانب الدعوي عند ابن القيم
"رحمه الله" على ضوء ذكره لأهم

غزوات النبي (ﷺ)

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الجانب الدعوي عند ابن
القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لغزوة بدر
الكبرى.

المبحث الثاني: الجانب الدعوي عند ابن
القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لغزوة أُحُد.

المبحث الثالث: الجانب الدعوي عند ابن
القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لغزوة تبوك.

الفصل الثاني

الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله"

على ضوء ذكره لأهم غزوات النبي (ﷺ)

تعد السيرة النبوية بياناً ومنهجاً لسيرة الدعوة وأسلوب الداعي وسجلاً لأحداث الوجود الإسلامي من أول بدء الوحي إلى خاتمته وهي جديرة بالدرس والتحليل للتأسي والافتداء بالنبي (ﷺ)، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرٍ﴾^(١)، ولكل موقف في السيرة النبوية ظروف وملابسات تفيد الدعوة والدعاة، فغزوات الرسول (ﷺ) هي مصدر عظيم من مصادر السيرة النبوية وتسمى كتب المغازي، والتي تعلم الأمة الإسلامية الآداب الرفيعة والأخلاق الحميدة والعقائد السليمة والعبادة الصحيحة وحب الجهاد في سبيل الله وطلب الشهادة في سبيله، فقد أذن الله للمسلمين بالقتال والدفاع عن أنفسهم بعد أن تعرضوا للظلم والتعذيب والتشريد، واضطروا إلى ترك مكة وهاجروا إلى المدينة، فراراً بدينهم^(٢).

(١) سورة الاحزاب، الآية (٢١).

(٢) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١٤٢.

فغزوات العصر النبوي تحمل من الجوانب الدعوية والمواقف العظيمة، ولقصر المقام سأذكر أهم غزواته (ﷺ) ، واقتصرت على ثلاث غزوات جعلتها في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لغزوة بدر الكبرى سنة ٢ هـ .

المبحث الثاني : الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لغزوة أحد سنة ٣ هـ .

المبحث الثالث: الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لغزوة تبوك سنة ٩ هـ .

المبحث الأول

الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله"

على ضوء ذكره لغزوة بدر الكبرى

لابد لنا قبل الشروع في غزواته (ﷺ) من كلمة عن القتال في الإسلام وعن بعض الغزوات ، لأنها كانت من أهم الأسباب في نمو المجتمع العربي الاسلامي وتطوره ، ومن أقوى دعائم الدولة الإسلامية الكبرى ، فلولا القتال الذي وقع بين المسلمين وبين المشركين من العرب ، لما دانت الجزيرة العربية بالولاء والطاعة للرسول (ﷺ)، ولظل المجتمع العربي على

وضعه قبل الإسلام منحل العرى متفكك الأجزاء تسود بين قبائله المختلفة العداوة والبغضاء، ولظل المجتمع العربي الاسلامي الجديد الذي أسسه الرسول (ﷺ) في المدينة حبيسًا في هذه الدائرة الضيقة لا يتعداها إلى غيرها من المدن والقرى وسائر الجهات^(١).

أولاً: اسباب القتال

من يتتبع الآيات القرآنية التي نزلت للقتال يتجلى له أنها تهدف إلى غرضين:

- ١- الدفاع عن النفس ورد الظلم والعدوان .
- ٢- الدفاع عن الدعوة إذا وقف أحد في سبيلها بفتنة من آمن ، أو بصد من أراد الدخول في الإسلام، أو بمنع الداعي عن تبليغ دعوته ، وفي ذلك يقول الله (ﷻ) : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوْمِعُ وَيَبِعُ وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٠١ ؛ والقول المبين في سيرة سيد المرسلين ، لمحمد الطيب النجار (ت: ١٤١١هـ) ، دار الندوة الجديدة ، من دون طبعة ، (بيروت- لبنان/ بلا سنة نشر) ، ٢١٧ .

الْمُنْكَرِ وَرَبِّهِ عَنِ الْأُمُورِ ﴿١﴾ ، وفي هذه الآيات يظهر السبب الذي من أجله فرض القتال على المسلمين، ثم تنبه هذه الآيات المؤمنين الذين أذن لهم في القتال إلى ما يجب أن يفعلوه إذا هم انتصروا على عدوهم ، وهو أن يقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، ويأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، ليكونوا خير دعاة لهذا الدين الحنيف^(٢).

ثم ينتقل الله (ﷻ) بالمسلمين إلى مرحلة أخرى ، فيأمرهم بعد أن ردوا الظلم والعدوان الذي أصابهم من قريش، بأن يقاتلوا كل من يتعرضهم بسوء أو يبدؤهم بشر، فيقول الله (ﷻ): ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١١٠) وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ

تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تَقْلِبُوا عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٣﴾ ، ثم يأمرهم بالقتال لتقرير حرية العقيدة والبعد بها عن الأغراض والأهواء كي يكتمل له الجو الملائم فينضوي تحت لوائها من يشاء دون خوف من اضطهاد وفتنة ، وذلك بقوله تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنَّهُمْ فَلَآ

(١) سورة الحج ، الآيات (٣٩-٤١).

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٢١/٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآيات (١٩٠، ١٩١) .

عُدْوَانٍ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١﴾، وقد كان الأمر مقصوراً على قتال قريش ومن يجاريهم ويحالفهم من يهود المدينة ، فلما اتحدت قبائل العرب المختلفة على المسلمين أمر الله (ﷺ) المسلمين بقتال المشركين من كافة القبائل ، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٢﴾، وبهذه الآيات التي سقناها من الكتاب الكريم يتبين لنا أن الإسلام لم يُشرع القتال للمسلمين إلا للدفاع عن أنفسهم ولتأمين الدعوة من أن تقف الفتنة في طريقها (٣).

وقد شرع الله تعالى لهذه الأمة حمل السلاح للدفاع عن الدين ، ولتبليغ الدعوة ونشرها في أرجاء المعمورة ، وقد حمل هذا العبء مع رسول الله (ﷺ) الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم اجمعين) ، ولا فرق في ذلك بين رجل أو امرأة أو طفل، والشريعة لم تغفل عن جهد أحد من المسلمين في هذا السبيل مهما قل هذا المجهود، بل قررت لكل واحد منهم ما يناسبه من الغنيمة (٤).

(١) سورة البقرة ، الآية (٩٣) .

(٢) سورة التوبة ، الآية (٣٦) .

(٣) ينظر: القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، ٢١٨ .

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٢٣/٣ ؛ الدرر في اختصار المغازي

والسير ، للحافظ يوسف بن عبد البر ابو عمر النمري (ت: ٤٦٣هـ) ، تحقيق:

الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف ، الطبعة الثانية، (القاهرة / ١٤٠٣هـ)، ٩٥ .

ثانياً: غزواته (ﷺ)

ولا بد أن نتعرف على غزواته^(١) (ﷺ) ، علماً أن الغزوة تختلف عن السرية ، فالسرية : هي مجموعة صغيرة أو مناورة أو استطلاع أو شيء من هذا ؛ واما الغزو: فهي الجيش الذي يكون على رأسه النبي (ﷺ) أو الإمام ، فهذه الغزوة عند الإطلاق^(٢).

(والفرق بين السرية والغزوة : حيث يطلق كتاب السير في الغالب على كل مجموعة من المسلمين خرج بها النبي (ﷺ) ليلقى عدوه بـ(غزوة)، سواء حدث فيها قتال أو لم يحدث ، وسواء كان عددها كبيراً أو صغيراً ، ويطلق على كل مجموعة من المسلمين يرسلها النبي (ﷺ) لاعتراض عدو كلمة : (سرية) أو (بعث)، وقد يحدث فيها قتال ، وقد لا يحدث ، وقد تكون لرصد أخبار عدوه أو غيره، وغالباً ما يكون عدد الذين يخرجون في السرايا قليلاً ؛ لأن مهمتهم محددة في مناوشة العدو وإخافته وإرباكه ، وقد قاد رسول الله (ﷺ) سبعاً وعشرين غزوة ، وأرسل ما يقدر بثمان وثلاثين

(١) كان عدد غزوات الرسول (ﷺ) التي خرج فيها بنفسه غازياً سبعاً وعشرين ، وقد قاتل بنفسه في تسع منها هي: بدر، وأحد، والمريسيع، والخندق، وقريظة، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف، وبلغ عدد بعوثه أو سراياه سبعاً وأربعين، وقيل بل نحواً من ستين ، وفي اصطلاح الرواة وأصحاب السير أن الغزوة هي الحرب التي يحضرها الرسول (ﷺ) بنفسه ، أما البعث أو السرية فإنه يرسل فيهما طائفة من أصحابه ؛ ينظر: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ١٢٦/٣.

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٢٢ ؛ ومختصر زاد المعاد ، ١٥٣ ؛ والرسول القائد، ٤١٥ .

سرية وبعثة، وقد خطط لها في فترة وجيزة في عمر الأمم بلغت عشر سنوات من الزمن^(١).

وأما عدد غزوات النبي (ﷺ) ، فلك أن تتصور أن غزوات النبي (ﷺ) كلها كانت خلال ثمان سنوات ؛ لأن أول غزوة غزاها هي غزوة بدر وكانت في العام الثاني من الهجرة ، والنبي (ﷺ) انتقل الى الرفيق الاعلى في العام العاشر من الهجرة، فعن جابر بن عبد الله^(٢) (رضي الله عنهما) قال : (غزوت مع رسول الله (ﷺ) تسع عشرة غزوة ، قال : ومنعني أبي -أي من بدر وأحد- فلما قُتل عبد الله يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله (ﷺ) في غزوة قط)^(٣)، وهذا الكلام الأخير يفيد الحصر عند جابر بن عبد

(١) في ظلال السيرة ، ١٢ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ٢٨٨ .

(٢) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، بمهملة وراء، الأنصاري ، ثم السلمي بفتحيتين، صحابي ابن صحابي، غزا تسع عشرة غزوة، يكنى بأبي عبد الله وبأبي عبد الرحمن وبأبي محمد، أحد المكثرين عن النبي (ﷺ)، مات بالمدينة سنة أربع وسبعين وقيل ثلاث وقيل ثمان وسبعين؛ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ، ٢١٣/١ .

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف أبو زكريا النووي (ت: ٦٧٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثانية ، (بيروت/١٣٩٢هـ) ، ١٩٦/١٢ ، رقم الحديث (١٤٥) .

الله (رضي الله عنهما): أن النبي (ﷺ) لم يغز إلا واحداً وعشرين غزوة ، حضر منها تسع عشرة وتخلف عن غزوتين^(١).

ثالثاً: عدد الغزوات عند ابن القيم

قال ابن القيم "رحمه الله" عن الغزوات : (وغزواته كلها وبعوثه وسراياه كانت بعد الهجرة في مدة عشر سنين، فالغزوات سبع وعشرون، وقيل: خمس وعشرون ، وقيل: تسع وعشرون، وقيل غير ذلك، قاتل منها في تسع: بدر، وأحد، والخنق، وقريظة، والمصطلق، وخيبر، والفتح، وحنين، والطائف. وقيل: قاتل في بني النضير، والغابة، ووادي القرى من أعمال خيبر، وأما سراياه وبعوثه، فقريب من ستين، والغزوات الكبار الأمهات سبع : بدر، وأحد، والخنق، وخيبر، والفتح، وحنين، وتبوك. وفي شأن هذه الغزوات نزل القرآن، فسورة (الأنفال) عن بدر، وفي أحد آخر سورة (آل عمران) من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٢)، إلى قبيل آخرها بيسير، وفي

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٢٣/٣ ؛ وعن أبي إسحاق انه قال: كنت إلى جنب زيد بن أرقم ، فقيل له : (كم غزا النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة ؟ قال: تسع عشرة) قيل: كم غزوت أنت معه ؟ قال: سبع عشرة، قلت: فأبهم كانت أول؟ قال: العسيرة أو العشير، فذكرت لقتادة ، فقال: العشير ؛ ينظر: صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب : غزوة العسيرة او العسيرة ، ٧١/٥ ، رقم الحديث (٣٩٤٩) .

(٢) سورة ال عمران ، الآية (١٢١) .

قصة الخندق، وقريظة، وخيبر صدر (سورة الأحزاب)، وسورة (الحشر) في بني النضير، وفي قصة الحديبية وخيبر سورة (الفتح) وأشير فيها إلى الفتح، وذكر الفتح صريحا في سورة (النصر)، وجرح منها (ﷺ) في غزوة واحدة وهي أُحُد، وقاتلت معه الملائكة منها في بدر وحنين، ونزلت الملائكة يوم الخندق، فزلزلت المشركين وهزمتهم، ورمى فيها الحصباء في وجوه المشركين فهربوا، وكان الفتح في غزوتين: بدر، وحنين، وقاتل بالمنجنيق منها في غزوة واحدة، وهي الطائف، وتحصن في الخندق في واحدة، وهي الأحزاب أشار به عليه سلمان الفارسي (ﷺ)، وكان له مع اليهود أربع غزوات، أولها: غزوة بني قينقاع بعد بدر، والثانية: بني النضير بعد أُحُد، والثالثة: قريظة بعد الخندق، والرابعة: خيبر بعد الحديبية...^(١).

وبعد أن بدأت قريش بإعلان حالة الحرب بينها وبين دولة الإسلام بالمدينة، ونزل الإذن من الله تعالى بالقتال صار من الطبيعي أن تتعامل دولة المدينة مع قريش حسب ما تقتضيه حالة الحرب هذه، فقد اتجه نشاط الرسول (ﷺ) من أجل توطيد مكانة هذه الدولة، والرد على قريش في إعلانها الحرب على المدينة، فاتجه نشاطه نحو إرسال السرايا، وبعد تلك السرايا والغزوات جاءت غزوة بدر الكبرى التي تكاد تكون من اعظم الغزوات في تاريخ الامة الاسلامية، وبدأ عهد جديد للدعوة إلى الله تعالى

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٢٥/٣؛ وسيرة ابن إسحاق، ١٢٣/٢؛
والسيرة النبوية لابن هشام، ٦٠٨/٢.

من خلال هذه الغزوة^(١)، وفي هذا المبحث سنحاول الوقوف على ذكر اهم الاحداث من غزوة بدر، واسبابها واهم ما فيها من مواقف، ثم استخراج منها الجوانب الدعوية المهمة والتي اشار لها ابن القيم "رحمه الله"، وهذا ما سأتناوله في المطلبين الآتيين :

المطلب الأول : ذكر اهم احداث غزوة بدر الكبرى .

المطلب الثاني : الجانب الدعوي المفاد من غزوة بدر الكبرى .

المطلب الأول

ذكر اهم الاحداث من غزوة بدر الكبرى

اولاً: اسباب الغزوة

إنّ غزوة بدر^(٢) تميزت عن جميع الغزوات والمواقف بتوجيه مباشر بوحى ينلّى، وفق خطة مسبقة وكان دور المسلمين

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٥٣/٣ .

(٢) بدر: اسم بئر حفرها رجل من غفار اسمه بدر، وقيل هو بدر بن قريش الذي سميت قريش به، وهي على بعد مائة ميل جنوب المدينة في طريق الذهاب إلى مكة وهي قريبة من ساحل البحر وسميت بداراً لتمامها وكمالها ؛ ينظر: معجم البلدان ، ٣٥٧/١ .

فيها التطبيق العملي^(١).

وتعرف غزوة بدر بأنها الغزوة الكبرى في الإسلام مع أنها كانت قليلة العدد بالنسبة لمن اشترك فيها، وهي من أعظم وأعجب غزوات النبي (ﷺ) التي شارك فيها وقادها بالنسبة لآثارها المادية ، ومع ذلك فهي الغزوة الكبرى لنتائجها المعنوية، وتأثيرها في العرب، وفي العالم كله^(٢).

وقد وقعت غزوة بدر في شهر رمضان من العام الثاني للهجرة^(٣)، ولقد تصور العرب وغيرهم أن المسلمين ضعاف لا يقدرّون على المواجهة ، وأنهم خرجوا من مكة هرباً من قوة المكيين ، وأن الإسلام سيبقى معزولاً مع أصحابه في المدينة المنورة ، ولم تغير السرايا والغزوات التي وقعت قبل غزوة بدر هذا التصور تماماً لانتهائها جميعاً بلا قتال ، واستمر الأمر على ذلك حتى وقعت الغزوة ، وتغير كل شيء، وتغيرت المفاهيم ، وتغيرت التصورات ، وانمحت كل الآمال التي صنعها الكفار افتراءً وكذباً^(٤).

(١) ينظر: بدر الكبرى ، لعطية بن محمد سالم (ت: ١٤٢٠هـ) ، الجامعة الإسلامية

بالمدينة المنورة ، الطبعة الرابعة ، (المدينة المنورة/١٣٩١هـ/١٩٧١م) ، ٣٠ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٥٣/٣ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ٣٠٠ .

(٣) ينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ١٨٤ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ٣٠٠ .

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٥٣/٣ ؛ والدعوة الإسلامية في عهدها المكي (مناهجها وغاياتها) ، ٣٧٠ .

فبعد أن ترك المسلمون مكة ، وتركوا فيها أموالهم ، وديارهم ، ليحافظوا على دينهم ، ويتحركوا به في أمن واستقرار ، فلم يرتض القرشيون ذلك ، فاستولوا على الأموال واغتصبوا الدور ، وحرموا المهاجرين من اصطحاب نسائهم ، واولادهم ، ومنعوهم من دخول المسجد الحرام ، وحاولوا قتل رسول الله (ﷺ) وتعقبوه أثناء هجرته ، وأخذوا يؤلبون أعراب البوادي ضد رسول الله (ﷺ) حتى أن كرز بن جابر الفهري^(١) أغار على المدينة واستاق بعض إبلها استهانة بقوة المسلمين^(٢).

وحاول القرشيون تأليب غير المسلمين من سكان المدينة فأخذ اليهود وعبدة الأصنام ، والمنافقون يجاهرون بعداوتهم لرسول الله (ﷺ) ، ووجد المسلمون أنفسهم أمام عداوة ظاهرة ، وحرب موجهة إليهم من كل جانب ، ورأوا أن قريشاً تعمل بلا كلل في تكثير أعداء الإسلام ، وتوحيد أنشطتهم ، وأعمالهم لمحاصرة المسلمين في المدينة ، والقضاء عليهم^(٣).

فلما رأى المسلمون ذلك ، تيقنوا من ضرورة العمل لحماية دينهم ، وموطنهم ، وأنفسهم ، وتأكدوا من أهمية التأهب ، والاستعداد لمواجهة هذا

(١) كرز بن جابر بن حسل بن الأجب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن فهر ، القُرَشِيُّ الفهري ، كان من رؤساء المشركين قبل أن يسلم وأغار على سرح المدينة مرة فخرج النَّبِيُّ (ﷺ) في طلبه حتى بلغ سفوان وفاته كرز وبعدها أسلم ، وهذه هي غزوة بدر الأولى ؛ ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ٤٣٤/٥ .

(٢) ينظر : السيرة النبوية لابن هشام ، ٦٠١/٢ .

(٣) ينظر : زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٥٤/٣ ؛ والبداية والنهاية ، ٢٦٠/٣ ؛ والقول المبين في سيرة سيد المرسلين ، ١٩٥ .

الإجرام المتنامي من أعداء الله تعالى ، وتكاد هذه الاحداث تكون هي اهم الاسباب التي هيأت لغزوة بدر الكبرى^(١).

فإن للمسلمين حقوقاً تركوها في مكة ايضاً ، فعملوا للوصول إليها وأخذها ليفيق المكيون من غيهم ، ويتعلموا أن الأمن لن يتحقق لهم إلا بأداء حقوق الآخرين، وليعرفوا أن المهاجرين ليسوا هملاً لا حقوق لهم، وليسوا جماعة خائفة لا تقدر على المواجهة، وكان الله تعالى مع حق المسلمين العادل ، فأمرهم بالاستعداد، والتهيؤ، للتصدي لأعدائهم، وأنزل قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَقَنَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْلَفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَكْفَ بِأَسِّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾^(٣)، فالآيات واضحة الدلالة في أن إعداد القوة ، والتهيئة للقتال، وقبول التضحية، يضمن الحقوق، ويمنع الحرب؛ لأن العدو المعتدي إذا رأى أمامه قوة تخيفه، وترهبه يمسك عن الظلم، ويخشى عاقبة عدوانه على غيره ، وإعداد القوة يرهب عدو

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٣٧ ؛ والرسالة المحمدية ، ٧٧ .

(٢) سورة الانفال ، الآية (٦٠) .

(٣) سورة النساء ، الآية (٨٤) .

المسلمين الظاهر، وهم أهل مكة، ويرهب كذلك العدو المستتر وهم المنافقون، واليهود، ومن على شاكلتهم من الأعراب والرعاة^(١).

وكانت السرايا والغزوات قبل بدر جزءًا من هذا الاستعداد، والمواجهة، وقد اشترك في هذه السرايا المهاجرون وحدهم لأنهم أصحاب حق مسلوب يبحثون عنه، ولذلك قصدوا القوافل التجارية لأهل مكة الذاهبة إلى الشام، أو العائدة منها، لاسترجاع حقوقهم وإظهار شجاعتهم أمام أعدائهم^(٢).

ونلاحظ حكمة التوجيه النبوي لأصحابه في هذه السرايا والغزوات، فلقد تم توجيهها إلى أماكن عديدة، وإلى قبائل مختلفة تقطن الطرق بين مكة والمدينة، كما نلاحظ أن السرايا كما قصدت القوافل المتجهة إلى الشام قصدت القوافل المتجهة إلى اليمن أيضًا في مكان وزمن لم يتوقعه القرشيون، وكان هدف هذه السرية هو المراقبة والاستطلاع، وقضى الله تعالى بنجاة كل قوافل قريش، وعدم وقوع إحداها في يد المهاجرين، ولذلك بقي الأمر على ما كان عليه، واستمر الإذن بالقتال للمظلومين الذين أخرجوا من ديارهم، وسلبت أموالهم^(٣).

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٥٣/٣؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، ٢٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ١٥٤/٣.

(٣) المصدر السابق، ١٥٤/٣.

وفي غزوة العشيرة^(١) خرج عدد من المسلمين بقيادة رسول الله (ﷺ) للتصدي لقافلة قرشية أثناء ذهابها إلى الشام ، ولكنها أفلتت منهم، فأخذ المسلمون يتربصون رجوعها، وأرسل النبي (ﷺ) طلحة بن عبيد الله ، وسعد ابن زيد^(٢)، إلى شمال المدينة لاكتشاف القافلة حين رجوعها، فقبعا في الحوراء^(٣) حتى مرت بهم راجعة ، فأسرعا إلى المدينة ، وأخبرا رسول الله

(١) غزوة العشيرة : وقد وقعت هذه الغزوة في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً من مهاجره، فخرج (ﷺ) يعترض عيراً لقريش حين توجهت إلى الشام ، ومعه خمسون ومائة رجل ، وقد جمعت قريش أموالها في تلك العير، فبلغ (ﷺ) ذا العشيرة ببطن ينبع، فأقام بقية الشهر وليالي مما بعده، وصالح بني مدلج وحلفاءهم بني ضمرة، ورجع ولم يلق كيداً، وهذه هي العير التي خرج في طلبها (ﷺ) لما عادت وكانت وقعة بدر الكبرى ؛ ينظر: إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، ٧٥/١ .

(٢) سعد بن زيد الأنصاري الأشهلي ، شهد العقبة وشهد بدرأ ، وسعد بن زيد الأنصاري هذا هو الذي بعثه رسول الله (ﷺ) بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد، فابتاع لهم بها خيلاً وسلاحاً، وهو الذي هدم المنار الذي كان بالمشلل للأوس والخزرج ، وتوفي سنة خمسون للهجرة ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ٥٩٢/٢ .

(٣) الحوراء : بفتح الحاء وسكون الواو مكان يقع شمال المدينة ، والحوراء : هي كورة من كور مصر القبليّة في آخر حدودها من جهة الحجاز، وهي على البحر الأحمر ، وهي مرفأ سفن مصر الى المدينة ؛ ينظر: معجم البلدان ، ٣١٦ / ٢ .

(ﷺ) برجوعها ، وكانت القافلة مكونة من ألف بعير محملة بثروات ضخمة ، وكان يحرسها أربعون قرشيًا بقيادة أبي سفيان بن حرب^(١).

إن الاستيلاء على هذه القافلة فرصة طيبة للمهاجرين، وضربة قاصمة لأهل مكة، وإعلان واضح يظهر قوة المسلمين، ويبين حرصهم على نيل حقوقهم، ومدى عزتهم وشجاعتهم^(٢).

وأخذت الأحداث تجري بقدر الله إلى حيث يشاء وقال رسول الله (ﷺ) لأصحابه: (هذه عير قريش فيها أموالهم، فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها)^(٣)، فخرج عدد قليل بأسلحة اعتيادية ظنًا منهم أنها واحدة من السرايا السابقة، ولاسيما أن الرسول لم يأمر بقتال ، ولم يكلفهم به ، وكانت الحالة التي تصورها المسلمون أن الخروج خاص بالمهاجرين ليأخذوا أموال القافلة عوضًا عن أموالهم ، والذين خرجوا من الأنصار خرجوا لمساعدة إخوانهم ، نظرًا لضخامة القافلة ، ومصاحبةً لرسول الله (ﷺ)^(٤).

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/١٥٤ ؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ٢٥٥ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٣٨ ؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ٢٥٥ .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/١٥٥ ؛ والسيرة النبوية لابن هشام، ١/٦٠٧.

(٤) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٣٨ ؛ والموسوعة القرآنية ، لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت: ١٤١٤هـ) ، مؤسسة سجل العرب ، من دون طبعة، (بلا/١٤٠٥هـ) ، ١٢٢ ؛ ودراسة في السيرة ، ١٤٦ .

قال ابن القيم "رحمه الله" : (فلما كان في رمضان من هذه السنة بلغ رسول الله (ﷺ) خبر العير المقبلة من الشام لقريش صحبة أبي سفيان، وهي العير التي خرجوا في طلبها لما خرجت من مكة، وكانوا نحو أربعين رجلاً ، وفيها أموال عظيمة لقريش^(١)، فندب رسول الله (ﷺ) الناس للخروج إليها، وأمر من كان ظهره حاضراً بالنهوض، ولم يحتفل لها احتفالاً بليغاً؛ لأنه خرج مسرعاً في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ، ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان : فرس للزبير بن العوام (رضي الله عنه)، وفرس للمقداد بن الأسود الكندي^(٢)، وكان معهم سبعون بعيراً يعقب^(٣) الرجلان والثلاثة على البعير الواحد، فكان رسول الله (ﷺ)، وعلي، ومرثد

-
- (١) قدرت قيمة البضائع التي تحملها القافلة بحوالي خمسون ألف دينار ؛ ينظر :
 نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (ﷺ) ، ٢٨٦/١ .
- (٢) المقداد بن الأسود الكندي: هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر ابن مطرود البهراني وقيل الحضرمي، قيل له المقداد بن عمرو واشتهرت شهرته بابن الأسود ويكنى أبا الأسود وقيل كنيته أبو عمر وقيل أبو سعيد، وأسلم قديماً وتزوج ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ابنة عم النبي (ﷺ) وهاجر الهجرتين وشهد بدرًا والمشاهد بعدها ، واتفقوا على أنه مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان (رضي الله عنه)؛ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ، ٣٠٦/١٠ .
- (٣) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ، ٢٥٥/٢ ؛ ومسند الامام احمد ، ٤١١/١ ، رقم الحديث (٣٩٠١) ، وقال الشيخ احمد شاکر : اسناده صحيح ؛ وقوة العقيدة سبيل النصر في غزوة بدر الكبرى ، لمحمد عبد المقصود جاب الله ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، العدد ٤٦ / ٢٠٩ .

ابن أبي مرثد الغنوي^(١) يعتقبون بغيراً، وزيد بن حارثة وابنه وابو كبشة^(٢) موالى رسول الله (ﷺ) يعتقبون بغيراً، وأبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف يعتقبون بغيراً، واستخلف على المدينة وعلى الصلاة ابن أم مكتوم ، فلما كان بالروحاء رد أبا لبابة بن عبد المنذر^(٣)، واستعمله على المدينة ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، والراية الواحدة إلى علي ابن أبي طالب (ﷺ)، والأخرى التي للأنصار إلى سعد بن معاذ (ﷺ)، وجعل على الساقة قيس بن أبي صعصعة^(٤) (ﷺ)، وسار فلما قرب من الصفراء بعث

(١) مرثد بن أبي مرثد الغنوي وأسم أبي مرثد كنان بن الحصين بن يرؤع بن طريف ابن خرشة بن عبيد بن سعد ابن عوف حليف حمزة بن عبد المطلب ، شهد بدر وقتل مع اهل الرجيع في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول (ﷺ) ؛ ينظر : الطبقات الكبرى ، ٤٢/٢ .

(٢) أبو كبشة مولى رسول الله (ﷺ) وقد قيل إن اسمه سلمة والصحيح أوس وقد قيل إن اسمه سليم، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ) ، وتوفي سنة ثلاث عشرة في اليوم الذي ولي فيه عمر بن الخطاب الخلافة ؛ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٢٥٦/٦ .

(٣) أبو لبابة: هو مولى رسول الله (ﷺ)، مذكور في مواليه (ﷺ) ، وأبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري : اسمه بشير بن عبد المنذر، مات أبو لبابة في خلافة علي (رضي الله عنهما) ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ١٧٤٠/٣ .

(٤) قيس بن أبي صعصعة ، وأسم أبي صعصعة : عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو ابن غنم بن مازن بن النجار الأنصاري الخزرجي المازني ، شهد العقبة وبدرًا، وجعله رسول الله (ﷺ) على الساقة يومئذ ؛ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٤٠٨/٤ .

بسبب بن عمرو الجهني^(١)، وعدي بن أبي الزغباء^(٢) إلى بدر يتجسسان أخبار العير، وأما أبو سفيان، فإنه بلغه مخرج رسول الله (ﷺ) وقصده إياه فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري^(٣) إلى مكة مستصرخاً لقريش بالنفير إلى عيرهم؛ ليمنعوه من محمد وأصحابه، وبلغ الصريخ أهل مكة، فنهضوا مسرعين وأوعبوا في الخروج، فلم يتخلف من أشرافهم أحد سوى أبي لهب، فإنه عوض عنه رجلاً كان له عليه دين، وحشدوا فيمن حولهم من قبائل العرب، ولم يتخلف عنهم أحد من بطون قريش إلا بني عدي، فلم يخرج معهم منهم أحد، وخرجوا من ديارهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا

(١) بسبب بن عمرو الجهني: هو الصحابي بسبس بن عمرو الجهني، حليف بني ساعدة بن الخزرج فرّق ابن مندة بينه وبين بسبسة بن عمرو الذي بعثه النبي (ﷺ) عينا؛ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٤٨٠/١.

(٢) عدي بن أبي الزغباء: واسم أبي الزغباء سنان بن سبيع بن ثعلبة بن ربيعة بن زهرة بن بديل ابن سعد بن عدي بن نصر بن كاهل بن نصر بن مالك بن غطفان بن قيس من جهينة، بعثه رسول الله (ﷺ) مع بسبس بن عمرو الجهني طليعة يتجسسان خبر العير فوردا بدرا فوجدا العير قد مرت وفاتهما، وتوفي في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)؛ ينظر: الطبقات الكبرى، ٣٧٧/٣.

(٣) ضمضم بن عمرو الغفاري من بني غفار، استأجره أبو سفيان للذهاب إلى مكة لما علم أن المسلمون يريدون عير قريش وذهب يصرخ ببطن الوادي قد جدع بعيره وحول رحله، وشق قميصه، وهو يقول: يامعشر قريش، اللطيمة اللطيمة، قد خرج محمد في أصحابه ما أراكم تدركونها، الغوث الغوث؛ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ١٨٣/٧.

كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِيعَةً النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا
يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١﴾، وأقبلوا كما قال رسول الله (ﷺ): (بحدهم وحديدهم،
تحاده وتحاد رسوله) (٢)، وجاءوا على حرد قادرين، وعلى حمية، وغضب،
وحق على رسول الله (ﷺ) وأصحابه، لما يريدون من أخذ غيرهم، وقتل
من فيها، وقد أصابوا بالأمس عمرو بن الحضرمي (٣)، والغير التي كانت
معه، فجمعهم الله على غير ميعاد، كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ
الَّذِيَا وَهَمُّ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ
فِي الْمِيْعَادِ وَلَكِن لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ
وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤﴾.

(١) سورة الانفال، الآية (٤٧).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ٢/٢٥٨؛ ومنار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، لحمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرنؤوط، عني بتصحيحه ونشره: بشير محمد عيونة، مكتبة دار البيان - مكتبة المؤيد، من دون طبعة، (الطائف - المملكة العربية السعودية/١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ٥/٥.

(٣) عمرو بن الحضرمي بن عبد الله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مالك بن عوف الحضرمي، من حضرموت وكان عبد الله الحضرمي أبوه قد سكن مكة، وحالف حرب بن أمية والد أبي سفيان، وعمرو بن الحضرمي أول مقتول من المشركين؛ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٤/٤٤٥.

(٤) سورة الانفال، الآية (٤٢).

ثانياً: مشورة الرسول (ﷺ) لأصحابه

ولما بلغ رسول الله (ﷺ) خروج قريش استشار أصحابه ، فتكلم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشارهم ثانياً، فتكلم المهاجرون فأحسنوا، ثم استشارهم ثالثاً، ففهمت الأنصار أنه يعنيهم، فبادر سعد بن معاذ، فقال: يا رسول الله! كأنك تعرض بنا؟ وكان إنما يعنيهم، لأنهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم، فلما عزم على الخروج، استشارهم ليعلم ما عندهم، فقال له سعد: لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقا عليها أن لا ينصروك إلا في ديارها، وإني أقول عن الأنصار، وأجيب عنهم: فاطعن حيث شئت، وصل جبل من شئت، واقطع جبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت ، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك ، ووالله لئن استعرضت بنا هذا البحر خضناه معك^(١).

وقال له المقداد (رضي الله عنه): لا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكنا نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، ومن بين يديك، ومن خلفك ؛ فأشرق وجه رسول الله (ﷺ)، وسرَّ بما سمع من أصحابه، وقال: (سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين،

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٥٦/٣ ؛ ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيتمي نور الدين ، دار الفكر، من دون طبعة ، (بيروت/١٤١٢هـ) ، ٩٣/٦ .

وإني قد رأيت مصارع القوم^(١)، فسار رسول الله (ﷺ) إلى بدر، وخفض أبو سفيان فلحق بساحل البحر، ولما رأى أنه قد نجا، وأحرز العير كتب إلى قريش : أن ارجعوا ، فإنكم إنما خرجتم لتحرزوا عيركم، فأتاهم الخبر، وهم بالجحفة، فهموا بالرجوع ، فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نقدم بدرًا، فنقيم بها، ونطعم من حضرنا من العرب ، وتخافنا العرب بعد ذلك، فأشار الأحنس بن شريق^(٢) عليهم بالرجوع ، فعصوه ، فرجع هو وبنو زهرة ، فلم يشهد بدرًا زهري، فاغتبطت بنو زهرة بعد برأى الأحنس ، فلم يزل فيهم مطاعاً معظمًا، وأرادت بنو هاشم الرجوع ، فاشتد عليهم أبو جهل ، وقال : لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع فساروا ، وسار رسول الله (ﷺ) حتى نزل عشيا أدنى ماء من مياه بدر، فقال :

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٥٧/٣ ؛ واخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب: قوله تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الَّامَلِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ ، سورة الانفال ، الآية (٩) ، ٧٣/٥ ، رقم الحديث (٣٩٥٢) .

(٢) الأحنس بن شريق: وهو أبي بن شريق ، ويعرف بالأحنس بن شريق بن عمرو ابن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي يكنى أبا ثعلبة ، سمي بالأحنس ، وذلك لما خرجت قريش إلى بدر وخنس عنهم ورجع ، اسلم عام الفتح ، وأعطاه رسول الله (ﷺ) مع المؤلفلة قلوبهم، وتوفي في أول خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ؛ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ١٦٦/١ .

(أشيروا عليّ في المنزل)^(١)، فقال الحباب بن المنذر^(٢): يا رسول الله! أنا عالم بها وبقلبها، إن رأيت أن نسير إلى قلب قد عرفناها، فهي كثيرة الماء، عذبة، فننزل عليها ونسبق القوم إليها ونغور ما سواها من المياه^(٣). وسار المشركون سراعاً يريدون الماء وبعث علياً وسعداً والزيبر إلى بدر يلتمسون الخبر، فقدموا بعبدين لقريش، ورسول الله (ﷺ) قائم يصلي، فسألها أصحابه من أنتما؟ قالوا: نحن سقاة لقريش، فكره ذلك أصحابه، وودوا لو كانا لعير أبي سفيان، (فلما سَلَّمَ رسول الله (ﷺ) قال لهما: أخبراني أين قريش؟ قالوا: وراء هذا الكئيب، فقال: كم القوم؟ فقالوا: لا علم لنا، فقال كم ينحرون كل يوم؟ فقالوا: يوماً عشراً، ويوماً تسعاً، فقال رسول الله (ﷺ) : القوم ما بين تسعمائة إلى الألف^(٤)، فأُنزل الله (ﷻ) في تلك

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٥٧/٣ ؛ وفتح الباري شرح صحيح البخاري ،

لابن حجر ، ٢١١/١ .

(٢) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن

سلمة الأنصاري السلمي، يكنى أبا عمرو ، شهد بدرا وهو ابن ثلاث وثلاثين

سنة، ومات الحباب بن المنذر في خلافة عمر (رضي الله عنه) ؛ ينظر : معرفة الصحابة

لابن منده ، ٢٢٧ .

(٣) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٣٩ ؛ ومسؤولية الدول الإسلامية عن

الدعوة ، لعبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ،

الطبعة الأولى ، (بلا / ١٤١٦هـ) ، ١٩ .

(٤) المرجع نفسه ، ١٣٩ ؛ ورواه الشوكاني في كتابه ولاية الله والطريق إليها ،

لمحمد ابن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) ، =

الليلة مطراً واحداً، فكان على المشركين وابلاً شديداً منعهم من التقدم ، وكان على المسلمين طلا طهرهم به، وأذهب عنهم رجس الشيطان، ووطأ به الأرض، وصلب به الرمل، وثبت الأقدام، ومهد به المنزل، وربط به على قلوبهم، فسبق رسول الله (ﷺ) وأصحابه إلى الماء، فنزلوا عليه شطر الليل، وصنعوا الحياض، ثم غوروا ما عداها من المياه ، ونزل رسول الله (ﷺ) وأصحابه على الحياض، وبُني لرسول الله (ﷺ) عريش يكون فيها على نل يشرف على المعركة، ومشى في موضع المعركة (وجعل يشير بيده : هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان إن شاء الله ، فما تعدى أحد منهم موضع إشارته)(^١) .

فلما طلع المشركون، وتراءى الجمعان ، قال رسول الله (ﷺ) : (اللهم هذه قریش جاءت بخيلائها وفخرها، جاءت تحادك، وتكذب رسوك، وقام، ورفع يديه، واستتصر ربه، وقال: اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، فالتزمه الصديق من ورائه، وقال: يا رسول الله !

=تحقيق: إبراهيم إبراهيم هلال ، دار الكتب الحديثة ، من دون طبعة، (مصر - القاهرة/ بلا سنة نشر) ، ٣٦١ .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٥٧/٣ ؛ أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وأثبات عذاب القبر والتعوذ منه، ٢٢٠٤/٤ ، رقم الحديث (٢٨٧٣) .

أبشر فوالذي نفسي بيده ، لينجزن الله لك ما وعدك^(١)، واستتصر المسلمون الله ، واستغاثوه ، وأخلصوا له ، وتضرعوا إليه ، فأوحى الله إلى ملائكته: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلِقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾^(٢)، وأوحى الله إلى رسوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ﴾^(٣)، مردفين ، وقد قرئ بكسر الدال وفتحها، فقيل: المعنى إنهم ردف لكم، وقيل: يردف بعضهم بعضاً أرسالاً لم يأتوا دفعة واحدة^(٤).

وقال ابن القيم "رحمه الله" عن المبارزة يوم بدر: (وخرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد بن عتبة، يطلبون المبارزة ، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار: عبد الله ابن رواحة، وعوف ومعوذ ابنا عفراء، فقالوا لهم: من أنتم؟ فقالوا: من الأنصار. قالوا: أكفاء كرام، وإنما نريد بني عمنا، فبرز إليهم علي وعبيدة بن الحارث وحمزة، فقتل علي قرنه الوليد ، وقتل حمزة

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٥٧/٣ ؛ أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب: الامداد بالملائكة في غزوة بدر وابطاح الغنائم ، ١٣٨٣/٣ ، رقم الحديث (١٧٦٣) .

(٢) سورة الانفال ، الآية (١٢) .

(٣) سورة الانفال ، الآية (٩) .

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٥٨/٣ ؛ والسيرة النبوية ، لأبي الحسن الندوي ، ٣٠١ .

قرنه عتبة، وقيل: شيبة، واختلف عبدة وقرنه ضربتين، فكر علي وحمزة على قرن عبدة، فقتلاه واحتملا عبدة وقد قطعت رجله...^(١).

وكان علي بن ابي طالب (ﷺ) يقسم بالله: لنزلت هذه الآية فيهم: ﴿هَذَا خِطَابٌ لِّلَّذِينَ لَا يَدْرُونَ الْبُرْهَانَ﴾^(٢)، ثم حمي الوطيس، واستدارت رحي الحرب، واشتد القتال^(٣).

وأخذ رسول الله (ﷺ) في الدعاء والابتهال، ومناشدة ربه (ﷻ)، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فرده عليه الصديق، وقال: (كفى يا رسول الله، إن الله منجز لك ما وعدك)^(٤)، فأغفى رسول الله (ﷺ) إغفاءة واحدة، وأخذ القوم النعاس في حال الحرب، ثم رفع رسول الله (ﷺ) رأسه فقال: (أبشر يا أبا بكر! هذا جبريل على ثناياه النقع)^(٥)، وجاء النصر، وأنزل

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٥٨/٣ .

(٢) سورة الحج ، جزء من الآية (١٩) .

(٣) ينظر: صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب : قتل ابو جهل ، ٧٥/٥ ، رقم الحديث (٣٩٦٧) .

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٦٠/٣ ؛ اخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير ، باب: الأمداد بالملائكة في بدر ، ١٣٨٣/٣ ، رقم الحديث (١٧٦٣) .

(٥) فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٤٤ ؛ اخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب: قصة بدر ، ٧٣/٥ ، رقم الحديث (٣٩٥٣) .

الله جنده ، وأيد رسوله والمؤمنين، ومنحهم أكتاف المشركين أسراً وقتلاً، فقتلوا منهم سبعين، وأسروا سبعين^(١).

وقد ظهر إبليس في صورة سراقاة الكناني ووسوس لقريش ، فلما عزموا اهل مكة على الخروج، ذكروا ما بينهم وبين بني كنانة من الحرب، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقاة بن مالك المدلجي ، وكان من أشرف بني كنانة ، فقال لهم : لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم من أن تأتیکم كنانة بشيء تکرهونه، فخرجوا والشيطان جار لهم لا يفارقهم، فلما تعبثوا للقتال، ورأى عدو الله جند الله قد نزلت من السماء، فر ونكص على عقبيه، فقالوا: إلى أين يا سراقاة؟ ألم تكن قلت: إنك جار لنا لا تفارقنا؟ فقال: إني أرى ما لا ترون، إني أخاف الله، والله شديد العقاب، وصدق في قوله : إني أرى ما لا ترون، وكذب في قوله : إني أخاف الله، وقيل: كان خوفه على نفسه أن يهلك معهم، وهذا أظهر^(٢).

ولما رأى المنافقون ومن في قلبه مرض قلة حزب الله وكثرة أعدائه، ظنوا أن الغلبة إنما هي بالكثرة، وقالوا: غر هؤلاء دينهم ، فانزل الله تعالى قوله: ﴿ إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(٣)، فأخبر سبحانه أن النصر

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٤٥ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٦١/٣ ؛ والسيرة النبوية لابن هشام ، ٦٦٣/١ .

(٣) سورة الانفال ، الآية (٤٩) .

بالتوكل عليه لا بالكثرة، ولا بالعدد، والله عزيز لا يغالب، حكيم ينصر من يستحق النصر، وإن كان ضعيفاً، فعزته وحكمته أوجبت نصر الفئة المتوكله عليه^(١).

وأخذ رسول الله (ﷺ) ملء كفه من الحصباء، فرمى بها وجوه العدو، فلم تترك رجلاً منهم إلا ملأت عينيه، وشغلوا بالتراب في أعينهم، وشغل المسلمون بقتلهم، فأنزل الله في شأن هذه الرمية على رسوله: قال تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٢)، وقد ظن طائفة أن الآية دلت على نفي الفعل عن العبد، وإثباته لله، وأنه هو الفاعل حقيقة، وهذا غلط منهم من وجوه عديدة مذكورة في غير هذا الموضع، ومعنى الآية: أن الله سبحانه أثبت لرسوله ابتداء الرمي، ونفى عنه الإيصال الذي لم يحصل برميته فالرمي يراد به الحذف والإيصال، فأثبت لنبيه الحذف، ونفى عنه الإيصال^(٣).

وجاء رجل من الأنصار بالعباس بن عبد المطلب أسيراً، فقال العباس: إن هذا والله ما أسرنى، لقد أسرنى رجل أجلى، من أحسن الناس وجهاً، على فرس أبلق ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٦٢/٣؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١٤٥.

(٢) سورة الانفال، الآية (١٧).

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٦٢/٣.

رسول الله ، فقال : (اسكت فقد أيدك الله بملك كريم)^(١) ، وأسر من بني عبد المطلب ثلاثة: العباس، وعقيل، ونوفل بن الحارث^(٢) .

وعن رفاعة بن رافع^(٣) (رضي الله عنه) ، قال : (لما رأى إبليس ما تفعل الملائكة بالمشركين يوم بدر ، أشفق أن يخلص القتل إليه ، فتشبث به الحارث بن هشام ، وهو يظنه سراقاً ابن مالك ، فوكز في صدر الحارث فألقاه ، ثم خرج هارياً حتى ألقى نفسه في البحر ، ورفع يديه ، وقال : اللهم إني أسألك نظرتك إياي ، وخاف أن يخلص إليه القتل ، فأقبل أبو جهل بن هشام ، فقال : يا معشر الناس ! لا يهزمنكم خذلان سراقاً إياكم ، فإنه كان على ميعاد من محمد ، ولا يهولنكم قتل عتبة وشيبة والوليد فإنهم قد عجلوا ،

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ٧٦/٦ ، رقم الحديث (٩٩٥٤) ، وقال المحقق : حديث صحيح .

(٢) ينظر : فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٤٥ ؛ وبدر الكبرى ، لعطية بن سالم ، ٣٤ .

(٣) رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الأنصاري

الزرقى ، كنيته أبو معاذ : وهو صحابي ، شهد بدرًا ، وهو صاحب العين التي فقنت

بسهم ، مات في أول ولاية معاوية بن أبي سفيان ؛ ينظر : الثقات ، لمحمد بن

حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد ، التميمي ، أبو حاتم ، الدارمي ، البُستي

(ت : ٣٥٤هـ) ، الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية ،

دائرة المعارف العثمانية بحيدر ، الطبعة الأولى ، (آباد-الهند/١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ،

. ١٢٥/٣

فواللات والعزى، لا نرجع حتى نقرنهم بالحبال، ولا ألفين رجلاً منكم قتل رجلاً منهم، ولكن خذوهم أخذاً حتى نعرفهم سوء صنيعهم^(١) .

ولما وضع المسلمون أيديهم في العدو يقتلون ويأسرون، وسعد بن معاذ (رضي الله عنه) واقف على باب الخيمة التي فيها رسول الله (ﷺ) وهي العريش متوشحاً بالسيف في ناس من الأنصار، رأى رسول الله (ﷺ) في وجه سعد ابن معاذ الكراهية لما يصنع الناس، فقال رسول الله (ﷺ): (كأنك تكره ما يصنع الناس؟ قال: أجل ، والله كانت أول وقعة أوقعها الله بالمشركين، وكان الإثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال)^(٢) .

ولما بردت الحرب وولى القوم منهزمين، قال رسول الله (ﷺ): (من ينظر لنا ما صنع أبو جهل؟ فانطلق ابن مسعود (رضي الله عنه)، فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، وأخذ بلحيته، فقال: أنت أبو جهل؟ فقال: لمن الدائرة اليوم؟ فقال: لله ولرسوله، وهل أخزاك الله يا عدو الله؟ فقال: وهل فوق رجل قتله قومه؟ فقتله عبد الله ، ثم أتى النبي (ﷺ) فقال: قتلته : فقال: الله الذي لا إله إلا هو ، فرددها ثلاثاً، ثم قال: الله أكبر، الحمد لله الذي

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٦٥/٣ ؛ والمعجم الكبير ، لسليمان بن أحمد ابن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ، حمدي ابن عبد المجيد السلفي ، دار مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الثانية ، (القاهرة / بلا سنة نشر) ، ٤٧/٥ ، رقم الحديث (٤٥٥٠) .

(٢) المصدر نفسه ، ١٦٥/٣ .

صدق وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، انطلق أرنيه. فانطلقنا فأريته إياه فقال: هذا فرعون هذه الأمة (١).

وانقطع يومئذ سيف عكاشة بن محصن (٢)، فأعطاه النبي (ﷺ) جذلاً من حطب فقال: (دونك هذا) (٣)، فلما أخذ عكاشة وهزه، عاد في يده سيفاً طويلاً شديداً أبيض، فلم يزل عنده يقاتل به حتى قتل في الردة أيام أبي بكر، وقال رفاعة بن رافع (رضي الله عنه): (رمى بسهم بدر ففقت عيني، فبصق فيها رسول الله (ﷺ) ودعا لي، فما آذاني منها شيء) (٤).

ولما انقضت الحرب أقبل رسول الله (ﷺ) حتى وقف على القتلى، فقال: (بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم، كذبتوني وصدقني الناس، وخذلتوني ونصرني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، ثم أمر بهم فسحبوا إلى قليب من قلب بدر، فطرحوا فيه، ثم وقف عليهم، فقال: يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبه بن ربيعة، ويا فلان، ويا فلان هل وجدتم ما

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٦٥/٣ ؛ واخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب: قتل ابو جهل ، ٧٤/٥ ، رقم الحديث (٣٩٦٢) .

(٢) عكاشة بن محصن بن حرثان بن قيس بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة الأسدي ، حليف لبني أمية، يكنى أبا محصن، شهد بدرًا وأبلى فيها بلاءً حسناً، وانكسر سيفه ، فأعطاه رسول الله (ﷺ) عرجونا أو عودا ، فصار بيده سيفاً يومئذ، وتوفي في خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ، في معركة الردة ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ١٠٨٠/٢ .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٦٦/٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ١٦٧/٣ ؛ وبدر الكبرى ، لعطية بن سالم ، ٣٧ .

وعدكم ربكم حقاً، فإنني وجدت ما وعدني ربي حقاً ، فقال عمر ابن الخطاب : يا رسول الله ! ما تخاطب من أقوام قد جيفوا؟ فقال: والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون الجواب^(١)، ثم ارتحل مؤيداً منصوراً ، قرير العين بنصر الله له، ومعه الأسارى والمغانم ، فلما كان بالصفراء^(٢)، قسم الغنائم وضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة^(٣)، ثم لما نزل بعرق الظبية، ضرب عنق عقبة ابن أبي معيط^(٤)، ودخل النبي (ﷺ) المدينة مؤيداً مظفراً منصوراً قد خافه

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٦٨/٣ ؛ ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه واثبات عذاب القبر والتعوذ منه، ٢٢٠٣/٤ ، رقم الحديث (٢٨٧٤) .

(٢) الصفراء: وادي الصفراء: من ناحية المدينة، وهو واد كثير النخل والزرع والخير في طريق الحاجّ وسلكه رسول الله (ﷺ)، غير مرّة ، وهي فوق ينبع ممّا يلي المدينة وماؤها يجري إلى ينبع، وهي لجهينة والأنصار ولبنى فهر ونهد ورضوى منها من ناحية المغرب على يوم ؛ ينظر: معجم البلدان ، ٤١٢/٣ .

(٣) النضر بن الحارث بن كلدة أخو بني عبد الدار تعلم الزندقة من نصارى الحيرة فلم يسلم وقتل يوم بدر كافراً، من ولد النضر بن الحارث بن كلدة ؛ ينظر: جمل من أنساب الأشراف، ٢٢٨/١ .

(٤) عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كان من الشياطين، وهو الفاسق الذي ذكره الله تعالى في كتابه أسره رسول الله (ﷺ) يوم بدر وضرب عنقه صبراً ؛ ينظر: الإكمال في رفع الارتياح عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، لسعد الملك ، علي بن هبة الله بن =

كل عدو له المدينة وحولها، فأسلم بشر كثير من أهل المدينة، وحينئذ دخل عبد الله بن أبي المنافق وأصحابه في الإسلام ظاهراً^(١).

وجملة من حضر بدرًا من المسلمين ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، من المهاجرين ستة وثمانون، ومن الأوس أحد وستون، ومن الخزرج مائة وسبعون، وإنما قل عدد الأوس عن الخزرج، وإن كانوا أشد منهم، وأقوى شوكة، وأصبر عند اللقاء، لأن منازلهم كانت في عوالي المدينة، وجاء النفير بغتة، وقال النبي (ﷺ): لا يتبعنا إلا من كان ظهره حاضراً، واستشهد من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً: ستة من المهاجرين، وستة من الخزرج، واثنان من الأوس، وفرغ رسول الله (ﷺ) من شأن بدر والأسارى في شوال^(٢).

=جعفر بن ماكولا أبو نصر (ت: ٤٧٥هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى،
 (بيروت-لبنان/١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ٢٠٩/٧ .
 (١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٦٨/٣ .
 (٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٦٩/٣ .

المطلب الثاني

الجانب الدعوي المفاد من غزوة بدر الكبرى

لقد انطوت غزوة بدر الكبرى على جوانب دعوية جلية ، كما تتضمن معجزات باهرة تتعلق بتأييد الله (ﷻ) ونصره لرسوله وللمؤمنين المتمسكين بمبادئ إيمانهم والمخلصين في القيام بمسؤوليات دينهم ، بل هي وافرة بالدروس والعبر والاحكام والفوائد كما ذكرت ، ومن هذه الغزوة العظيمة أستطيع أن أقف على أهم الجوانب الدعوية التي أشار اليها ابن القيم "رحمه الله" ، والتي اوجزها على النحو الاتي :

١- الثبات عند لقاء العدو:

إنّ الثبات هو المادة الأولى في قانون النصر، لأنه بدء الطريق إليه فأثبت الفريقين أغلبهما ، وما يدري المؤمنون أن عدوهم يعاني أشد مما يعانون، وأنهم لو ثبتوا للحظة فسينهار عدوهم، وينخذل، وما الذي يزلزل أقدام المؤمنين، وهم واثقون من إحدى الحسينين : الشهادة أو النصر^(١).

والثبات محله القلب ولا يتأتى إلا بقوة العقيدة ورساخة الإيمان، وهي لازمة للمؤمنين في ميدان القتال، وفي كل ميدان فتقابل فيه قوة إيمانية، وأية قوة أخرى من قوى الأرض، وفي كل مجال ينازل فيه خصما، وهو

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٥٢/٣ .

الثبات على العقيدة مهما فتن، وعلى الطريقة مهما لاقى، وعلى الكيد مهما يدبر الكائدون^(١).

٢- حقيقة النصر من الله تعالى :

إن حقيقة النصر في بدر كانت من الله (ﷻ)، فقد بين سبحانه وتعالى أن النصر لا يكون إلا من عند الله تبارك وتعالى، قول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِنَ قُلُوبَكُمْ بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِنُظْمِنَ بِهِ قُلُوبَكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢)، قال ابن كثير "رحمه الله" (... وفي هاتين الآيتين تأكيد على أن النصر لا يكون إلا من عند الله تعالى)^(٤).

ويفاد من هاتين الآيتين: تعليم المؤمنين الاعتماد على الله وحده، وتفويض أمورهم إليه مع التأكيد على أن النصر إنما هو من عند الله وحده، وليس من الملائكة أو غيرهم، فالأسباب يجب أن يأخذ بها المسلمون، لكن يجب أن لا يغتروا بها، وأن يكون اعتمادهم على خالق الأسباب حتى يمددهم الله بنصره وتوفيقه، ثم بين سبحانه مظاهر فضله

(١) ينظر: قوة العقيدة سبيل النصر في غزوة بدر الكبرى، ١٨٣.

(٢) سورة ال عمران، الآية (١٢٦).

(٣) سورة الانفال، الآية (١٠).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء البصري ثم

الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر

والتوزيع، الطبعة الثانية، (بلا/١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ١٤٤/٢.

على المؤمنين ، وأن النصر الذي كان في بدر ، وقتلهم المشركين ، ورمي النبي (ﷺ) المشركين بالتراب يوم بدر إنما كان في الحقيقة بتوفيق الله أولاً وبفضله ومعونته^(١) ، وبهذه الآية الكريمة يربي القرآن المسلمين ويعلمهم الاعتماد عليه ، قال تعالى : ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٢) ، ولما بين سبحانه وتعالى أن النصر كان من عنده ، وضح بعض الحكم من ذلك النصر ، قال تعالى : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمُهُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِبِينَ ﴾^(٣) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾^(٤) ، وأمر سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتذكروا دائماً تلك النعمة العظيمة ؛ نعمة النصر في بدر ، ولا ينسوا من أذهانهم كيف كانت حالتهم قبل النصر^(٤) ، قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/١٥٥ ؛ والفصول في السيرة ، ١٣١ .

(٢) سورة الانفال ، الآية (١٧) .

(٣) سورة ال عمران ، الآيتان (١٢٧، ١٢٨) .

(٤) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٤٠ ؛ وتبصير المؤمنين بفقه النصر

والتمكنين في القرآن الكريم (أنواعه - شروطه وأسبابه - مراحل وأهدافه) ، لعلي

محمد محمد الصلابي ، مكتبة الصحابة ، الطبعة الأولى ، (الشارقة -

الإمارات/١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ، ٨٩ .

مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوِنُوا إِلَى اللَّهِ فَمَا آوَىٰ رَبُّكُمْ فَبِئْسَ الْمَصِيرُ
وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَمَّا كُمُ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾.

٣- الاهتمام بالاستكشاف والاستطلاع قبل إبان المعركة ، ولذلك نجد أن الرسول (ﷺ) خرج بنفسه لذلك أو كان يختار من يثق بهم (٢).
٤- يدلنا السبب الأول لغزوة بدر أن الدافع الأصلي لخروج المسلمين مع رسول الله (ﷺ) ، لم يكن القتال والحرب ، وإنما كان الدافع هو اقتصادي لتقوية اقتصاد المسلمين بقصد الاستيلاء على عير قريش القادمة من الشام تحت إشراف أبي سفيان ، غير أن الله (ﷻ) أراد لعباده غنيمة أكبر ، ونصراً أعظم ، وعملاً أشرف وأكثر انسجاماً مع الغاية التي ينبغي أن يقصدها المسلم في حياته كلها ، فأبعد عنهم العير التي كانوا يطلبونها ، وأبدلهم بها نفيراً لم يكونوا يتوقعونه ، وفي هذا دليل على ان الله تعالى أراد لعباده المؤمنين قصداً أرفع من ذلك وأليق بوظيفتهم التي خلقوا من أجلها ، ألا وهي الدعوة إلى دين الله والجهاد في سبيل ذلك ، والتضحية بالروح والمال في سبيل إعلاء كلمة الله ، ومن هنا كان النصر العظيم حليف أبي سفيان في النجاة بتجارته ، بمقدار ما كانت الهزيمة

(١) سورة الانفال ، الآية (٢٦) .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٥٨/٣ ؛ وقوة العقيدة سبيل النصر في

غزوة بدر الكبرى ، ١٨٧ .

العظيمة حليف قريش في ميدان الجهاد بينهم وبين المسلمين^(١)،
 وإن هذه التربية الإلهية لنفوس المسلمين لتتجلى بأبرز صورها في
 قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّوْنَ أَنَّ
 غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ
 دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۗ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَطْلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ۗ ﴿٧﴾ .

٥- تكتيك الحرب الذي يبدو واضحاً في السرية التامة في التحركات
 ولاسيما خلال العمليات ، فأخذ المسلمون مواقع المياه تنفيذاً لرأي
 الصحابي الحباب بن المنذر (رضي الله عنه) ثم في منتصف الليل حتى لا
 يشعر بهم العدو^(٣).

٦- كان شعار المسلمين في بدر (أحد ، أحد)^(٤)، وهذا يعني أن القتال
 في سبيل عقيدة تتمثل بالعبودية للإله الواحد، فلا العصبية ولا
 القبلية، ولا الأحقاد والضغائن، ولا الثأر هو الباعث والمحرك،

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٤١ ؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز
 لتاريخ الخلافة الراشدة ، ١٥٩ .

(٢) سورة الانفال ، الآيتان (٨،٧) .

(٣) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٤٢ ؛ وقوة العقيدة سبيل النصر في
 غزوة بدر الكبرى ، ١٨٧ .

(٤) صحيح السيرة النبوية ، للألباني ، ١٢٢ ؛ وفدائيون من عصر الرسول ، لأحمد
 عبد اللطيف الجدع، دار الضياء للنشر والتوزيع ، الطبعة الخامسة ، (عمان-
 الاردن/١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ١٢ .

ولكنه الإيمان بالله وحده^(١).

٧- الولاء والبراء من فقه الإيمان والدعوة :

قد رسمت غزوة بدر لأجيال الأمة صوراً مشرقة في الولاء والبراء، وجعلت خطأ فاصلاً بين الحق والباطل ، فكانت الفرقان النفسي والمادي والمفاصلة التامة بين الإسلام والكفر، وفيها تجسدت هذه المعاني ، فعاشها الصحابة واقعاً مادياً وحقيقة نفسية، وفيها تهاوت القيم الجاهلية ، فضرورة تغلغل العقيدة في نفوس المحاربين، فإن العقيدة المتغلغلة في نفوس المسلمين بلغت منهم منزلة تسمو على صلوات الرحم والقراية ، فكان الرجل منهم يقتل أباه أو أخاه أو عمه أو قريبه من المشركين لا تأخذه فيه شفقة أو رحمة^(٢).

فالتقى الابن بأبيه والأخ بأخيه ، فكان أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة^(٣) في صف المسلمين، وكان أبوه عتبة وأخوه الوليد وعمه شيبه في صف المشركين، وقد قتلوا جميعاً في المبارزة الأولى^(٤)، وكان أبو بكر الصديق

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٣٩ .

(٢) ينظر: فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، ١٦٠ ؛ وقوة العقيدة سبيل النصر في غزوة بدر الكبرى ، ١٨٩ .

(٣) أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي العبشمي، وهو من السابقين إلى الإسلام، وهاجر إلى أرض الحبشة، وإلى المدينة ، وقتل يوم اليمامة شهيداً ؛ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٧١/٥ .

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٦٠/٣ ؛ والبداية والنهاية ، ٣٠٧/٣ ؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، ١٦١ .

في صف المسلمين ، وكان ابنه عبد الرحمن في صف المشركين ، وكان مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين، وكان أخوه أبو عزيز بن عمير^(١) في صف المشركين، ثم وقع أسيراً في يد أحد الأنصار، فقال مصعب للأنصاري: شد يدك به فإن أمه ذات متاع ، فقال أبو عزيز: يا أخي هذه وصيتك بي؟ فقال مصعب: إنه أخي دونك، تلك كانت حقائق وليس مجرد كلمات : إنه أخي دونك^(٢)، إنها القيم المطروحة لتقوم الإنسانية على أساسها، فإذا العقيدة هي أصرة النسب والقرابة وهي الرباط الاجتماعي^(٣).

٨- المعجزات التي ظهرت في بدر وما حولها:

ومن المعجزات التي ظهرت على يدي رسول الله (ﷺ) في بدر إخباره عن بعض المغيبات^(٤)، ومن المعلوم أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده ، وقد أضافه الله تعالى إلى نفسه الكريمة في غير آية من كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ

(١) أبو عزيز بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ابن كلاب القرشي العبدري هو أخو مصعب بن عمير وأخو أبي الروم بن عمير ، وقيل: اسم أبي عزيز هذا زرارة، وقتل كافراً يوم أحد ، وأما مصعب بن عمير فقتل بأحد مسلماً ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ١٢١٤/٤ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٣٨ ؛ والبداية والنهاية ، ٣٠٩/٣ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٦١/٣ ؛ والفصول في السيرة ، لابن كثير ، ١٣١ .

(٤) ينظر: مختصر زاد المعاد ، ١٤١ ؛ ونصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (ﷺ) ، ٤٥٣/١ .

أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿١﴾ ، وقال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعَلِّمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٢).

ومن المعلوم أن الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)، لا يعلمون الغيب ولا اطلاع لهم على شيء منه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُكُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٣)، فكان لأحداث غزوة بدر نصيب من تلك المعجزات الغيبية ، ومنها:
أ - مقتل أمية بن خلف :

فمن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: انطلق سعد بن معاذ معتمراً (٤)، قال: فنزل على أمية بن خلف أبي صفوان ، وكان أمية إذا انطلق إلى الشام فمر بالمدينة نزل على سعد ، فقال أمية لسعد : ألا تنتظر حتى إذا انتصف النهار وغفل الناس انطلقت فطفت ؟ فبينما سعد يطوف إذا أبو جهل، فقال: من هذا الذي يطوف بالكعبة ، فقال سعد: أنا سعد، فقال أبو جهل: تطوف بالكعبة أمنا وقد آويتم محمداً وأصحابه ؟ فقال: نعم،

(١) سورة النمل ، الآية (٦٥) .

(٢) سورة الانعام ، الآية (٥٩) .

(٣) سورة الانعام ، الآية (٥٠) .

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٥٦/٣ .

فتلاحيا بينهما -اي تلاوما وتنازع- فقال أمية لسعد: لا ترفع صوتك على أبي الحكم فإنه سيد أهل الوادي ، ثم قال سعد: والله لئن منعتني أن أطوف بالبيت لأقطعن متجرك بالشام ، قال: فجعل أمية يقول لسعد: لا ترفع صوتك، وجعل يمسكه فغضب سعد فقال: دعنا عنك، فإني سمعت محمداً (ﷺ) يزعم أنه قَاتِلُكَ، قال: إياي؟ قال: نعم. قال: والله ما يكذب محمد إذا حدّث، فرجع إلى امرأته فقال: أما تعلمين ما قال لي أخي الليثري؟ قالت: وما قال؟ قال: زعم أنه سمع محمداً يزعم أنه قاتلي، قالت: فوالله ما يكذب محمد، قال: فلما خرجوا إلى بدر جاء الصريخ ، قالت له امرأته: أما ذكرت ما قال لك أخوك الليثري؟ قال: فأراد ألا يخرج، فقال له أبو جهل: إنك من أشرف الوادي، فسر يوماً أو يومين ، فسار معهم يومين، فقتله الله (١).

ب - مصارع الطغاة :

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال، وكنت رجلاً حديد البصر - أي نافذ - فرأيتته وليس أحد يزعم أنه رآه غيري ، قال فجعلت أقول لعمر: أما تراه؟ فجعل يقول لا يراه، قال: يقول عمر: سأراه وأنا مستلق على فراشي، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر، فقال: إن رسول الله (ﷺ) كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول: (هذا

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/ ١٥٦ .

مصرع فلان غداً، إن شاء الله) ^(١)، قال: فقال عمر: فو الذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود التي حد رسول الله (ﷺ) ^(٢).

ج - إخبار العباس بن عبد المطلب بالمال الذي دفنه ، وذلك لما طلب رسول الله (ﷺ) من عمه دفع الفداء ، وأجابه العباس : ما ذاك عندي يا رسول الله ، فقال له : (أين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل؟ فقلت لها: إن أصبت في سفري هذا، فهذا المال الذي دفنته لبني الفضل وعبد الله وقتم) ^(٣)، قال: والله يا رسول الله، إنني لأعلم أنك رسول الله، إن هذا الأمر ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل ^(٤).

وما حدث به عمير بن وهب ^(٥) لما جاء متظاهراً بفداء ابنه، وهو يريد

(١) سبق تخريجه ، ١٨٨ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/١٥٧ ؛ وفقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٣٩ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب المناقب ، ٧/٣٧٣ ، رقم الحديث (٤٠١٨) .

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/١٦٠ ؛ وسبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، ٤/٦٩ .

(٥) عمير بن وهب بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي الصحابي، يكنى أبا أمية، وهو ابن عم صفوان بن أمية، وأسلم عمير وحسن إسلامه ورجع إلى مكة ، فأسلم على يده ناس كثير (ﷺ) ؛ ينظر : تهذيب الأسماء واللغات ، ٢/٣٩ .

قتل النبي (ﷺ) باتفاق مع صفوان بن أمية^(١)، فقد أنبأه نبأ المؤامرة ، فكانت سبباً في إسلامه وصدق إيمانه^(٢).

واما سيف عكاشة بن محصن (رضي الله عنه) انقطع يومئذ، فأعطاه النبي (ﷺ) جذلاً من حطب، فقال: دونك هذا ، فلما أخذه عكاشة وهزه ، عاد في يده سيفاً طويلاً شديداً أبيض ، فلم يزل عنده يقاتل به حتى قتل في الردة أيام الصديق^(٣).

وقال رفاعه بن رافع (رضي الله عنه): رميت بسهم يوم بدر، ففقت عيني، فبصق فيها رسول الله (ﷺ) ودعا لي، فما آذاني منها شيء^(٤).

(١) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، أبو وهب الجمحي، أمه صفية بنت معمر بن حبيب، جمحية أيضاً، قتل أبوه يوم بدر كافراً ، فأسلم، وروى له مسلم والترمذي من طريق سعيد بن المسيب، عن صفوان بن أمية، قال: (والله لقد أعطاني النبي (ﷺ)، وإنه لأبغض الناس إليّ، فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ) ؛ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٣/ ٣٥٠ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٣٩ ؛ والبداية والنهاية ، ٢/ ٣٨٢ ؛ والسيرة النبوية ، لأبي الحسن الندوي ، ٣٠٨ .

(٣) ينظر: فقه السيرة ، لمحمد الغزالي السقا ، ٢٢٦ ؛ وغزوات النبي (صلى الله عليه وسلم)، للسيد الجميلي ، دار ومكتبة الهلال ، من دون طبعة ، (بيروت / ١٤١٦ هـ) ، ٤١ .

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/ ١٦٦ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ٤٤٨ .

وما ينبغي لأحد أن يزعم أن المعجزات الحسية لا ضرورة إليها بعد القرآن ، فها هي قد بدت آثارها واضحة جلية في إسلام البعض، وتقوية يقين البعض الآخر، وإثبات أنه نبي يوحى إليه، فقد أخبر بمغيبات انتفى في العلم بها كل احتمال إلا أنه خبر السماء، وغير خفي ما يحدثه من انقلاب عود أو عرجون في يد صاحبه سيفاً بتاراً في إيمانه وتقوية يقينه، وجهاده به جهاداً لا يعرف التردد أو الخور، وحرصه البالغ على أن يخوض المعارك بسيف خرقت به العادة وصار مثلاً وذكرى في الأولين والآخرين^(١).

٩- حكم الاستعانة بالمشرك :

في غزوة بدر - في الأحداث التي سبقتها- أراد مشرك أن يلحق بجيش المسلمين، وطلب من النبي (ﷺ) الموافقة على قبوله معهم ، والاشتراك فيما هم ذاهبون إليه فقال (ﷺ) : (فلن أستعين بمشرك)^(٢)، فالحديث يبين أن القاعدة والأصل عدم الاستعانة بغير المسلم في الأمور العامة، ولهذه القاعدة استثناء، وهو جواز الاستعانة بغير المسلم بشروط معينة وهي: تحقق المصلحة، أو رجحانها بهذه الاستعانة، وألا يكون ذلك

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٤٦ ؛ ونصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (ﷺ) ، ٢٨٧/١ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٦٧/٣ ؛ واخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير، باب : كراهة الاستعانة في الغزو بكافر ، ١٤٤٩/٣ ، رقم الحديث (١٨١٧) .

على حساب الدعوة ومعانيها، وأن يتحقق الوثوق الكافي بمن يستعان به، وأن يكون تابعا للقيادة الإسلامية، لا متبوعاً، ومقوداً فيها لا قائداً لها، وألا تكون هذه الاستعانة ، مثار شبهة لأفراد المسلمين، وأن تكون هناك حاجة حقيقية لهذه الاستعانة وبمن يستعان به، فإذا تحققت هذه الشروط جازت الاستعانة على وجه الاستثناء، وإذا لم تتحقق لم تجز الاستعانة، وفي ضوء هذا الأصل رفض رسول الله (ﷺ) اشتراك المشرك مع المسلمين في مسيرهم إلى عير قريش إذ لا حاجة به أصلاً، وفي ضوء الاستثناء وتحقق شروطه استعان النبي (ﷺ) بالمشرك عبد الله ابن أريقط الذي استأجره النبي (ﷺ) وأبو بكر الصديق (رضي الله عنه) في هجرتهم إلى المدينة؛ ليدلها على الطريق إليها .. وهكذا على هذا الاستثناء وتحقق شروطه قبل (ﷺ) حماية عمه أبي طالب له ، كما قبل جوار أو إجارة المطعم ابن عدي له عند رجوعه (ﷺ) من الطائف ، وكذلك قبول الصحابة الكرام جوار من أجارهم من المشركين ليدفع هؤلاء الأذى عن أجاروهم ، وضبط هذه القاعدة مع فهم شروط الاستثناء في واقع الحياة يحتاج إلى فقه دقيق وإيمان عميق^(١).

١٠- الوفاء بالعهد والصدق ، ومن هذه النماذج هي:

أ- فعن حذيفة بن اليمان ووالده (رضي الله عنه) ، قال حذيفة : ما منعنا أن نشهد بداراً إلا أني وأبي أقبلنا نريد رسول الله (ﷺ) ، فأخذنا كفار قريش

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٤٢ ؛ والمستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، لعبد الكريم زيدان (ت: ١٤٣٥هـ) ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، (بلا / ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) ، ١٤٤/٢ ، ١٤٥ .

فقالوا : إنكم تريدون محمداً، فقلنا: ما نريده إنما نريد المدينة، فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لتصيرن إلى المدينة ولا تقاتلوا مع محمد (ﷺ) ، ولما جاوزناهم أتينا رسول الله (ﷺ) فذكرنا له ما قالوا وما قلنا لهم فيما ترى؟ قال (ﷺ): (نستعين الله عليهم ونفي بعهدهم)^(١)، فانطلقنا إلى المدينة، فذاك الذي منعنا أن نشهد بدرًا^(٢).

فهذه صورة مشرقة في حرص النبي (ﷺ) لحفظ العهود، وتربية أصحابه على تطبيق مكارم الأخلاق الرفيعة ، وإن كان في ذلك إجحاف بالمسلمين ومفوت لهم جهد بعض أفراد المجاهدين^(٣).

ب- فعن أسيد بن الحضير^(٤) (رضي الله عنه) انه قال : فعندما رجع رسول الله (ﷺ) إلى المدينة قادماً من بدر لقي بالروحاء رؤوس الناس يهنتونه

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٦٧/٣ ؛ ورواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، ٢٠٢/٣ ، رقم الحديث (٤٩٠٨) ، هذا حديث صحيح الإسناد وأقره الذهبي (٤٩٠٨) ، وقال : حديث صحيح .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٤٢ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٨٥/٣ .

(٤) أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن نافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، وقيل: أبو عتيك الأنصاري الأوسي الأشهلي ، أحد النقباء الاثني عشر ليلة العقبة أسلم قديماً وقال: ما شهد بدرًا ، وأنه ممن أسلم على يد مصعب بن عمير هو وسعد بن معاذ ، وأخى رسول الله (ﷺ) بينه وبين زيد بن حارثة، =

بما فتح الله عليه، فقال أسيد بن الحضير: يا رسول الله ، الحمد لله الذي أظفرك وأقر عينك، والله يا رسول الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدواً، ولكن ظننت أنها غير، ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت، فقال رسول الله (ﷺ) : (صدقتم) (١).

١١- الجوانب الدعوية من شورته (ﷺ) لأصحابه :

عندما نتأمل كيف يجلس رسول الله (ﷺ) إلى أصحابه ليشاورهم في الأمر الذي فوجئوا به بعد أن أفلت منهم العير وطلع عليهم النفير العظيم المدجج بالسلاح الكامل ، وهي التزامه (ﷺ) بمبدأ التشاور مع أصحابه ، وإذا استعرضنا حياته (ﷺ) ، وجدنا أنه كان يلتزم هذا المبدأ في كل أمر لا نص فيه من كلام الله تعالى، مما له علاقة بالدعوة والسياسة الشرعية، ومن أجل هذا أجمع المسلمون على أن الشورى في كل ما لم يثبت فيه نص ملزم من كتاب أو سنة ، أساس تشريعي دائم لا يجوز إهماله ، أما ما ثبت فيه نص من الكتاب أو حديث من السنة أبرم به الرسول (ﷺ) حكمه ، فلا شأن للشورى فيه ولا ينبغي أن يقضى عليه بأي سلطان (٢).

= وكان ممن ثبت يوم أحد، وجرح حينئذ سبع جراحات ؛ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ، ٢٣٤/١ .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٨٦/٣ ؛ والتاريخ الإسلامي مواقف وعبر ، للدكتور عبد العزيز الحميدي ، دار الدعوة ، من دون طبعة ، (الإسكندرية / بلا سنة نشر) ، ١٩٩/٤ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٤٤ ؛ والرحيق المختوم ، ١٦٥ .

ثم إن الصحيح الذي اتفق عليه عامة الفقهاء أن هذه الشورى مشروعة ولكنها ليست بملزمة، أي إن على الحاكم المسلم أن يستشير بها في بحثه ورأيه، ولكن ليس عليه أن يأخذ بأراء الأكتريية مثلا لو خالفوه في رأيه... والمستشير ينظر في اختلاف الآراء، وينظر أقربها إلى الكتاب والسنة إن أمكنه، فإذا أرشده الله تعالى إلى ما شاء منها عزم عليه، وأنفذه متوكلا عليه^(١).

١٢- يجوز للإمام أن يستعين في الجهاد وغيره بالعيون والمراقبين، يبتهم بين الأعداء ليكتشف المسلمون خطتهم وأحوالهم وليتبينوا ما هم عليه من قوة في العدة والعدد، ويجوز اتخاذ مختلف الوسائل لذلك ، بشرط أن لا تنطوي الوسيلة على الإضرار بمصلحة هي أهم من مصلحة الاطلاع على حال العدو، وربما استلزمت الوسيلة تكتما أو نوعاً من المخادعة أو التحايل، وذلك كله مشروع وحسن من حيث إنه واسطة لا بد منها لمصلحة المسلمين وحفظهم^(٢).

وقد جاء في كتب السيرة أن النبي (ﷺ) لما نزل قريبا من بدر، ركب هو ورجل من أصحابه حتى وقف على شيخ من العرب فسأله النبي (ﷺ) عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: (لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ فقال (ﷺ): إذا أخبرتنا أخبرناك ، فقال: أذاك

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/ ١٨٦ ؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز

لتاريخ الخلافة الراشدة ، ١٦١ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٤٥ .

بذاك؟ قال: نعم، فأخبره الشيخ بما يعلم من أمر المشركين، وبما قد سمعه من أمر النبي وأصحابه، حتى إذا فرغ من كلامه قال: فممن أنتما؟ فقال النبي (ﷺ): نحن من ماء، ثم انصرف عنه، فأخذ الشيخ، يقول: ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟ (١).

١٣- أهمية التضرع لله وشدة الاستعانة به :

لقد رأينا أن النبي (ﷺ) كان يطمئن أصحابه بأن النصر لهم ، حتى إنه كان يشير إلى أماكن متفرقة في الأرض ويقول: هذا مصرع فلان ، ولقد وقع الأمر كما أخبر (ﷺ)، فما تزحج أحد في مقتله عن موضع يده كما ورد في الحديث الصحيح، ومع ذلك فقد رأيناه يقف طوال ليلة الجمعة في العريش الذي أقيم له، يجأر إلى الله تعالى داعياً ومتضرعاً، باسماً كفيه إلى السماء يناشد الله (ﷻ) أن يؤتية نصره الذي وعد حتى سقط عنه رداؤه وأشفق عليه أبو بكر (رضي الله عنه)، والتزمه قائلاً : (كفى يا رسول الله ، إن الله منجز لك ما وعد) (٢)، فلماذا كل هذه التضرع ما دام أنه مطمئن إلى درجة أنه قال: لكأنني أنظر إلى مصارع القوم، وأنه حدّد مصارع بعضهم

(١) الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج البخاري ومسلم في صحيحها ، لمحمد بن عبد الواحد أبو عبد الله المقدسي ضياء الدين (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ، (بيروت - لبنان/١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م) ، ٨٠/١١ ، رقم الحديث (٧٢) ، قال المحقق : حديث صحيح .

(٢) سبق تخريجه ، ١٩٠ .

على الأرض؟ والجواب ؛ أن اطمئنان النبي (ﷺ) وإيمانه بالنصر، إنما كان تصديقا منه للوعد الذي وعد الله به رسوله ، ولا شك في أن الله لا يخلف الميعاد ، وربما أوحى إليه بخبر النصر في تلك الموقعة^(١).

أما الاستغراق في التضرع والدعاء وبسط الكف إلى السماء، فتلك هي وظيفة العبودية التي خلق من أجلها الإنسان، وذلك هو ثمن النصر في كل حال، فما النصر - مهما توفرت الوسائل والأسباب - إلا من عند الله ويتوفيقه، والله (ﷻ) لا يريد منا إلا أن نكون عبيدا له بالطبع والاختيار، وما تقرب متقرب إلى الله بصفة أعظم من صفة العبودية^(٢).

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٦٢/٣ ؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ٢٨٠ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٤٧ .

المبحث الثاني

الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله"

على ضوء ذكره لغزوة أحد

بعد انتصار المسلمين في غزوة بدر الكبرى شعرت قريش بمرارة الهزيمة التي لقيتها في حربها مع المسلمين في بدر الكبرى ، وأرادت أن تتأثر لهزيمتها ، حيث استعدت لملاقاة المسلمين مرة أخرى ليوم تمحو عنها غبار الهزيمة ، وقد سيطر المسلمون على الطرق التجارية المؤدية من مكة المكرمة الى الشام والى العراق سيطرة تامة ، ومنعوا قوافل قريش من سلوك هاتين الطريقين؛ فلم يبق أمام قريش إلا التجارة مع الحبشة ، وهي تجارة غير رابحة بالنسبة الى التجارة مع الشام ومع العراق، وبذلك حلت بتجارة قريش- التي تعتمد عليها في حياتها كل الاعتماد- نكبة قاصمة قاضية^(١).

كما سيطر المسلمون على المدينة المنورة وجعلوا منها قاعدة أمينة لدعوتهم وحركاتهم العسكرية المقبلة على حد سواء، وقد حرصت قريش منذ نكبتها الكبرى في بدر على الأخذ بثأرها من المسلمين، وصممت على الاستعداد عسكرياً لاستعادة كرامتها وشرفها ، فقرّر كبراء قريش تخصيص ربح تجارة قافلة أبي سفيان بن حرب التي جرت من أجلها معركة بدر،

(١) ينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ٢٨٠ .

لإنجاز استعدادات معركة الثأر القادمة وإمدادها بالمواد والسلاح والرجال!^(١).

وسميت غزوة أُحُد نسبة للمكان الذي حدثت عنده الغزوة ، وقد أخبر النبي (ﷺ) أنه من جبال الجنة، وقال: (هذا أُحُدُّ جبلٌ يحبنا ونحبه)^(٢)، وهذه الغزوة هي الغزوة الوحيدة التي قاتل فيها (ﷺ) بنفسه^(٣).

وتعد غزوة أُحُد من الغزوات المليئة بالدروس والعبر والفوائد العظيمة ، فلا بد من معرفة أحداثها وأسبابها والوقوف على ما تحمله من الجوانب الدعوية ، وهذا ما سأتناوله في المطلبين الآتيين :

المطلب الأول : ذكر اهم الاحداث من غزوة أُحُد :

المطلب الثاني : الجانب الدعوي المفاد من غزوة أُحُد :

(١) ينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ٢٨٠ .

(٢) اخرجہ البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب : باب ، ٨/٦ ، رقم الحديث (٤٤٢٢) .

(٣) ينظر: شهداء أُحُد الذين ذكرهم ابن إسحاق في مغازيه ، لمحمد بن عبد الله بن عبد القادر غيان الصبحي ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة السادسة والثلاثون، (بلا / ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م) ، العدد ١٢٤ / ٣٧١ .

المطلب الأول

ذكر أهم الأحداث من غزوة أحد

لابد أن نتعرف على اسباب هذه الغزوة وعلى بعض لمحاتها من خلال عرضنا لاهم الاحداث ، وهي على النحو الآتي :

أولاً: أسباب الغزوة

قال ابن القيم "رحمه الله" عن اسباب هذه الغزوة : (لما قتل الله أشراف قريش ببدر ، وأصيبوا بمصيبة لم يصابوا بمثلها ، ورأس فيهم أبو سفيان بن حرب لذهاب أكابرهم ، وجاء كما ذكرنا إلى أطراف المدينة في غزوة السويق^(١) ، ولم ينل ما في نفسه ، أخذ يؤلب على رسول الله (ﷺ))

(١) غزوة السويق: كان أبو سفيان قد نذر بعد بدر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً، فخرج في مائتي راكب من قريش ليبر يمينه حتى جاء المدينة ليلاً، واجتمع بسلام بن مشكم سيد النضير، فعلم منه خبر الناس، ثم خرج في ليلته فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة، فأتوا العريض فحرقوا في نخلها، وقتلوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له وعادوا، ورأى أن قد بر في يمينه، وجاء الصريخ ، فركب رسول الله (ﷺ) وأصحابه فأعجزهم ، وكان أبو سفيان وأصحابه يلقون جرب السويق يتخففون منها للنجاة ، وكان ذلك عامة زادهم ، فلذلك سميت غزوة السويق ؛ ينظر: المغازي ، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء ، المدني ، أبو عبدالله الواقدي (ت: ٢٠٧هـ) ، تحقيق : مارسدن جونس ، دار =

وعلى المسلمين، ويجمع الجموع ، فجمع قريبا من ثلاثة آلاف من قريش،
والحلفاء، والأحابيش... (١).

وكما أنهم رأوا أن المسلمين أخذوا يسدون منافذ كل طرقهم إلى الشام،
المارة في الحجاز، أو في نجد ، وهذا بوار لهم ، ولتجارتهم التي هي أهم
أسباب حياتهم، وتصوروا أن استمرار هذا الحال يمثل موتًا بطيئًا لمكة
كلها (٢).

وبعثت رسول الله (ﷺ) لزيد بن حارثة (رضي الله عنه)، فلقبهم، فأصاب تلك
الغير وما فيها، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله (ﷺ) ، وبهذا
فقدت قريش طريق العراق كما فقدوا من قبله طريق الساحل (٣).

ومن هنا يتبين لنا أن غزوة أُحُد كانت لها أسباب متعددة ، فمنها:
الديني، والاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، وسوف أذكر كلاً من هذه
الاسباب وهي على النحو الآتي :

١- السبب الديني: فقد أخبر المولى (ﷺ) أن المشركين ينفقون أموالهم
في الصد عن سبيل الله، وإقامة العقبات أمام الدعوة الإسلامية،
ومنع الناس من الدخول في الإسلام، والسعي للقضاء على الإسلام

=الأعلمي، الطبعة الثالثة، (بيروت/١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ٦٧/١؛ والكامل في
التاريخ ، ٣٢/٢ .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٧٤/٣ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٥٣ ؛ والرحيق المختوم ، ٢٥٠ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٧٤/٣ ؛ والمغازي ، ١٩٧/١ .

والمسلمين ودولتهم الناشئة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ
 أَمْوَالَهُمْ لِیَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فسیُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَیْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ
 يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾^(١)، قال الطبري
 "رحمه الله": (يصرفون أموالهم وينفقونها، ليمنعوا الناس عن
 الدخول في الإسلام)^(٢)، وقال ابن كثير "رحمه الله": (أخبر الله
 تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليصدوا عن اتباع الحق)^(٣)، وقال
 الشوكاني "رحمه الله": (... والمعنى أن غرض هؤلاء الكفار في
 إنفاق أموالهم هو الصد عن سبيل الحق بمحاربة رسول الله ﷺ)
 وجمع الجيوش لذلك)^(٤).

من هذا يظهر أن أهم أسباب غزوة أحد هو السبب الديني الذي كان
 من أهداف قريش للصد عن سبيل الله ، واتباع طريق الحق، ومنع الناس

(١) سورة الانفال ، الآية (٣٦) .

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن ، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن
 غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ،
 مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، (بلا/١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) ، ٥٢٩/١٣ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ٣٤١/٢ .

(٤) فتح القدير ، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت:
 ١٢٥٠هـ) ، دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، الطبعة الأولى ، (دمشق-
 بيروت/١٤١٤هـ) ، ٣٠٩ .

من الدخول في الإسلام، ومحاربة الرسول (ﷺ) والقضاء على الدعوة الإسلامية^(١).

٢- السبب الاجتماعي: كان للهزيمة الكبيرة في بدر، وقتل السادة والأشراف من قريش وقع كبير من الخزي والعار الذي حلّ بهم ، وجعلهم يشعرون بالمدلة والهزيمة، ولذلك بذلوا قصارى جهدهم في غسل هذه الذلة والمهانة التي لصقت بهم، ولذلك شرعوا في جمع المال لحرب رسول الله (ﷺ) فور عودتهم من بدر، قال ابن هشام^(٢) "رحمه الله" : (لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحاب القليب، ورجع فلوهم إلى مكة، ورجع أبو سفيان بغيرهم فأوقفها بدار الندوة، وكذلك كانوا يصنعون، فلم يحركها ولا فرقها، فطابت أنفس أشرافهم أن يجهزوا منها جيشا لقتال رسول الله (ﷺ)، فمشى عبد الله بن ربيعة، وعكرمة بن أبي جهل، والحارث بن هشام، وحويطب بن عبد العزى، وصفوان بن أمية في رجال ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر، فكلّموا أبا سفيان ومن كانت له في تلك العير تجارة من قريش، فقالوا: إن محمداً قد

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٥٢ ؛ وغزوة أحد دراسة دعوية ، لمحمد

عبيدة بن سعيد بن مزحج ، دار إشبيلية ، الطبعة الأولى ، (بلا/٤٢٠هـ/

١٩٩٩م) ، ٧٠ .

(٢) ابن هشام : هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد،

جمال الدين ابن هشام ، من أئمة العربية ، مولده ووفاته بمصر، وقد توفي

سنة ٧٦١ هـ ؛ ينظر: الأعلام ، ١٦٦/٤ .

وتركم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، لعنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منها، فقال أبو سفيان : أنا أول من أجاب إلى ذلك ... (١).

٣- السبب الاقتصادي: كانت حركة السرايا التي تقوم بها الدولة الإسلامية قد أثرت على اقتصاد قريش وفرضت عليهم حصارا اقتصاديا قويا، وكان الاقتصاد المكي قائما على رحلتي الشتاء والصيف، رحلة الشتاء إلى اليمن وتحمل إليها بضائع الشام ومحاصيلها، ورحلة الصيف إلى الشام تحمل إليها محاصيل اليمن وبضائعها، وقطع أحد جناحي هاتين الرحلتين ضرب للجناح الآخر، لأن تجارتهم إلى الشام قائمة على سلع اليمن، وتجارتهن إلى اليمن قائمة على سلع الشام^(٢)، قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيَنَّكُمْ قُرَيْشٌ

﴿١﴾ إِيَّاهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾

الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(٣)، ويشير إلى هذا قول صفوان بن أمية: (إن محمداً وأصحابه قد غوروا علينا متجرنا فما ندري كيف نصنع بأصحابه ، وهم لا يبرحون الساحل، وأهل الساحل قد وادعهم -أي صالحهم وسالمهم- ، ودخل عامتهم معه

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٧٣/٣ ؛ والروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، ٢٩٧/٥ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٧٣/٣؛ وغزوة أحد دراسة دعوية، ٧٤.

(٣) سورة قريش ، الآيات (١-٤) .

، فما ندري أين نسكن؟ وإن أقمنا في دارنا هذه أكلنا رؤوس أموالنا ، فلم يكن لها من بقاء وإنما حياتنا بمكة على التجارة إلى الشام في الصيف وإلى الحبشة في الشتاء^(١).

٤- السبب السياسي : فقد أخذت سيادة قريش في الانهيار بعد غزوة بدر، وتزعزع مركزها بين القبائل بوصفها زعيمة لها، فلا بد من رد الاعتبار والحفاظ على زعامتها مهما كلفها الأمر من جهود ومال وتضحيات ، وهذه أهم الأسباب التي جعلت قريش تبادر إلى المواجهة العسكرية ضد الدولة الإسلامية بالمدينة^(٢).

وقد رأى المكيون كذلك أن الوثنيين، وأعراب البوادي ، واليهود يشاركونهم في كراهية الإسلام، والعداوة لرسول الله (ﷺ) فاتصلوا بهم ، وتصوروا أن اتحادهم في الهدف سبب رئيسي لتوحيد صفوفهم أمام المسلمين ، الأمر الذي يؤدي إلى قهر المسلمين، والقضاء عليهم وعلى دعوتهم ، ولذلك نشطوا في الإعداد للحرب ، وأسرعوا في مهاجمة المسلمين، وجمعوا ما أمكنهم من العتاد والعدة وتحركوا لحرب المسلمين فكانت وقعة أحد^(٣).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٧٣/٣ ؛ والمغازي ، ١٩٦/١ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٥٢ ؛ والسيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ، ٣٥٨/٢ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٧٤/٣؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، ٣٢٢.

ثانياً: لمحات من غزوة أُحُد

قال ابن القيم "رحمه الله" : (... ولما خرج النبي ﷺ) الى أُحُد، وقد أشار عبد الله بن أبي بالمقام في المدينة ، وتابعه على ذلك بعض الصحابة ، فألح أولئك على رسول الله ﷺ) ، فنهض ودخل بيته ولبس لأمته ، وخرج عليهم ، وقد انتشى عزم أولئك ، وقالوا: أكرهنا رسول الله ﷺ) على الخروج ، فقالوا: يا رسول الله إن أحببت أن تمكث في المدينة فافعل ، فقال رسول الله ﷺ): (ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه) ^(١)، فخرج رسول الله ﷺ) في ألف من الصحابة ، واستعمل ابن أم مكتوم (رضي الله عنه) على الصلاة بمن بقي في المدينة ، وكان رسول الله ﷺ) رأى رؤيا وهو بالمدينة ، رأى أن في سيفه ثلثة ، ورأى أن بقرأً تذبح، وأنه أدخل يده في درع حصينة ، فتأول الثلثة في سيفه برجل يصاب من أهل بيته ، وتأول البقر بنفر من أصحابه يقتلون وتأول الدرع بالمدينة) ^(٢).

خرج ﷺ) يوم الجمعة، فلما صار بالشوط بين المدينة وأُحُد، انخزل

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٧٤/٣ ؛ أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ ، سورة الشورى ، الآية (٣٨) ، ١١٢/٩ ، رقم الحديث (٧٣٦٩) .

(٢) المصدر نفسه ، ١٧٣/٣ ؛ والدعوة الإسلامية في عهدنا المكي (مناهجها وغاياتها) ، ٥٦٨ .

عبد الله ابن أبي بنحو ثلث العسكر، وقال: تخالفني وتسمع من غيري، فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام^(١)، والد جابر بن عبد الله يوبخهم ويحضهم على الرجوع، ويقول: تعالوا قاتلوا في سبيل الله، أو ادفعوا، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون، لم نرجع، فرجع عنهم، وسبهم، وسأله قوم من الأنصار أن يستعينوا بحلفائهم من اليهود، فأبى، ونفذ رسول الله (ﷺ) حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي، وجعل ظهره إلى أحد، ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم، فلما أصبح يوم السبت، استعد للقتال، وهو في سبعمائة، فيهم خمسون فارساً، واستعمل على الرماة - وكانوا خمسين - عبد الله بن جبير^(٢)، وأمره وأصحابه أن يلزموا مركزهم، وألا يفارقوه، ولو رأى الطير تتخطف العسكر، وكانوا خلف الجيش، وأمرهم أن ينضحوا المشركين بالنبل، لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم، وأعطى اللواء مصعب ابن عمير، وجعل على إحدى المجنبتين الزبير بن العوام، وعلى الأخرى

(١) عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة بن سعد ابن علي بن أسد بن ساردة ابن تزويد بن جشم بن الخزرج الأنصاري الخزرجي السلمي، يكنى أبا جابر، بابنه جابر بن عبد الله، شهد بدرًا وأحداً، وقتل يوم أحد، ودفن مع عمرو بن الجموح؛ ينظر: معرفة الصحابة لابن منده، ١٧١٧/٣.

(٢) عبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس، وهو البرك بن ثعلبة بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، ثم من بني ثعلبة بن عمرو، شهد العقبة، وبدرًا، وقتل يوم أحد؛ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ١٩٤/٣.

المنذر بن عمرو^(١)، واستعرض الشباب يومئذ فرد من استصغره عن القتال^(٢).

واستعدت قريش للقتال، وهم في ثلاثة آلاف^(٣)، وفيهم مائتاً فارس، فجعلوا على ميمنتهم خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل^(٤)، ودفع رسول الله (ﷺ) سيفه إلى أبي دجانة سماك بن خرشة^(٥)، وكان شجاعاً بطلاً يختال عند الحرب، وكان أول من بدر من المشركين

(١) المنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب ابن الخزرج الأنصاري الخزرجي السّاعدي، استشهد يوم بدر معونة، وسمي المنذر بن الزبير بن العوام على اسمه، وكان يلقب المعنق ليموت؛ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ١٧١/٦.

(٢) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١٥٢؛ والمغازي، ٢٠١/١.

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٧٥/٣؛ وغزوات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ٤٩.

(٤) عكرمة بن أبي جهل واسم أبي جهل: هو عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم، أسلم يوم فتح مكة، خرج عكرمة إلى الشام مجاهداً في خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، فقتل يوم أجنادين شهيداً؛ ينظر: الطبقات الكبرى، ٤٠٤/٧.

(٥) أبو دجانة سماك بن خرشة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الانصاري، شهد مع رسول الله (ﷺ) بدرًا، ودفع له رسول الله (ﷺ) يوم أحد سيفه وإبلى بلاء حسناً، وقتل شهيداً يوم اليمامة؛ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ١٠٠/٧.

أبو عامر الفاسق^(١)، وكان يسمى: الراهب، فسماه رسول الله (ﷺ) الفاسق، وكان رأس الأوس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام شرق به، وجاهر رسول الله (ﷺ) بالعداوة، فخرج من المدينة، وذهب إلى قريش يؤلبهم على رسول الله (ﷺ) ويحضهم على قتاله، ووعدهم بأن قومه إذا رأوه أطاعوه ومالوا معه، فكان أول من لقي المسلمين، وأبلى يومئذ أبو دجاجة الأنصاري، وطلحة ابن عبيد الله، وأسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبدالمطلب، وعلي بن أبي طالب، وأنس بن النضر^(٢)، وسعد بن الربيع^(٣)

(١) أبو عامر الفاسق: هو عبد عمرو بن صيفى بن مالك بن النعمان أحد بنى ضبيعة، وهو والد حنظلة غسيل الملائكة، ويسمى: الراهب، وكان أبوه فى الجاهلية قد ترهب وتتنسك، فلما جاء الإسلام غلب عليه الشقاء، وفر ولحق بمكة، وشهد يوم أحد مع المشركين؛ ينظر: تهذيب الكمال فى أسماء الرجال، ليوست ابن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد انشالقصاعى الكلبى المزى (ت: ٧٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (بيروت/١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ٤٣٦/١٤.

(٢) أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار الأنصاري، عم أنس بن مالك الأنصاري قتل يوم أحد شهيداً، فأصيب يومئذ فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة من بين ضربة بسيف وطعنة مح ورمية بسهم، ومثل به المشركون فما عرفته أخته إلا بثيابه؛ ينظر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب، ١٠٩/١.

(٣) سعد بن ربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك الأغر ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج، وشهد سعد بن الربيع بداراً وأحدًا، وقتل يوم أحد شهيداً؛ ينظر: الطبقات الكبرى، ٣٩٦/٣.

(ﷺ)، وكانت الدولة أول النهار للمسلمين على الكفار، فانهزم عدو الله، وولوا مدبرين، حتى انتهوا إلى نساءهم، فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله (ﷺ) بحفظه، وقالوا: يا قوم الغنيمة؛ فذكرهم أميرهم عهد رسول الله (ﷺ)، فلم يسمعوا، وظنوا أن ليس للمشركين رجعة، فذهبوا في طلب الغنيمة، وأخلو الثغر، وكر فرسان المشركين، فوجدوا الثغر خالياً، قد خلا من الرماة، فجازوا منه، وتمكنوا حتى أقبل آخرهم، فأحاطوا بالمسلمين، فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة، وهم سبعون^(١).

وقد تولى بعض من الصحابة آنذاك، وخلص المشركون إلى رسول الله (ﷺ) فجرحوا وجهه، وكسروا ربايته اليمنى، وكادت السفلى، وهشموا البيضة على رأسه ورموه بالحجارة حتى وقع لشقه، وسقط في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكد بها المسلمين، فأخذ علي (ﷺ) بيده، واحتضنه طلحة بن عبيد الله، وكان الذي تولى أذاه عمرو بن قمئة^(٢)، وعتبة بن أبي وقاص^(٣)، وقتل مصعب ابن عمير (ﷺ) بين يديه،

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٧٦/٣ ؛ وفقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٥٤ ؛ وغزوات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ٤٩ .

(٢) عمرو بن قمئة بن عامر بن عوف بن حارثة بن عمرو بن الخزرج الخزرجي الساعدي، وكان عمرو بن قمئة معلم امرئ القيس، وقيل هو الذي شج وجه رسول الله (ﷺ) وكسر ربايته يوم أحد، قال وما علمت له إسلامه؛ ينظر: تهذيب الأسماء واللغات، ١٢٦/١ .

(٣) عتبة بن أبي وقاص واسم أبي وقاص: مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب بن مرة بن كعب القرشي ، اخو الصحابي سعد بن أبي وقاص، وقيل =

فدفع اللواء إلى علي بن أبي طالب، ونشبت حلقتان من حلق المغفر في وجهه، فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح وعض عليهما حتى سقطت ثناياه من شدة غوصهما في وجهه، وامتنص مالك بن سنان^(١) والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته ، وأدركه المشركون يريدون ما الله حائل بينهم وبينه، فحال دونه نفر من المسلمين نحو عشرة حتى قتلوا، ثم جالدهم طلحة حتى أجهضهم عنه، وترس أبو دجانة عليه بظهره، والنبل يقع فيه، وهو لا يتحرك، (وأصيبت يومئذ عين قتادة ابن النعمان، فأتى بها رسول الله ﷺ)، فردها عليه بيده، وكانت أصح عينيه وأحسنهما^(٢)، وصرخ

=أنه عتبة كسر رباية رسول الله ﷺ فدعا عليه ، فقال: (اللهم لا يحول عليه الحول حتى يموت كافراً) ، فما حال عليه الحول حتى مات كافراً ؛ ينظر: الطبقات الكبرى ، لابن سعد ، ١٠٧/٦ .

(١) مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأجر: بالجم ، والأبجر هو خذرة ابن عوف ابن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخدري الصحابي، وهو والد أبو سعيد الخدري سعد بن مالك ابن سنان ، وقُتل مالك يوم أُحد شهيداً ؛ ينظر: معرفة الصحابة ، للأصبهاني ، ٣٢٨/١ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٧٧/٣؛ وقد ذكر ابن حجر هذا الخبر في ترجمة قتادة بن النعمان في (الإصابة)، ٢١٧/٣، وقال إن الواقعة حدثت في غزوة بدر، ثم قال: (وجاء من أوجه أخر أنها أصيبت يوم أحد، وعن محمود ابن لبيد عن قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم أحد فوقع على وجنته، فردها النبي ﷺ) فكانت أصح عينيه؛ ينظر: منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لتقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني=

الشیطان بأعلى صوته : إن محمداً قد قتل ، ووقع ذلك في قلوب كثير من المسلمين، وفر أكثرهم وكان أمر الله قدراً مقدوراً^(١).

(ومرو أنس بن النضر بقوم من المسلمين قد ألقوا بأيديهم ، فقال ما تنتظرون؟ فقالوا: قتل رسول الله (ﷺ) ، فقال: ما تصنعون في الحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه ، ثم استقبل الناس ، ولقي سعد بن معاذ فقال: يا سعد إني لأجد ريح الجنة من دون أحد، فقاتل حتى قتل، ووجد به سبعون ضربة)^(٢) .

وأقبل رسول الله (ﷺ) نحو المسلمين وكان أول من عرفه تحت المغفر^(٣) كعب ابن مالك^(٤)، فصاح بأعلى صوته يا معشر المسلمين،

=الحنبلي دمشقي (ت: ٧٢٨هـ) تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ١٠٠/٨ .

(١) المصدر نفسه ، ١٧٧/٣ ؛ والمغازي ، ٢٠٤/١ ؛ وجوامع السيرة النبوية ، لعلي ابن أحمد بن سعيد بن حزم أبو محمد الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ)، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، (بيروت/ بلا سنة نشر) ، ١٢٦ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب: غزوة احد ، ٩٥/٥ ، رقم الحديث (٤٠٤٨) .

(٣) المِعْفَرُ: زرد ينسج على قدر الرأس، يلبس تحت القلنسوة ؛ ينظر : القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، لسعدي أبو جيب ، دار الفكر، الطبعة الثانية، (دمشق/ ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ٢٧١ .

(٤) كعب بن مالك بن عمرو بن القين، الأنصاري، الخزرجي، العقبى الأحمدي، شاعر رسول الله (ﷺ)، وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خلفوا فتاب الله عليهم،=

أبشروا هذا رسول الله (ﷺ) ، فأشار إليه أن اسكت ، واجتمع إليه المسلمون ونهضوا معه إلى الشعب الذي نزل فيه، وفيهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والحارث بن الصمة الأنصاري^(١)، وغيرهم، فلما استندوا إلى الجبل، أدرك رسول الله (ﷺ) أبي بن خلف^(٢) على جواد له يقال له: العوذ، زعم عدو الله أنه يقتل عليه رسول الله (ﷺ) ، فلما اقترب منه، تناول رسول الله (ﷺ) الحربة من الحارث بن الصمة، فطعنه بها، فجاءت في ترقوته، فكرّ عدو الله منهزماً ، فقال له المشركون: والله ما بك من بأس، فقال: والله لو كان ما بي بأهل ذي المجاز، لماتوا أجمعون، وكان يعلف فرسه بمكة ويقول: أقتل عليه محمداً، فبلغ ذلك رسول الله (ﷺ)

=شهد العقبة، وأحد، وسائر المشاهد إلا بدرا وتبوك، وتوفي بالمدينة في سنة ثلاث وخمسين هجرية؛ ينظر: معرفة الصحابة لابن منده، ٢٨٨؛ وسير أعلام النبلاء، ٥٢٣٠/٢ .

(١) الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك أبو سعد النجاري ، وكان رسول الله (ﷺ) قد آخى بينه وبين صهيب ابن سنان ، وكان فيمن خرج مع النبي (ﷺ) إلى بدر فكسر بالروحاء ، فرده رسول الله (ﷺ) وضرب له بسهمه ، وشهد معه في أحد ، فثبت معه يومئذ، وشهد بئر معونة وقتل يومئذ شهيداً ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ٢٩٢/١ .

(٢) أبي بن خلف القرشي الجمحي وأخبر أنه يقتل ، وقال سعد بن معاذ لآخيه أمية ابن خلف : سمعت محمداً يزعم أنه قاتلك فقتل يوم بدر كافراً أبي بن خلف الجمحي، فخدشه يوم بدر أو أحد خدشا يسيرا فمات منه ، وهو المشرك الوحيد الذي قتله (ﷺ) بيده ؛ ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ٢٣٩/١ .

فقال: (بل أنا أقتله إن شاء الله تعالى)^(١)، فلما طعنه تذكر عدو الله قوله: أنا قاتله ، فأيقن بأنه مقتول من ذلك الجرح ، فمات منه في طريقه بسرف مرجعه إلى مكة^(٢) .

وجاء علي (عليه السلام) إلى رسول الله (ﷺ) بماء ليشرّب منه ، فوجده آجناً ، فزده وغسل عن وجهه الدم ، وصب على رأسه ، فأراد رسول الله (ﷺ) أن يعلو صخرة هنالك ، فلم يستطع لما به ، فجلس طلحة تحته حتى صعدها، وحانت الصلاة ، فصلى بهم جالسا ، وصار رسول الله (ﷺ) في ذلك اليوم تحت لواء الأنصار^(٣) .

وقد شدّ حنظلة الأنصاري^(٤) على أبي سفيان ، فلما تمكن منه حمل على حنظلة (عليه السلام) شداد بن الأسود فقتله ، وكان حنظلة جنياً ، فإنه سمع

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٧٨/٣ ؛ وغزوات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ٥١ ؛ وشهداء أحد الذين ذكرهم ابن إسحاق في مغازيه ، ٤٧٦ ؛ والسيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها ؛ ١٤٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ١٧٨/٣ ؛ والمغازي ، ١٩٨/١ .

(٣) ينظر: جوامع السيرة النبوية ، ٢١٦ ؛ وفتح السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٥٥ .

(٤) حَنْظَلَةُ بن أَبِي عامر الأَنْصَارِيِّ ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِغَسِيلِ الْمَلَائِكَةِ ، اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَكَانَ أَبُوهُ عامر يسأل عن ظهور رسول الله (ﷺ) ويستوصف صفته ، الاحبار ويلبس المُسَوِّحَ ويترهب ، فلما بُعث رسول الله (ﷺ) حسده فلم يؤمن به ، وكان ابنه حنظلة من خيار المسلمين وقد استاذن رسول الله (ﷺ) أن يقتل أباه فنهاه عن قتله ، وتزوج حنظلةً جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول ، فأدخلت في الليلة التي في صبيحتها كان قتال أحد وكان قد استاذن رسول الله (ﷺ) أن =

الصيحة وهو على امرأته ، فقام من فوره إلى الجهاد ، فأخبر رسول الله (ﷺ) أصحابه : أن الملائكة تغسله ، ثم قال : سلوا أهله ؟ ما شأنه ؟ فسألوا امرأته ، فأخبرتهم الخبر ، وجعل الفقهاء هذا حجة ، أن الشهيد إذا قتل جنباً ، يغسل اقتداءً بالملائكة^(١) .

وقاتلت أم عمارة (رضي الله عنها)^(٢) قتالاً شديداً ، وضربت عمرو بن قمئة بالسيف ضربات فوقته درعان كانتا عليه ، وضربها عمرو بالسيف فجرحها جرحاً شديداً على عاتقها^(٣) .

(وكان عمرو بن ثابت المعروف بالأصيرم^(٤) من بني عبد الأشهل

=يبيت عندها فاذن له ، فلما أسفر الصبح غدا يريد رسول الله (ﷺ) بأخذ ؛ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ، ١٩٩/٢ .

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٥٥ ؛ ومختصر سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ١٦٦ .

(٢) أم عمارة : هي بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مذبول بن عمرو بن غنم بن مازن ابن النجار ، وهي أنصارية من بني مازن ، واسمها نسيبة ؛ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٣٩٧/٦ .

(٣) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٥٦ ؛ وغزوات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ٥٣ .

(٤) أصرم : ويقال: أصيرم ، واسمه عمرو بن ثابت بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل الأنصاري الأوسي الأشهلي ، وهو أخو سلمة بن ثابت ، وابن عم عباد ابن بشر ، ويعرف عمرو بأصيرم بني عبد الأشهل ، وهو ابن أخت حذيفة بن =

يأبى الإسلام، فلما كان يوم أحد، قذف الله الإسلام في قلبه للحسنى التي سبقت له منه، فأسلم وأخذ سيفه ، ولحق بالنبى (ﷺ)، فقاتل فأثبت بالجراح ، ولم يعلم أحد بأمره، فلما انجلت الحرب ، طاف بنو عبد الأشهل في القتلى، يلتمسون قتلاهم، فوجدوا الأصيرم وبه رمق يسير، فقالوا: والله إن هذا الأصيرم ، ما جاء به، لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأمر، ثم سألوه ما الذي جاء بك ؟ أحذب على قومك، أم رغبة في الإسلام؟ فقال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله ورسوله، ثم قاتلت مع رسول الله (ﷺ) حتى أصابني ما ترون، ومات من وقته، فذكروه لرسول الله (ﷺ)، فقال: هو من أهل الجنة ، وقال أبو هريرة (رضي الله عنه) : ولم يصل لله صلاة قط (١) .

وقد قاتلت الملائكة يوم أحد عن رسول الله (ﷺ) ، ففي الصحيح : عن سعد بن أبي وقاص، قال: (رأيت رسول الله (ﷺ) يوم أحد ومعه رجلان يقاتلان عنه، عليهما ثياب بيض كأشد القتال، ما رأيتهما قبل ولا بعد) (٢). قال ابن القيم "رحمه الله" : (في الصحيح :) أنه كسرت رباعيته، وشج في رأسه، فجعل يسלט الدم عنه، ويقول: كيف يفلح قوم شجوا وجه

=اليمان ، استشهد يوم أحد ، وهو الذي قيل: إنه دخل الجنة ولم يصل صلاة ؛ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٧٠٠/٣ .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٨٠/٣ ؛ وجوامع السيرة النبوية ، ٢٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ١٨١/٣ ؛ ورواه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب:

غزوة احد ، ٩٥/٥ ، رقم الحديث (٤٠٥٤) .

نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم) (١)، فأنزل الله (ﷻ) ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (٢) (... (٣)

ولما انقضت الحرب : (أشرف أبو سفيان على الجبل فنادى: أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه، فقال: أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلم يجيبوه. فقال: أفيكم عمر بن الخطاب؟ فلم يجيبوه، ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه أن قوام الإسلام بهم، فقال: أما هؤلاء، فقد كفيتموهم، فلم يملك عمر (ﷺ) نفسه أن قال: يا عدو الله إن الذين ذكرتهم أحياء، وقد أبقى الله لك ما يسوءك، فقال: قد كان في القوم مثلة لم أمر بها، ولم تسؤني، ثم قال: اعلِ هبل ، فقال النبي (ﷺ) : (ألا تجيبونه؟ فقالوا: ما نقول؟ قال : قولوا: الله أعلى وأجل ، ثم قال: لنا العزى ولا عزى لكم، قال: ألا تجيبونه؟ قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا : الله مولانا ولا مولى لكم) (٤) .

فأمرهم بجوابه عند افتخاره بآلهته ، وبشركه تعظيما للتوحيد، وإعلاما بعزة من عبده المسلمون، وقوة جانبه، وأنه لا يغلب، ونحن حزبه وجنده،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي، باب: ما اصاب النبي (ﷺ) من الجراح في يوم احد ، ١٠١/٥ ، رقم الحديث (٤٠٧٣) .

(٢) سورة ال عمران ، الآية (١٢٨) .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٨١/٣ ؛ وتاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ٤٤٠/١ ؛ والرحيق المختوم ، ٢٥٤ .

(٤) المصدر نفسه ، ١٨٢/٣ ؛ وأخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب: غزوة احد، ٩٤ /٥ ، رقم الحديث (٤٠٤٣) ، من حديث البراء بن عازب .

ولم يأمرهم بإجابته حين قال: أفيكم محمد؟ أفيكم ابن أبي قحافة؟ أفيكم عمر؟^(١)، بل قد روي أنه نهاهم عن إجابته، وقال: لا تجيبوه، لأن كلمهم لم يكن برد بعد في طلب القوم، وثار غيظهم بعد متوقدة، فلما قال لأصحابه: أما هؤلاء فقد كفيتموهم، حمي عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، واشتد غضبه، وقال: كذبت يا عدو الله، فكان في هذا الإعلام من الإذلال، والشجاعة، وعدم الجبن والتعرف إلى العدو في تلك الحال ما يؤذنها بقوة القوم وبسالتهن، وأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا، وأنه وقومه جديرون بعدم الخوف منهم، وقد أبقى الله لهم ما يسوءهم منهم^(٢)، وكان في الإعلام ببقاء هؤلاء الثلاثة وهلة بعد ظنه وظن قومه أنهم قد أصيبوا، من المصلحة، وغيظ العدو وحزبه، والفت في عضده ما ليس في جوابه حين سأل عنهم واحداً واحداً، فكان سؤاله عنهم، ونعيمهم لقومه آخر سهام العدو وكيده، فصبر له النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى استوفى كيده، ثم انتدب له عمر (رضي الله عنه)، فرد سهام كيده عليه، وكان ترك الجواب أولاً عليه أحسن، وذكره ثانياً أحسن، وأيضا فإن في ترك إجابته حين سأل عنهم إهانة له، وتصغيرا لشأنه، فلما منته نفسه موتهم، وظن أنهم قد قتلوا، وحصل له بذلك من الكبر والأشر ما حصل، كان في جوابه إهانة له، وتحقير، وإذلال، ولم

(١) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١٥٦؛ والروض الأنف في شرح السيرة

النبوية لابن هشام، ١٧/٦.

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٨٢/٣؛ وإمتاع الأسماع بما للنبي من

الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، ١٧١/١.

يكن هذا مخالفاً، لقول النبي (ﷺ) : لا تجيبوه ، فإنه إنما نهى عن إجابته حين سأل: أفيكم محمد؟ أفيكم فلان؟ أفيكم فلان؟ ولم ينه عن إجابته حين قال: أما هؤلاء، فقد قتلوا ، وبكل حال، فلا أحسن من ترك إجابته أولاً، ولا أحسن من إجابته ثانياً^(١).

ثم قال أبو سفيان : يوم بيوم بدر، والحرب سجال، فأجابه عمر (رضي الله عنه)، فقال: (لا سواء ، قتلنا في الجنة ، وقتلناكم في النار)^(٢) .

المطلب الثاني

الجانب الدعوي المفاد من غزوة أحد

قال ابن القيم "رحمه الله" : (كان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص ، اختبر الله (ﷺ) به المؤمنين ، وأظهر به المنافقين ممن كان يظهر الإسلام بلسانه، وهو مستخف بالكفر، فأكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته ، فكان مما نزل من القرآن في يوم أحد ستون آية من آل

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٥٨ ؛ وسبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد، ٣٦/٤ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٨٩/٣ ؛ ورواه ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ٣٥٠/٣ ، رقم الحديث (٤٠٤٣) .

عمران ، أولها : قوله تعالى ﴿ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) ، إلى آخر القصة (٢) .

ومن هذا استطيع ان أقف على جوانب دعوية قيمة ، قد اشار اليها ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لغزوة أُحُد ، والتي اوجزها على النحو الاتي :

١- إنّ الجهاد يلزم بالشروع فيه ، حتى إن من لبس لأمته وشرع في أسبابه ، وتأهب للخروج ، ليس له أن يرجع عن الخروج حتى يقاتل عدوه (٣) .

٢- ولا يجب على المسلمين إذا طرقتهم عدوهم في ديارهم الخروج إليه ، بل يجوز لهم أن يلزموا ديارهم ، ويقاتلوهم فيها إذا كان ذلك أكثر نصراً لهم على عدوهم ، كما أشار به رسول الله (ﷺ) عليهم يوم أُحُد (٤) .

٣- خطورة ايثار الدنيا على الآخرة :

إنّ مما يفقد الأمة عون الله ونصره وتأييده هو خطورة ايثار الدنيا على الآخرة ، وقد قال ابن مسعود (رضي الله عنه) : (ما كنت أرى أحداً من أصحاب رسول الله (ﷺ) يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أُحُد ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٢١) .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/١٨٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ٣/٢١٤ .

(٤) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٥٩ .

الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا
عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾، فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)
عن النبي (ﷺ) انه قال: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها
فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل
كانت في النساء) (٢).

وفي ذلك درس عظيم يبين أن حب الدنيا والتعلق بها قد يتسلل إلى
قلوب أهل الإيمان والصلاح، وربما خفي عليهم ذلك، فأثروها على ما
عند الله، مما يوجب على المرء أن يتفقد نفسه وأن يفتش في خباياها،
وأن يزيل كل ما من شأنه أن يحول بينها وبين الاستجابة لأوامر الله
ونواهيته، وقد وردت نصوص عديدة من آيات وأحاديث تبين منزلة الدنيا
عند الله تعالى وتصف زخارفها وأثرها على فتنة الإنسان، وتحذر من
الحرص عليها (٣)، قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ
وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ
ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ (٤).

(١) سورة ال عمران، الآية (١٥٢).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/ ٢١٥؛ واخرجه مسلم في صحيحه، كتاب
الرقاق، باب: اكثر اهل الجنة من الفقراء واكثر اهل النار من النساء،
٢٠٩٨/٤، رقم الحديث (٢٧٤٢).

(٣) ينظر: غزوات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ٥٣.

(٤) سورة ال عمران، الآية (١٤).

- ٤- جواز دعاء الرجل أن يقتل في سبيل الله ، وتمنيه ذلك، وليس هذا من تمني الموت المنهي عنه، كما قال عبد الله بن جحش^(١) (ﷺ): (اللهم لقني من المشركين رجلاً عظيماً كفره ، شديداً حرده ، فأقاتله، فيقتلني فيك، ويسلبني، ثم يجدع أنفي، وأذني، فإذا لقيتك، فقلت: يا عبد الله بن جحش، فيم جدعت؟ قلت: فيك يا رب)^(٢).
- ٥- إنَّ المسلم إذا قتل نفسه فهو من أهل النار لقوله (ﷺ) في قرمان^(٣) الذي أبلى يوم أحد بلاء شديداً ، فلما اشتدت به الجراح نحر نفسه ، فقال (ﷺ): (هو من أهل النار)^(٤).

- (١) عبد الله بن جحش بن رباب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان ابن أسد ابن خزيمة ، أبو محمد الأسدي ، أسلم قبل دخول رسول الله (ﷺ) دار الأرقم، وهاجر الهجرتين إلى أرض الحبشة ، أخته زينب بنت جحش، زوج النبي (ﷺ) فكان أول خمس في الإسلام ، ثم شهد بدرًا، وقتل يوم أحد ؛ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٩١/٣ .
- (٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٩٠/٣؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١٥٦ .
- (٣) قرمان بن الحارث، حليف بني ظفر صاحب القصة يوم أحد، فعن عاصم بن عمر بن قتادة، قال: كان فينا رجل أتى لا يدري ممن هو، يقال له قرمان، وكان رسول الله (ﷺ) يقول إذا ذكر له: (إنه لمن أهل النار)، فلما كان يوم أحد أثبتته الجراحة، فاحتمل إلى دار بني ظفر، فجعلوا يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قرمان، فأبشر، قال: بماذا أبشر؟ والله إن قاتلت إلا عن أحساب قومي ، ولولا ذلك لما قاتلت، فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهمًا فقتل به نفسه ؛ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ، ٣٣٥/٥ .
- (٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٩٠/٣ ؛ وجوامع السيرة النبوية ، ١٣٣ .

٦- إن السنة في الشهيد أنه لا يغسل، ولا يصلى عليه ولا يكفن في غير ثيابه بل يدفن فيها بدمه وكلومه ، إلا أن يسلبها، فيكفن في غيرها^(١)، وأنه إذا كان جنباً غسل كما غسلت الملائكة حنظلة بن أبي عامر (رضي الله عنه)، وأن السنة في الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم، ولا ينقلوا إلى مكان آخر، فإن قوما من الصحابة نقلوا قتلاهم إلى المدينة، فنادى منادياً رسول الله (ﷺ) بالأمر برد القتلى إلى مصارعهم، فقال جابر (رضي الله عنه): (بينما أنا في النظارة إذ جاءت عمتي بأبي وخالي عادلتهما على ناضح، فدخلت بهما المدينة لندفنهما في مقابرنا، وجاء رجل ينادي: ألا إن رسول الله (ﷺ) يأمركم أن ترجعوا بالقتلى، فتدفنوها في مصارعها حيث قتلت ، قال: فرجعنا بهما، فدفناهما في القتلى حيث قتلا ، فبينما أنا في خلافة معاوية بن أبي سفيان إذ جاءني رجل، فقال: يا جابر، والله لقد أثار أباك عمال معاوية ، فبدا ، فخرج طائفة منه، قال: فأتيته، فوجدته على النحو الذي تركته لم يتغير منه شيء. قال: فواريته، فصارت سنة في الشهداء أن يدفنوا في مصارعهم)^(٢) .

٧- إن من عذره الله في التخلف عن الجهاد لمرض أو عرج يجوز له الخروج إليه، وإن لم يجب عليه ، كما خرج عمرو بن الجموح

(١) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١٦٢؛ ودروس وعبر من غزوة أحد، ١٢ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٩٢/٣ ؛ وخاتم النبيين (صلى الله عليه وآله

وسلم) ، ٦٤٥/٢ .

(ﷺ) وهو أعرج ، وكان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج ، وكان له أربعة بنين شباب ، يغزون مع رسول الله (ﷺ) إذا غزا ، فلما توجه إلى أحد، أراد أن يتوجه معه ، فقال له بنوه : إن الله قد جعل لك رخصة، فلو قعدت ونحن نكفيك، وقد وضع الله عنك الجهاد، فأتى عمرو بن الجموح (ﷺ) رسول الله (ﷺ)، فقال يا رسول الله : إن بني هؤلاء يمنعونني أن أخرج معك، ووالله إنني لأرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له رسول الله (ﷺ) : (أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد وقال لبنيه : وما عليكم أن تدعوه، لعل الله (ﷻ) أن يرزقه الشهادة)^(١)، فخرج مع رسول الله (ﷺ)، فقتل يوم أحد شهيداً^(٢).

٨- إنَّ المسلمين إذا قتلوا واحداً منهم في الجهاد يظنونه كافراً ، فعلى الإمام ديتة من بيت المال ؛ لأن رسول الله (ﷺ) أراد أن يدي

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج٣/ ص١٨٧؛ رواه البيهقي في السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي ابن موسى الخُسْرُوْجْردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة، (بيروت- لبنان/ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ، ٤٢/٩ ، رقم الحديث (١٧٨٢١) ، وقال المحقق : حديث حسن .

(٢) فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ص١٦٢؛ وشهداء أحد الذين ذكرهم ابن إسحاق في مغازيه، ص ٣٨٥ .

اليمان أبا حذيفة ، فامتتع حذيفة اليمان (ﷺ) من أخذ الدية ،
وتصدق بها على المسلمين^(١).

٩- تعريفهم سوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع، وأن الذي أصابهم

إنما هو بشؤم ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ

اللَّهُ وَعَدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَعْتُمْ فِي

الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَّانَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۗ مِنكُمْ مَّن يُرِيدُ

الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۗ

وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾^(٢)، فلما ذاقوا

عاقبة معصيتهم للرسول ، وتنازعهم ، وفشلهم ، كانوا بعد ذلك أشد

حذرا ويقظة ، وتحرزوا من أسباب الخذلان^(٣).

١٠- إنَّ حكمة الله تعالى وسنته في رسله وأتباعهم جرت بأن يدالوا

مرة ويدال عليهم أخرى ، لكي تكون لهم العاقبة ، فإنهم لو

انتصروا دائما دخل معهم المؤمنون وغيرهم، ولم يتميز الصادق

من غيره ، ولو انتصر عليهم دائماً لم يحصل المقصود من

البعثة والرسالة، فاقتضت حكمة الله أن جمع لهم بين الأمرين

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج٣/ ص ١٩٤؛ والسيرة النبوية منهجية
دراستها واستعراض أحداثها ، ص ١٥٣.

(٢) سورة ال عمران ، الآية (١٥٢) .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/١٩٤؛ وتفسير القرآن العظيم، ٢/١٤٨.

ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق، وما جاءوا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة ، وأن هذا من أعلام الرسل كما قال هرقل لأبي سفيان: (هل قاتلتموه؟ قال: نعم، قال: كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: سجال يدال علينا المرة ، وندال عليه الأخرى، قال: كذلك الرسل تبلى، ثم تكون لهم العاقبة)^(١).

١١- تمييز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب ، فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر، وطار لهم الصيت دخل معهم في الإسلام ظاهراً من ليس معهم فيه باطناً، فاقتضت حكمة الله (ﷻ) أن سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق ، فأطلع المنافقون رؤوسهم في هذه الغزوة ، وتكلموا بما كانوا يكتُمونه، وظهرت مخبآتهم ، وعاد تلويحهم تصريحاً، وانقسم الناس إلى كافر ومؤمن ومنافق انقساما ظاهرا، وعرف المؤمنون أن لهم عدوا في نفس دورهم، وهم معهم لا يفارقونهم، فاستعدوا لهم، وتحرزوا منهم^(٢)، فقال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ

(١) اخرج البخاري في صحيحه ، كتاب تفسير القرآن ، باب: قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ ، آل عمران، جزء من الآية (٦٤) ، ٣٥/٦ ، رقم الحديث (٤٥٥٣) .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٦٣ ؛ وشهداء أحد الذين ذكرهم ابن إسحاق في مغازيه ، ٣٨٩ .

لِيُطَلِّعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَأِنْ تَوَمَّنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾، أي ما كان الله ليذركم
على ما أنتم عليه من التباس المؤمنين بالمنافقين حتى يميز أهل
الإيمان من أهل النفاق كما ميزهم بالمحنة يوم أحد ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيُطَلِّعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾، والذي يميز به بين هؤلاء وهؤلاء، فإنهم
تميزون في غيبه وعلمه وهو سبحانه يريد أن يميزهم تمييزاً
مشهوداً فيقع معلومه الذي هو غيب شهادة، وقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، استدراك لما نفاه من اطلاع خلقه على
الغيب سوى الرسل، فإنه يطلعهم على ما يشاء من غيبه، كما
قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ
خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ (٢)، فحظكم أنتم وسعادتكم في الإيمان بالغيب الذي
يطلع عليه رسله فإن آمنتم به وأيقنتم فلكم أعظم الأجر
والكرامة (٣).

(١) سورة ال عمران ، الآية (١٧٩) .

(٢) سورة الجن ، الآية (٢٧) .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/١٩٧ ؛ والسيرة النبوية والدعوة في

العهد المدني ، ١٩٥ ؛ ودروس وعبر من غزوة أحد ، ١١٣ .

١٢- الأخذ بالأسباب :

لا بد من الأخذ بأسباب في النصر المادية والمعنوية مع التوكل على الله (ﷻ) والاعتماد عليه ، فقد ظاهر النبي (ﷺ) بين درعين ، ولبس لأمة الحرب ، وكافح معه الصحابة ، وقاتل عنه جبريل وميكائيل أشد القتال ، مع أن الله عصمه من القتل فقد اخذ بالأسباب واستعد لها^(١).

١٣- استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء ، وفيما

يحبون وما يكرهون وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم ، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون فهم عبيده حقاً ، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية ، وأنه سبحانه لو نصرهم دائماً ، وأظفرهم بعدوهم في كل موطن ، وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبداً لطغت نفوسهم ، وشمخت وارتفعت ، فلو بسط لهم النصر والظفر لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق ، فلا يُصلح عباده إلا السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، والقبض والبسط ، فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته ، إنه بهم خبير بصير^(٢).

١٤- أثر المعاصي في النصر والهزيمة ، ففي غزوة أحد ظهر أثر

المعصية والفشل والتنازع في تخلف النصر عن الأمة ، فبسبب

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٦٤ ؛ والسيرة النبوية منهجية دراستها

واستعراض أحداثها ، ٤٥٤ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ١٩٨/٣ .

معصية واحدة خالف فيها الرماة أمر النبي (ﷺ) وبسبب التنازع والاختلاف حول الغنائم، ذهب النصر عن المسلمين بعد أن

انعقدت أسبابه، ولاحت بوادره، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعِدَّةً إِذْ تَحْسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ

وَتَنَزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أُرِيكُمْ مَا تُحِبُّونَ

مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ

صَرَفَكُم عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾، فكيف ترجو أمة عصت ربها، وخالفت أمر

نبيها، وتفرقت كلمتها أن يتنزل عليها نصر الله وتمكينه؟ ،

وبالمعاصي تدور الدوائر، ففاضت أرواح في تلك الغزوة بسبب

خطيئة ، وخرج آدم من الجنة بمعصيته ، ودخلت امرأة النار في

هرة ، فما الذي أهلك الأمم السابقة وطمس الحضارات البائدة

سوى الذنوب والمعاصي (٢).

١٥- غيظ أعداء الله ، فمن المصلحة غيظ العدو وحزبه ، فلما

انقضت الحرب ، وأشرف ابو سفيان على المسلمين وخاطبهم ،

فلم يجبه المسلمون اول وهله ، وذلك لغيظه ، فترك الجواب أولاً

عليه أحسن، وذكره ثانياً أحسن، وأيضا فإن في ترك إجابته حين

(١) سورة ال عمران ، الآية (١٥٢) .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/١٩٨ ؛ والمغازي ، ١/٢٦٧ .

سأل عنهم إهانة له ، وتصغيراً لشأنه ، فلما منته نفسه بموتهم ، وظن أنهم قد قتلوا ، وحصل له بذلك من الكبر ، فكان في جوابه له إهانة لعدو الله ، وتحقير ، وإذلال ، ولم يكن هذا مخالفاً ، لقول النبي (ﷺ): لا تجيبوه ، فإنه إنما نهى عن إجابته حين سأل: أفیکم محمد؟ أفیکم فلان؟ أفیکم فلان؟ فلا أحسن من ترك إجابته أولاً ، ولا أحسن من إجابته ثانياً^(١).

١٦- إن الله (ﷻ) هياً لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها أعمالهم ، ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة ، فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه ، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها^(٢).

١٧- سنة الله في الصراع بين الحق والباطل ، ففي غزوة أحد تأكيد لسنة الله (ﷻ) في الصراع بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ايضاً ، فقد جرت سنة الله (ﷻ) في رسله وأتباعهم أن تكون الحرب سجالاتاً بينهم وبين أعدائهم ، فيدالوا مرة ويدال عليهم أخرى ، ثم تكون لهم العاقبة في النهاية ، ولئن انقش الباطل يوماً وكان له صولات وجولات ، إلا أن العاقبة للمتقين ، والغلبة للمؤمنين ، فدولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام

(١) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ٤٦٢ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٦٦ ؛ وغزوات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ٥٦ .

الساعة، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ، والجنة عزيزة غالية لا تُنال إلا على جسر من المشاق والمتاعب، والنصر الرخيص السهل لا يدوم ، ولا يدرك الناس قيمته^(١)، ولذلك يقول الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٢).

١٨- إن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده ، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة ، وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء تراق دماؤهم في محبته ومرضاته ، ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم ، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو والشهادة في سبيله^(٣).

١٩- التضحية من أجل الدين، فقد وصل إلينا هذا الدين بعد كفاح مرير من الصحابة والأسلاف، ذاقوا فيه مرارة المصائب والمحن، فهذا أنس بن النضر (رضي الله عنه) يصاب في هذه الغزوة ببضع وثمانين جرحاً ، ثم مثل به بعدها، فلم يعرفه أحد سوى أخته عرفته ببنانة، وهذا سعد بن الربيع (رضي الله عنه) قد أصيب بسبعين طعنة ،

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/١٩٩؛ ودروس وعبر من غزوة أحد، ٢٢ .

(٢) سورة ال عمران ، الآية (١٤٢) .

(٣) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٦٦ ؛ ومختصر زاد المعاد ، ١٤٦ .

وهذا سيدنا حمزة (رضي الله عنه) قد مثل به ايضاً، فماذا قدمنا لديننا ؟ وللصحابه الكرام الصُحبة والسبق والإقدام ، تقطعت منهم الأشلاء، وتمزقت الأجساد، وترملت النساء ، قَدَّمُوا أرواحهم فداء لهذا الدين ، حتى وصل إلينا كاملاً متمماً، فأقدر لهم قدرهم ، واشكر لهم سعيهم، وترض عنهم ، فقد أحبهم ربهم^(١)، (رضي الله عنهم وأرضاهم).

٢٠- إنَّ وقعة أُحُدْ كانت مقدمة وإرهاصاً بين يدي موت رسول الله (ﷺ)، فثبتهم ووبخهم على انقلابهم على أعقابهم إن مات رسول الله (ﷺ) أو قتل، بل الواجب له عليهم أن يثبتوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه أو يقتلوا، فإنهم إنما يعبدون رب محمد، وهو حي لا يموت، فلو مات محمد أو قتل لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينه، وما جاء به، فكل نفس ذائقة الموت، وما بعث محمد (ﷺ) ليخلد لا هو ولا هم، بل ليموتوا على الإسلام والتوحيد، فإن الموت لا بد منه سواء مات رسول الله (ﷺ) أو بقي، ولهذا وبخهم على رجوع من رجع منهم عن دينه، لما صرخ الشيطان إنَّ محمداً قد قتل، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢٠٤/٣؛ ودروس وعبر من غزوة أحد،

يَنْقَلِبَ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾

والشاكرون هم الذين عرفوا قدر النعمة، فثبتوا عليها حتى ماتوا أو قتلوا، فظهر أثر هذا العتاب، وحكم هذا الخطاب يوم مات رسول الله (ﷺ)، وارتد من ارتد على عقبيه، وثبت الشاكرون على دينهم، فنصرهم الله وأعزهم، وأظفرهم بأعدائهم، وجعل العاقبة لهم، ثم أخبر سبحانه وتعالى أنه جعل لكل نفس أجلا لا بد أن تستوفيه، ثم تلحق به، فيرد الناس كلهم حوض المنايا مورداً واحداً، وإن تنوعت أسبابه ويصدرون عن موقف القيامة مصادر شتى، فريق في الجنة، وفريق في السعير (٢).

٢١- بروز بطولة النبي (ﷺ) وشجاعته وثباته في وجه أعدائه وإصراره على مقاتلتهم وحده مع أن الصحابة فروا عنه وتركوه، وتلك مسألة لا بد من وضوحها لبيان ما قام به رسول الله (ﷺ) وتحمله في سبيل دين الله تعالى (٣).

وهنا تظهر شجاعة النبي (ﷺ) من ثباته وحيداً أمام جيش قريش، وحرصه على قتل ابن الأشرف، بعدما أصيب وبقي وحده، وكان (ﷺ) في حالة يفر فيها الأبطال المغاوير، وكان أبي بن خلف يتصور نفسه

(١) سورة ال عمران ، الآية (١٤٤) .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٠١/٣ ؛ وفقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٦٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢٠٤/٣ ؛ ودروس وعبر من غزوة أحد ، ٢٤ .

قادرًا على قتل رسول الله (ﷺ) بعدما جاءه فوجده جريحًا ووحيدًا ، فأقبل خلف يركض بفرسه حتى إذا دنا من رسول الله (ﷺ) اعترض له ناس من المسلمين ليقتلوه ، فقال: (استأخروا عنه)^(١)، وقام (ﷺ) وحرته في يده فرماه بها بين سابغة البيضة والدرع قطعنه (ﷺ) في هذا الموضع فوق عن قوسه، وكسر ضلعًا من أضلاعه، فاحتملوه فمات لما ولوا قافلين بالطريق وتحقق بذل ما أنبا به (ﷺ) قبل أحد^(٢).

وبهذه الصورة الشجاعة لرسول الله (ﷺ) تعلمت الأمة ضرورة وجود القائد الشجاع الذي يقود الأمة نحو تحقيق شرع الله تعالى، وحماية دينه في الأرض كلها، ولاسيما في الأوقات الصعبة ، ووسط الظروف الحاسمة، وبين للمسلمين ولغيرهم أهليته (ﷺ) لتحمل الرسالة وأعبائها، وتفرد له ليكون الأسوة والقدوة لكل عاقل، وقد استوعب المسلمون هذا الدرس، وأحاطوا برسول الله (ﷺ)، ولاموا أنفسهم على ما فرطوا فيه ، ولاسيما ما فعله الرماة منهم، وحرصوا بعد رسول الله (ﷺ) على بيعة الراشدين من الخلفاء ، وتولية الرجال القادرين على حمل الأمانة ، وتقرير المسؤولية على الجميع^(٣).

(١) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، لأحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، أبو العباس ، شهاب الدين (ت: ٩٢٣هـ) ، المكتبة التوفيقية ، من دون طبعة، (القاهرة- مصر/ بلا سنة نشر) ، ٢٢٥٦/١ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٠٩/٣ .

(٣) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ص ١٦٦؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ص ٣٨١ .

المبحث الثالث

الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله"

على ضوء ذكره لغزوة تبوك

بعد فتح مكة المكرمة ودخول الناس في دين الله أفواجًا بقي أمام المسلمين أكبر قوة عسكرية في ذلك الزمان، وهي قوة الرومان التي بدأت بالتعرض للمسلمين بقتل مبعوث رسول الله (ﷺ) الحارث بن عمير الأزدي^(١) الذي كان يحمل رسالة إلى عظيم بصرى^(٢)، وكان في إرسال رسول الله (ﷺ) سرية زيد بن حارثة التي اصطدمت بالرومان اصطدامًا

-
- (١) الحارث بن عمير الأزدي بني لهب أو اللهبي : وهو الصحابي الذي بعثه رسول الله (ﷺ) بكتابه إلى الشام، إلى ملك الروم، وقيل: إلى صاحب بصرى، فعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فأوثقه رباطا، ثم قدم فضربت عنقه صبورا، ولم يقتل لرسول الله (ﷺ) رسول غيره ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٢٩٧/١ .
- (٢) بصرى : بضم أوله ، وسكون الصاد المهملة : وهي بلدة تقع بالشام من أعمال دمشق يحكمها قيصر عظيم الروم يوجد فيها دير يقال له: دير الباعقى كان به بحيرا الراهب، وبه اجتمع برسول الله (ﷺ) في تجارته مع عمه ؛ ينظر: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، لأحمد بن يحيى ابن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت: ٧٤٩هـ) ، المجمع الثقافي ، الطبعة الأولى ، (أبو ظبي/١٤٢٣هـ) ، ٥٢٥/٣ .

عنيفاً في مؤتة^(١)، ولم تنجح في أخذ الثأر من أولئك الظالمين، إلا أنها تركت أروع الأثر في نفوس العرب ، ونبهت قيصر -عظيم الروم- إلى خطر المسلمين الذي بدأ يتقدم ويخطو إلى حدوده، ويهدد الثغور الشامية التي تجاور العرب ، ولهذا بدأ قيصر يعد جيشاً من الرومان والعرب التابعة لهم من الغساسنة وغيرهم ، ليجهز بهم لمعركة فاصلة مع المسلمين^(٢).

وتعد هذه الغزوة أيضاً من الغزوات المليئة بالدروس والعبر والفوائد العظيمة ، ولاشك في أنها لا تخلو من الجوانب الدعوية القيمة أيضاً ، فلا بد من معرفة اسبابها والوقوف على بعض احداثها ، لكي نستطيع ان نستخرج منها الجوانب الدعوية، وهذا ما سنحاول ان نتناوله في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول : ذكر اهم الاحداث من غزوة تبوك .

المطلب الثاني : الجانب الدعوي المقاد من غزوة تبوك .

(١) مؤتة : وهي الغزوة التي حدثت في جمادى الأولى من السنة الثامنة بين الروم

البيزنطيين والمسلمين والتي بعثها رسول الله (ﷺ) إلى اللقاء في الشام، وكانت

عدتها ثلاثة آلاف رجل ؛ ينظر : سيرة ابن إسحاق ، ٢٢٦ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٦٠/٣ .

المطلب الأول

ذكر اهم الاحداث من غزوة تبوك

قرّر النبي (ﷺ) القيام بغزوة فاصلة يخوضها المسلمون ضد الرومان على حدودهم ، فلا يمهلهم حتى يزحفوا إلى دار الإسلام ، فأعلن التأهب والتجهز للقتال، وبعث إلى القبائل من العرب ، وإلى أهل مكة يستتفرهم ، وكان ذلك في شهر رجب سنة تسع للهجرة^(١)، وكان من عادته إذا أراد غزوة يوارى^(٢) بغيرها، ولكن نظراً لخطورة الموقف ، فقد أعلن في هذه المرة أن اللقاء سيكون مع الرومان في تبوك غزوة تبوك^(٣)، ولكي يستعد

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٦٠/٣ ؛ وفقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٢٠ .

(٢) يوارى : من التَّوَارَى : اي توارى القمر والشمس غيابا وغيبوبة وتغيب ، والمراد لا يتكلم فيها بصراحة ، وإنما بأسلوب التورية ، وكان ذلك يقصد التعمية على العدو؛ ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، لأحمد بن محمد بن علي أبو العباس الفيومي ثم الحموي (ت: نحو ٧٧٠هـ) ، المكتبة العلمية ، من دون طبعة ، (بيروت/ بلا سنة نشر) ، ٤٥٧/٢ .

(٣) تبوك : موضع بين وادي القرى والشام، وقيل: بين الحجر وأول الشام، وتقع بين جبل حسمي غربا وجبل شروري شرقا ؛ ينظر: معجم البلدان ، ١٥/٢ ، وقد توجه إليها النبي (ﷺ) سنة ٩هـ، وهي آخر غزواته (ﷺ) ، وقد أصبحت اليوم مدينة من مدن شمال الحجاز الرئيسية، لها إمارة تعرف بإمارة تبوك، وهي تبعد عن =

الناس استعداداً كاملاً ، وتعد غزوة تبوك هذه آخر غزوة غزاها رسول الله (ﷺ) بنفسه ، وكان هذا بعد رجوعه من عمرته بعد حصار الطائف في آخر ذي القعدة من سنة ثمان من مهاجره (ﷺ) ، فأقام بالمدينة ذا الحجة ، والمحرم ، وصفر ، وجمادى الآخرة ، فلما كان في رجب من سنة تسع من الهجرة ، أذن رسول الله (ﷺ) بغزو الروم^(١).

واشتهرت هذه الغزوة باسم غزوة تبوك ، التي انتهت إليها الجيش الإسلامي ، وأصل هذه التسمية جاء في صحيح مسلم ، فقد روي بسنده إلى معاذ (رضي الله عنه) أن رسول الله قال: (ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي)^(٢).

ولغزوة تبوك اسم آخر أيضاً: وهو غزوة العسرة^(٣)، وقد ورد هذا الاسم

=المدينة شمالاً (٧٧٨) كيلا على طريق معبدة تمر بخيبر وتيماء، وقد مرت بها سكة حديد الحجاز سنة ١٣١٢ هـ ، وهي سكة عطلت إبان الثورة العربية الكبرى، ولا زالت معطلة ؛ ينظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ٥٩ .

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٦٠/٣ ؛ وغزوات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ١٤٥ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٦١/٣ ؛ وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل، باب: معجزات النبي (ﷺ) ، ١٧٨٥ /٤ ، رقم الحديث (١٣٩٢) .

(٣) العسرة ضد اليسرة ، وغزوة العسرة : هي غزوة تبوك بضم العين وسكون السين المهملتين ، مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ =

في القرآن الكريم حينما تحدث عن هذه الغزوة في سورة التوبة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، وقد روى البخاري بسنده إلى أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه)، قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله (ﷺ) أسأله الحملان لهم إذ هم معه في جيش العسرة، وهي غزوة تبوك، وقد عنون البخاري لهذه الغزوة بقوله: (باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة)^(٢).

= وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴿﴾ ، سورة التوبة ، جزء من الآية (١١٧) ، ويقال لها الفاضحة لأنها أظهرت حال كثير من المنافقين ، وروى ابن خزيمة من حديث ابن عباس (رضي الله عنه) ، قيل لعمر (رضي الله عنه) : حدثنا عن بيان ساعة العسرة ؟ قال : خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد فأصابنا عطش فكانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء ، فكان ذلك عسرة في الماء وفي الظهر وفي النفقة ، فسميت (غزوة العسرة) ؛ ينظر : عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، ٤٥/١٨ ؛ وشرح المواهب اللدنية للقسطلاني (ت: ٩٢٣هـ) ، لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني ، دار المعرفة ، الطبعة الأولى ، (بيروت / ١٢٠٨هـ) ، ٦٢/٣ .

(١) سورة التوبة ، الآية (١١٧) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب: غزوة تبوك ، ٥٢ / ، رقم الحديث (٤٤١٥) .

ولقد سميت بهذا الاسم لشدة ما لاقى المسلمون فيها من الضنك^(١)، فقد كان الجو شديد الحرارة، والمسافة بعيدة، والسفر شاقاً لقلة المؤونة وقلة الدواب التي تحمل المجاهدين إلى أرض المعركة، وقلة الماء في هذا السفر الطويل والحر الشديد، وكذلك قلة المال الذي يجهز به الجيش وينفق عليه^(٢).

ولغزوة تبوك اسم ثالث عرفت بالفاضة، وسميت بهذا الاسم لأن هذه الغزوة كشفت عن حقيقة المنافقين، وهتكت أستارهم، وفضحت أساليبهم العدائية الماكرة، وأحقادهم الدفينة، ونفوسهم الخبيثة، وجرائمهم البشعة بحق رسول الله والمسلمين^(٣).

وأما موقع تبوك فتقع شمال الحجاز، وتبعد عن المدينة (٧٧٨) ميلاً حسب الطريق المعبدة في الوقت الحاضر، وكانت من ديار قضاة^(٤)

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٦٠/٣؛ والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية، للدكتور مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، من دون طبعة، (الرياض/ ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ٦١٤.

(٢) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ١٥٣/١.

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٦٠/٣؛ والصراع مع الصليبيين، لمحمد عبد القادر أبو فارس، دار البشير، الطبعة الأولى، (طنطا/ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ٨٣.

(٤) ديار قضاة: هي بلدة تابعة لحكم الرومان آنذاك، وتقع بالقرب من قبيلة طي من اطراف الشام وتبوك بالقرب منها أيضاً؛ ينظر: معجم البلدان، ١٢٥/١.

الخاضعة لسلطان الروم آنذاك^(١) ... وسأتكلم عن هذه الغزوة على النحو
الآتي :

أولاً: اسباب الغزوة

قال ابن القيم "رحمه الله" : (بلغ رسول الله ﷺ) أن الروم قد جمعت
جموعاً كثيرة بالشام ، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة ، وأجلبت معه
لحم، وجذام، وعاملة، وغسان، وقدموا مقدماتهم إلى البلقاء ، وجاء
البكاؤون وهم سبعة يستحملون رسول الله ﷺ فقال: (لا أجد ما أحملكم
عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً أن لا يجدوا ما ينفقون)^(٢)،
ووصلت الأنباء للنبي ﷺ من الأنباط الذين يأتون بالزيت من الشام إلى
المدينة أن الروم جمعت جموعاً وأجلبت معهم لحم وجذام وغيرهم من
مستنصرة العرب، وجاءت في مقدمتهم إلى البلقاء ، فأراد النبي ﷺ أن
يغزوهم قبل أن يغزوه)^(٣).

ويرى ابن كثير "رحمه الله" أن سبب الغزوة هو استجابة طبيعية
لفريضة الجهاد؛ ولذلك عزم رسول الله ﷺ على قتال الروم ؛ لأنهم أقرب

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٢١ ؛ والمجتمع المدني في عهد النبوة ،

للدكتور أكرم العمري ، الطبعة الأولى ، (بلا/١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ، ٢٢٩ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب: غنوة تبوك ، ٢/٦ ، رقم

الحديث (٤٤١٥) ؛ وفقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري ، لسعيد بن علي بن

وهب القحطاني ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة

والإرشاد، الطبعة الأولى، (بلا/١٤٢١هـ)، ١/١٠٠ .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٦٢/٣؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ٣٢٢ .

الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله ، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَلِوْا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١)، والذي قاله ابن كثير "رحمه الله" هو الأقرب للصواب ، فضلاً عن أن الأمر الذي استقر عليه حكم الجهاد هو قتال المشركين كافة بمن فيهم أهل الكتاب، الذين وقفوا في طريق الدعوة وظهر تحرشهم بالمسلمين كما روى أهل السير^(٢).

ولا يمنع ما ذكره المؤرخون بأن سبب الخروج هو عزم الروم على غزو المسلمين في عقر دارهم فلا يمنع أن يكون هذا حافزاً للخروج إليهم ، لأن أصل الخروج كان وارداً^(٣).

ثانياً: الإنفاق في هذه الغزوة

حث رسول الله (ﷺ) الصحابة على الإنفاق في هذه الغزوة لبعدها، وكثرة المشركين فيها ، ووعد المنفقين بالأجر العظيم من الله ، فأنفق كل حسب مقدرته، وكان عثمان (رضي الله عنه) صاحب القدر المعلى في الإنفاق في هذه الغزوة^(٤).

(١) سورة التوبة ، الآية (١٢٣) .

(٢) ينظر: البداية والنهاية ، ٣/٥ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٦٢/٣ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ٨١٠ ؛ وفقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري ، ١٠١/١ .

(٤) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٢٣ ؛ والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ٦١٥ ؛ وتيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان =

قال ابن القيم "رحمه الله" عن الانفاق: (إن رسول الله (ﷺ) جد في سفره وأمر الناس بالجهاز، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان في سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا، وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها ، قلت : كانت ثلاثمائة بغير بأحلاسها^(١) وأقتابها وعدتها، وألف دينار عيناً^(٢) .

= (ﷺ) شخصيته وعصره ، لعلي محمد محمد الصلّابي ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، الطبعة الأولى ، (القاهرة مصر/١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ، ٣٨ .

(١) الأحلاس: جمع حلس: وَهُوَ مَا يَجْعَلُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ لِلتَّوَطُّئِ كَالْبِرْدَعَةِ؛ والأقتاب: جمع قتب، مَا يُوَضَعُ عَلَى ظُهُورِ الْإِبِلِ مِنْ أَدَاةِ أَحْمَالِهَا، وَهُوَ رَحْلٌ عَلَى قَدْرِ سَنَامِ الْبَعِيرِ؛ ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، لمحمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبد الله بن أبي نصر (ت: ٤٨٨هـ)، تحقيق: الدكتورة زبيدة محمد سعيد عبدالعزيز، مكتبة السنة، الطبعة الأولى، (القاهرة- مصر/١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ٤٤ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٦٢/٣ ؛ أخرجه الترمذي في سننه - الجامع الكبير ، لمحمد بن عيسى بن سَورَة بن موسى بن الضحاك ، أبو عيسى الترمذي (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي، بدون طبعة، (بيروت/ ١٩٩٨م) ، مناقب عثمان، ٦٢٥/٥ ، رقم الحديث (٣٧٠٠) ، وقال: حسن غريب .

فهذا عبد الرحمن بن خباب^(١) (رضي الله عنه) يحدثنا عن نفقة عثمان (رضي الله عنه) حيث قال: شهدت النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو يحث على جيش العسرة ، فقام عثمان ابن عفان (رضي الله عنه) فقال: يا رسول الله ، علي مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ، فقال: يا رسول الله، علي مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض على الجيش فقام عثمان بن عفان (رضي الله عنه) فقال: يا رسول الله، علي ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، فأنا رأيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ينزل عن المنبر وهو يقول: (ما على عثمان ما عمل بعد هذه ، ما على عثمان ما عمل بعد هذه)^(٢).

(١) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ خَبَابِ السَّلْمِيِّ ، الصَّحَابِيُّ الَّذِي نَزَلَ فِي الْبَصْرَةِ ، وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فِي فَضْلِ عُثْمَانَ حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ ، وَصَرَّحَ فِي رِوَايَتِهِ بِسَمَاعِهِ مِنَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) ، كَمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُمَا ، وَلَمْ يَرُوي عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) غَيْرَ هَذَا الْحَدِيثِ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَانَ فِي التَّقَاتِ نَسْبَهُ أَنْصَارِيًّا ؛ يَنْظُرُ: الْإِصَابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحَابَةِ ، ٢٥٣/٤.

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي سَنَنِهِ ، الْجَامِعُ الصَّحِيحُ - سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ ، لِمُحَمَّدِ بْنِ عَيْسَى ابْنِ سُوْرَةَ بْنِ مُوسَى بْنِ الضَّحَّاكِ ، أَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ (ت: ٢٧٩هـ) ، تَحْقِيقٌ: أَحْمَدُ مُحَمَّدُ شَاكِرٌ - وَمُحَمَّدُ فُوَادُ عَبْدُ الْبَاقِي - وَإِبْرَاهِيمُ عَطْوَةُ عَوْضٌ ، شَرِكَةُ مَكْتَبَةُ وَمَطْبَعَةُ مُصْطَفَى الْبَابِيِّ الْحَلَبِيِّ ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ ، (مِصْر/١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) ، ٦٢٥/٥ ، رَقْمُ الْحَدِيثِ (٣٧٠٠) ، قَالَ الْإِلْبَانِيُّ: حَدِيثٌ ضَعِيفٌ .

وعن عبد الرحمن بن سمرة^(١) (رضي الله عنه) قال: جاء عثمان بن عفان إلى النبي (ﷺ) بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي (ﷺ) جيش العسرة ، قال: فجعل النبي (ﷺ) يقلبها بيده ويقول: (... ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم -يردها مرارا)^(٢).

وأما عمر (رضي الله عنه) فقد تصدق بنصف ماله وظن أنه سيسبق أبا بكر (رضي الله عنه) بذلك، وهذا الفاروق (رضي الله عنه) يحدثنا بنفسه عن ذلك حيث قال: (أمرنا رسول الله (ﷺ) يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك ما لا عندي ، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله (ﷺ) : ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله ، قال: وأتى أبو بكر (رضي الله عنه) بكل ما عنده ، فقال له رسول الله (ﷺ) : ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله ، قلت : لا أسابقك إلى شيء أبداً)^(٣).

(١) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، يقال: كان اسمه عبد كلال وقيل: عبد الكعبة فغيره النبي (ﷺ) شهد غزوة تبوك ، وشهد فتوح العراق وهو الذي افتتح سجستان وكابل في خلافة عثمان (رضي الله عنه) سكن البصرة وإليه تنسب سكة ابن سمرة بالبصرة ، وتوفي بها سنة ٥٠ هـ ؛ ينظر : الإصابة في تمييز الصحابة، ٣١٠/٤ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب : مناقب عثمان (رضي الله عنه) ، ١٩٥/١٤ ، رقم الحديث (٤٥٢٦) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التهجد ، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى ، ١١٢/٢ ، رقم الحديث (١٣٤٢) .

وروى أن عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) أنفق ألفي درهم وهي نصف أمواله لتجهيز جيش العسرة^(١)، وكانت لبعض الصحابة نفقات عظيمة ، كالعباس بن عبد المطلب، وطلحة بن عبيد الله ، ومحمد بن مسلمة^(٢) (رضي الله عنهم) ، وهكذا يفهم المسلمون أن المال وسيلة لهم ، واستطاع أغنياء الصحابة أن يبرهنوا أن مالهم في خدمة هذا الدين، يدفعونه عن طواعية ورغبة، وإن تاريخ الأغنياء المسلمين تاريخ مشرف؛ لأن تاريخ المال في يد الرجال لا تاريخ الرجال تحت سيطرة المال، وكما كان الجهاد بالنفس، فكذلك هو بالمال، وأن الذين رُبووا على أن يقدموا أنفسهم، تهون عليهم أموالهم في سبيل الله تعالى^(٣).

إن في مسارعة أهل المال إلى البذل والإنفاق دليل على ما يفعله الإيمان في نفوس المؤمنين من مسارعة إلى فعل الخير، ومقاومة لأهواء النفس وغرائزها، مما تحتاج إليه كل أمة لضمان النصر على أعدائها،

(١) ينظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ٦١٦ .

(٢) محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، ويكنى أبا عبد الرحمن حليف لبني عبد الأشهل، شهد بدرًا والمشاهد كلها، ومات بالمدينة، ولم يستوطن غيرها، وكانت وفاته بها في صفر سنة ثلاث وأربعين ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ١٣٧٧/٣ .

(٣) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٢٣ ؛ ومعين السيرة ، لصالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، من دون طبعة، (بلا/ ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ، ٤٤٩ .

وخير ما يفعله المصلحون وزعماء النهضات هو غرس الدين في نفوس الناس غرساً كريماً^(١).

وقد قدم فقراء المسلمين جهودهم من النفقة على استحياء ؛ ولذلك تعرضوا لسخرية وغمز ولمز المنافقين ، فقد جاء أبو عقيل بنصف صاع تمر ، وجاء آخر بأكثر منه ، فلمزوها قائلين : إن الله لغني عن صدقة هذا ، وما فعل هذا الآخر إلا رياء ، فنزلت الآية الكريمة : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٢) ، وقالوا : ما أعطي ابن عوف هذا إلا رياء ، فكانوا يتهمون الأغنياء بالرياء ويسخرون من صدقة الفقراء^(٣).

ثالثاً: موقف المنافقين من غزوة تبوك

عندما أعلن الرسول (ﷺ) النفير ودعا إلى الإنفاق في تجهيز هذه الغزوة ، أخذ المنافقون في تثبيط همم الناس قائلين لهم : لا تنفروا في الحر ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٢٤ ؛ وينظر: السيرة النبوية - دروس وعبر ، ١٦١ .

(٢) سورة التوبة ، الآية (٧٩) .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٦٦/٣ ؛ والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ٦١٦ .

جَهَنَّمَ أَشَدَّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾

وقال رسول الله (ﷺ) وهو في جهازه لتبوك ، للجد بن قيس^(٢): (يا جد، هل لك العام في جلد بني الأصفر؟ فقال: يا رسول الله أوتأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجبا بالنساء مني وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر، فأعرض عنه رسول الله (ﷺ) وقال: قد أذنت لك^(٣)، ففيه نزلت الآية: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَكْفُرُ أَذْنًا لِّي وَلَا نَفْتِيَّ إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾^(٤)، وقد ذهب بعضهم إلى النبي (ﷺ) مبددين أعداراً كاذبة ليأذن لهم بالتخلف ، فأذن لهم، فعاتبه الله بقوله: ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكٰذِبِينَ ﴾^(٥).

(١) سورة التوبة ، الآيتان (٨١،٨٢) .

(٢) الجد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاريّ ، أبو عبد الله ، يقال إنه تاب وحسنت توبته ، ومات في خلافة عثمان (رضي الله عنه)؛ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ، ٥٧٦/١ .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، ١٢٢٦/٦ ، قال وهذا إسناد حسن .

(٤) سورة التوبة ، الآية (٤٩) .

(٥) سورة التوبة ، الآية (٤٣) .

وبلغ رسول الله (ﷺ) أن ناساً منهم يجتمعون في بيت سويلم اليهودي^(١) يثبّطون الناس عن رسول الله (ﷺ) ، فأرسل إليهم من أحرق عليهم بيت سويلم ، وهذا يدل على مراقبة المسلمين الدقيقة ومعرفتهم بأحوال المنافقين واليهود ، فقد كانت عيون المسلمين يقظة تراقب تحركات اليهود والمنافقين ، واجتماعاتهم وأوكارهم ، بل كانوا يطلعون فيها على أدق أسرارهم واجتماعاتهم وما يدور فيها من حبهك المؤامرات ، وابتكار أساليب التثبيط ، واختلاق الأسباب الكاذبة لإقناع الناس بعدم الخروج للقتال ، وقد كان علاج رسول الله لدعاة الفتنة وأوكارها حازماً حاسماً ، إذ أمر بحرق البيت على من فيه من المنافقين ، وأرسل من أصحابه من ينفذه ، ونفذ بحزم ، وهذا منهج نبوي كريم يتعلم منه كل مسؤول في كل زمان ومكان كيف يقف من دعاة الفتنة ومراكز الشائعات المضللة التي تلحق الضرر بالأفراد والمجتمعات والدول ؛ لأن التردد في مثل هذه الأمور يعرض الأمن والأمان إلى الخطر وينذر بزوالها^(٢).

لقد تحدث القرآن الكريم عن موقف المنافقين قبل الغزوة وأثناءها وبعدها ، ومما جاء من حديث القرآن الكريم عن موقف المنافقين قبل غزوة

(١) سويلم : هو يهودي ساكن في المدينة مع المسلمين ، كان يثبّط من معنويات المسلمين ، فبعث (ﷺ) إليهم طلحة بن عبيد الله في نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم البيت وفعل طلحة ، فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله واقتحم أصحابه ، واقلت الآخرون ؛ ينظر : السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، ٤٩٨/٢ .

(٢) ينظر : المغازي ، ٣٩٣/٣ .

تبوك ما يتضمن استئذانهم، وتخلفهم عن الخروج، وكان ممن تخلف عبد الله بن أبي ابن سلول^(١)، وقد تحدث القرآن عنهم، فقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ

عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

﴿٢﴾، فقد بين - سبحانه وتعالى - موقف المنافقين وأنهم تخلفوا بسبب بعد المسافة وشدتها، وأنه لو كان الذي دعوتهم إليه يا محمد عرضا من أعراض الدنيا ونعيمها وكان السفر سهلا لاتبعوك في الخروج، ولكنهم تخلفوا ولم يخرجوا، فالآية تشرح وتوضح ملامبات موقفهم قبل الخروج إلى الغزوة، وأسباب هذا الموقف، ثم جاءت الآيات القرآنية مبينة ما سيقوله هؤلاء المنافقون بعد عودة المؤمنين من هذه الغزوة، قال تعالى:

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآ وَنُهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

﴿٣﴾، فكان نزول هذه الآية قبل رجوعه (ﷺ) من تبوك، والمعنى: وسيحلف هؤلاء المنافقون بالله - كذبا وزورا - قائلين: لو استطعنا - أيها المؤمنون - أن نخرج معكم للجهاد

(١) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ٣٢٧؛ والصراع مع الصليبيين، لمحمد عبد القادر أبو فارس، دار البشير، طنطا، من دون طبعة، (طنطا - مصر/ ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م)، ١٢٢.

(٢) سورة التوبة، الآية (٤٢).

(٣) سورة التوبة، الآية (٩٥).

في تبوك لخرجنا، فإننا لم نتخلف عن الخروج معكم إلا مضطرين فقد كانت لنا أعدارنا القاهرة التي حملتنا على التخلف^(١) .

وقوله تعالى: ﴿يَهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٢)، قال ابن عاشور^(٣) "رحمه الله" : أي يحلفون مهلكين أنفسهم -أي موقعينها في الهلك، والهلك: الفناء والموت- ويطلق على الأضرار الجسمية وهو المناسب هنا، أي يتسببون في ضرر أنفسهم بالأيمان الكاذب وهو ضرر الدنيا وعذاب الآخرة ، وفي هذه الآية دلالة على أن تعمد اليمين الفاجرة يفضي إلى الهلاك^(٤) .

(١) ينظر: حديث القرآن عن غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، للدكتور محمد بكر آل عابد، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، (بلا / بلا سنة نشر) ، ٢ ، ٦٤٧/ .

(٢) سورة التوبة ، جزء من الآية (٤٢) .

(٣) ابن عاشور : هو محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور: نقيب أشرف تونس وكبير علمائها، ولي قضاءها سنة ١٢٦٧هـ ، ثم الفيا (سنة ١٢٧٧هـ) فنقابة الأشرف ، وتوفي بتونس ، له كتب ، منها (شفاء القلب الجريح) في شرح البردة ، و(هدية الأريب) ؛ ينظر: الأعلام ، ١٧٣/٦ .

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) ، الدار التونسية للنشر ، من دون طبعة ، (تونس/١٩٨٤م) ، ٢٠٩ /١٠ .

ثم عاتب الله تعالى نبينا محمداً (ﷺ) بقوله: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ﴾ (١)، فقال مجاهد (٢) "رحمه الله": نزلت هذه الآية في أناس قالوا: استأذنوا رسول الله (ﷺ) ، فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا، وهؤلاء هم فريق من المنافقين ، منهم عبد الله بن أبي ابن سلول، والجد بن قيس، ورفاعة بن التابوت، وكانوا تسعاً وثلاثين واعتذروا بأعذار كاذبة (٣).

والآية الكريمة عتاب لطيف من اللطيف الخبير - سبحانه - لحبيبه (ﷺ) على ترك الأولى، وهو التوقف عن الإذن إلى انجلاء الأمر وانكشاف الحال (٤)، ثم قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَعْذِرُكَ الَّذِينَ يَوْمُنُونَ بِاللهِ

(١) سورة التوبة ، الآية (٤٣) .

(٢) مجاهد بن جبر أبو الحجاج ، المكي ، المخزومي . شيخ القراء والمفسرين ، إمام ، ثقة ، فقيه ، عالم ، كثير الحديث ، برع في التفسير وقراءة القرآن والحديث ، والفقه ، كما روى عن أبي هريرة وعائشة وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن عمر وجابر ابن عبد الله وأبي سعيد الخدري (رضي الله عنهم اجمعين) ، وقد عرض القرآن على ابن عباس (رضي الله عنهما) ، ومات اثنتين ومائة هجرية ؛ ينظر: سير أعلام النبلاء ، ٤/٤٤٩ .

(٣) ينظر: تفسير مجاهد ، لمجاهد بن جبر أبو الحجاج التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ) ، تحقيق : الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل ، دار الفكر الإسلامي الحديثة ، الطبعة الأولى ، (مصر/١٤١٠هـ/١٩٨٩م) ، ٣٦٩/١ .

(٤) المصدر نفسه ، ٣٦٩/١ .

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا
يَسْتَقْدِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَوَاتُهُمْ قُلُوبُهُمْ فَمَهْمٌ فِي

رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿١﴾، فهذه الآيات أول ما نزل في التفرقة بين
المنافقين والمؤمنين في القتال^(٢)، فبين -سبحانه- أنه ليس من شأن
المؤمنين بالله واليوم الآخر الاستئذان وترك الجهاد في سبيل الله، وإنما
هذا من صفات المنافقين الذين يستأذنون من غير عذر، وصفهم -
سبحانه- بقوله: ﴿وَأَزَوَاتُ قُلُوبُهُمْ﴾، أي: شكّت في صحة ما جئتهم
به، وقوله: ﴿فَمَهْمٌ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾، أي: يتحIRON يقدمون رجلا
ويؤخرون أخرى وليست لهم قدمّ ثابتة في شيء^(٣).

لقد كانت غزوة تبوك منذ بداية الإعداد لها مناسبة للتمييز بين
المؤمنين والمنافقين، وضحت فيها الحواجز بين الطرفين، ولم يعد هناك
أي مجال للتستر على المنافقين أو مجاملتهم، بل أصبحت مجابتهم أمرا
ملحاً بعد أن عملوا كل ما في وسعهم لمجابهة الرسول والدعوة، وتثبيط
المسلمين عن الاستجابة للنفير الذي أعلنه الله تعالى ورسوله (ﷺ) والذي

(١) سورة التوبة، الآيتان (٤٤، ٤٥).

(٢) ينظر: تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، شركة
مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، (مصر/
١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م)، ١ / ١٢٨.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ٤ / ١٣٩.

نزل به القرآن الكريم، بل وأصبح الكشف عن نفاق المنافقين، وإيقافهم عند حدهم واجبا شرعياً^(١).

رابعاً: إعلان النفير وتعبئة الجيش

قد أعلن النفير العام للخروج لغزوة تبوك ، حتى بلغ عدد من خرج مع النبي (ﷺ) إلى تبوك ثلاثين ألفاً، وقد عاتب القرآن الكريم الذين تباطؤوا

بقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ

اللَّهِ أَنْ أَقْلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ

الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٢)، وقد طالبهم القرآن الكريم بأن

يَنفِرُوا شَبَابًا وَشَيْوَخًا وَأَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ بقوله تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا

وَيَقَالًا وَجَهْدًا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

استطاع رسول الله (ﷺ) أن يحشد ثلاثين ألف مقاتل^(٤) من المهاجرين

والأنصار وأهل مكة والقبائل العربية الأخرى، وقد أعلن رسول الله (ﷺ) -

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٤٦٦ ؛ ونصرة النعيم في مكارم

أخلاق الرسول الكريم (ﷺ) ، ١٠/٣٨٩ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل

أحداث ، ٨١٥ .

(٢) سورة التوبة ، الآية (٣٨) .

(٣) سورة التوبة ، الآية (٤١) .

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٤٧٠ ؛ والصراع مع الصليبيين ، ٩٧ .

على غير عادته في غزواته - هدفه ووجهته في القتال، إذ أعلن صراحة أنه يريد قتال بني الأصفر (الروم) ، علماً بأن هديه في معظم غزواته أن يوري فيها ولا يصرح بهدفه ووجهته وقصده، حفاظاً على سرية الحركة ومباغثة العدو^(١).

ولما علم المسلمون بجهة الغزوة سارعوا إلى الخروج إليها، وحث الرسول (ﷺ) على النفقة قائلاً: (من جهز جيش العسرة فله الجنة)^(٢). واستخلف رسول الله (ﷺ) على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري (رضي الله عنه)، وخلف علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) على أهله ، فأرجف به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استتقلاً وتخففاً منه ، فأخذ علي (رضي الله عنه) سلاحه ، ثم خرج حتى أتى رسول الله (ﷺ) وهو نازل بالجرف^(٣) فقال: يا نبي الله ، زعم المنافقون أنك إنما خلفتني لأنك استتقلتني وتخفت مني ، فقال (ﷺ): (كذبوا، ولكني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك،

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية، ٣٢٨ ؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، ٣٩٢.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٧٠/٣ ؛ واخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الوصايا، باب : اذا اوقف ارضاً او بئراً ، ١٣/٤ ، رقم الحديث (٢٧٧٨).

(٣) الجرف: هو مكان على ميل من المدينة ، وقيل على فرسخ من المدينة، وهناك كان المسلمون يعسكرون إذا أرادوا الغزو ؛ ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ٣٧٧/٢ .

أفلا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي^(١)، فرجع عليّ (رضي الله عنه) إلى المدينة^(٢).

فكان استخلاف علي (رضي الله عنه) في أهله باعتبار قرابته ومصاهرته ، فكان استخلافه في أمر خاص، وهو القيام بشأن أهله ، وكان استخلاف محمد ابن مسلمة الأنصاري (رضي الله عنه) في الغزوة نفسها استخلاقاً عاماً، فتعلق بعض الناس بأن استخلاف علي (رضي الله عنه) يشير إلى خلافته من بعده ، ولا صحة لهذا القول ؛ لأن خلافته كانت في أهله خاصة^(٣)، وعندما تجمع المسلمون عند ثنية الوداع^(٤) بقيادة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، اختار الأمراء والقادة وعقد الألوية والرايات لهم ، فأعطى اللواء الأعظم إلى أبي بكر الصديق

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب: عزوة تبوك ، ٣/٦ ، رقم الحديث (٤٤١٦) .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٧٥/٣ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ٨١٧ .

(٣) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٢٩ ؛ وصور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، للدكتور محمد فوزي فيض الله ، دار القلم - والدار الشامية ، الطبعة الأولى ، (بيروت / ١٤١٩هـ / ١٩٩٦م) ، ٤٦٦ .

(٤) ثنية الوداع بفتح أوله، عن يمين المدينة أو دونها، والثنية: طريق في الجبل مخلوق، فإذا عولج وسهل فهو نقب وكان الخارج من المدينة يودعه المشيع من هناك، وكان لا يدخل المدينة أحد إلا من طريق واحد، من ثنية الوداع، فإذا وقف على الثنية قيل: قد ودع، فسميت ثنية الوداع ؛ ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ١٣٧٢/٤؛ والروض المعطار في خبر الأقطار، ١٥١ .

(ﷺ)، ورايته العظمى إلى الزبير بن العوام (ﷺ) ودفع راية الأوس إلى أسيد بن حضير^(١) (ﷺ) وراية الخزرج إلى أبي دجانة (ﷺ) ، وأمر كل بطن من الأنصار أن يتخذ لواء ، واستعمل رسول الله (ﷺ) على حراسة تبوك من يوم قدم إلى أن رحل منها عباد بن بشر^(٢) (ﷺ)، فكان عباد يطوف في أصحابه على العسكر ، وكان دليل رسول الله (ﷺ) في هذه

(١) أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأشهلي، وقيل: يكنى أبا عيسى، أسلم قبل سعد بن معاذ على يدي مصعب بن عمير، وكان ممن شهد العقبة الثانية ، شهد بدرًا وشهد أحدًا وما بعدهما من المشاهد، وجرح يوم أحد سبع جراحات ، توفي في شعبان سنة عشرين، وقيل: سنة إحدى وعشرين؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٩٤/١ .

(٢) عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث ابن الخزرج ابن عمرو، وهو النبييت بن مالك بن الأوس الأنصاري، الأوسي، ثم الأشهلي، يكنى أبا بشر ، أسلم بالمدينة على يد مصعب بن عمير، قبل إسلام سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وشهد بدرًا، وأحدًا، والمشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ) ، وهو ممن قام بقتل كعب بن الأشرف اليهودي، الذي كان يؤذي رسول الله (ﷺ) والمسلمين ، وقتل عباد يوم اليمامة، وكان له يومئذ بلاء عظيم، وكان عمره خمسا وأربعين سنة ؛ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ١٤٩/٣ .

الغزوة هو علقمة بن الفغواء الخزاعي^(١) (ﷺ) ، فقد كان من أصحاب الخبرة والكفاءة في معرفة طريق تبوك^(٢).

خامساً: الوصول إلى تبوك

كان رسول (ﷺ) وسلم حين مر بالحجر بديار ثمود قال : لا تشربوا من مائها شيئاً ، ولا تتوضؤوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجن أحد منكم إلا ومعه صاحب له ، ففعل الناس إلا أن رجلين من بني ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعيه ، فأما الذي خرج لحاجته فإنه خنق على مذهبه ، وأما الذي خرج في طلب بعيه فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلي طيئ ، فأخبر بذلك رسول الله (ﷺ) فقال: ألم أنهكم أن لا يخرج أحد منكم إلا ومعه صاحبه؟ ثم دعا للذي خنق على مذهبه فشفى ، وأما الآخر فأهدته طيئ لرسول الله (ﷺ) حين قدم المدينة^(٣)

(١) علقمة بن الفغواء الخزاعي: هو ازدي حجازي كان دليل رسول الله (ﷺ) إلى تبوك ، روى عنه ابنه عبد الله ، هو أخو عمرو بن الفغواء ، وكان يسكن باب أبي شرحبيل ، وهو بين ذي خشب والمدينة ، وكان يأتي المدينة كثيراً ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ١٠٨٨/٣ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٦٦/٣ ؛ وسبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، ٦٥٢/٥ ؛ والصراع مع الصليبيين ، ٩٩ .

(٣) فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٢٩ ؛ واخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزهد والرفائق ، باب: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ، ٢٢٨٦/٤ ، رقم الحديث (٢٩٨١) .

فعندما وصل النبي (ﷺ) ودخل على تبوك لم يجد أثراً للحشود الرومانية ولا القبائل العربية، ومع أن الجيش مكث عشرين ليلة في تبوك لم تفكر القيادة الرومانية مطلقاً في الدخول مع المسلمين في قتال ، حتى القبائل العربية المنتصرة آثرت السكون، أما حكام المدن في أطراف الشام فقد آثروا الصلح ودفع الجزية ، فقد أرسل ملك أيلة^(١) للنبي (ﷺ) هدية - وهي بغلة بيضاء وبرد- فصالحه على الجزية^(٢)، وبعث رسول الله (ﷺ) بخالد بن الوليد (رضي الله عنه) على رأس سرية من الفرسان بلغ عددها أربعمائة وعشرين فارساً إلى دومة الجندل^(٣)، واستطاع خالد بن الوليد أن يأسر

(١) أيلة : بفتح الهمزة وسكون الياء آخر الحروف وباللام : إسم بلدة على ساحل البحر آخر الحجاز وأول الشام، شرفها الله تعالى، سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم (عليه السلام)، وقد روى أن أيلة هي القرية التي كانت حاضرة ، وتعرف اليوم باسم (العقبة) ميناء المملكة الأردنية الهاشمية على رأس خليج يضاف إليها (خليج العقبة) ، وهي عامرة كثيرة التجارة ميناؤها يزدحم بالسفن، وبها فنادق ومتنزهات على الشاطئ وخليج العقبة أحد شعبتي البحر الأحمر؛ ينظر: معجم المَعَالِمِ الجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، ٢٥ .

(٢) ينظر: صحيح البخاري ، كتاب الجزية ، باب: اذا وادع الامام ملك القرية ، ٩٧/٤ ، رقم الحديث (٣١٦١) .

(٣) دومة الجندل :هي قرية تجارية تقع على اطراف الجزيرة العربية لتبادل السلع ، الدال بالضم ، وقالوا: إنها منسوبة إلى: دوم أو دومان بن إسماعيل بن إبراهيم (عليهم السلام) والذي أراه أنها بالفتح باسم الدومة من الشجر المعروف، فالعرب تسمى السائلة، والتناضب، ونحوها، وأهلها اليوم يقولون: دومة الجندل، بالفتح،=

أكيدر بن عبد الملك الكندي^(١) -ملكها- وهو في الصيد خارجها^(٢)،
فصالحه النبي (ﷺ) على الجزية^(٣)، وكتب رسول الله (ﷺ) معاهدات
لكل من أهل جرباء وأذرح^(٤)، ولأهل مقنا^(٥) يؤدي بموجبها هؤلاء الناس

=وهي قرية في الجوف، يشرف عليها حصن مارد، حصن أكيدر الكندي ، وتبعد
عن مكة ٩٠٠ كم ؛ ينظر: معجم المَعَالِمِ الجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ ، ١٢٧ .

(١) هو أكيدر بن عبد الملك الكندي -من كندة- صاحب دومة الجندل مدينة بين
الشام والحجاز قرب تبوك ذكره ابن منده وأبو نعيم في الصحابة وقال: كتب إليه
النبي (ﷺ) وأرسل إليه سرية مع خالد بن الوليد ثم أسلم وأهدى إلى (ﷺ) حلة
سيرة فوهبها لعمر، وتعقب ذلك ابن الأثير فقال: إنما أهدى إلى النبي (ﷺ)
وصالحه ولم يسلم وهذا لا خلاف فيه بين أهل السير، ومن قال إنه أسلم فقد
أخطأ خطأ ظاهراً بل كان نصرانياً، ولما صالحه (ﷺ) عاد إلى حصنه وبقي فيه
ثم إنخالد بن الوليد أسره في أيام أبي بكر فقتله كافراً ؛ ينظر: السيرة النبوية لابن
هشام ، ١٨٠/٤ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٧٢/٣ ؛ والسيرة النبوية والتاريخ
الإسلامي ، ١٢٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ٤٧٢/٣ ؛ والصراع مع الصليبيين ، ١٠٠ .

(٤) جرباء وأذرح : هما قريتان بالشام بينهما ثلاث ليال، كتب لهما النبي (ﷺ) أماناً ؛
ينظر: معجم البلدان ، ١٨٧/٥؛ وذكرهم البخاري في صحيحه، كتاب الجزية،
باب: ٧٧/٦، الحديث (٣١٦١)، إن اهل (جرباء وأذرح) قد أعطوا الجزية أيضاً،
وأن (ﷺ) كتب لهم كتاباً فهو عندهم .

(٥) مقنا: هي مدينة قرب أيلة صالحهم النبي (ﷺ)، على ربع عروكهم، والعروك
حيث يصطاد عليه ، وعلى أن يعجل منهم ربع كراعهم وخلفتهم، وقال الواقدي: =

من نصارى العرب الجزية كل عام، وتخضع لسلطان المسلمين، لقد انفراد رسول الله (ﷺ) بالإمارات الواقعة في شمال الجزيرة وعقد معها معاهدات ، وبذلك أمن حدود الدولة الإسلامية الشمالية^(١)، وبهذه المعاهدات قص (ﷺ) أجنحة الروم ، فقد كانت هذه القبائل تابعة للروم ودخلوا في النصرانية ، فأقدم من أقدم منها على مصالحة رسول الله (ﷺ) والتزامها بالجزية يعد قصاً لهذه الأجنحة، وبتراً لحبال تبعيتهم للروم، وتحريراً لهم من هذه التبعية التي كانت تذلهم وتخضعهم لسلطان الروم، لينالوا من تساقط فتاتهم شيئاً يعيشون به، وخوفاً من ظلمهم لقوتهم الباطشة، وقد فوا بعهد الصلح والتزموا بأداء الجزية ، فأعطوها عن يد وهم صاغرون^(٢)، وهذه سياسة نبوية حكيمة اختطها رسول الله (ﷺ) في بناء الدولة ودعوة الناس لدين الله ، فقد استطاع أن يفصل بين المسلمين والروم بإمارات تدين للرسول بالطاعة وتخضع لحكم المسلمين، وأصبحت في زمن الخلفاء الراشدين نقاط ارتكاز سهلت مهمة الفتح الإسلامي في عهدهم ، فمنها

=صالحهم على عروكهم وربيع ثمارهم وكانوا يهوداً؛ ينظر: معجم البلدان، ١١٩/١ .

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٣٦ ؛ وقيادة الرسول السياسية والعسكرية ، لأحمد راتب عرموش ، دار النفائس ، الطبعة الأولى ، (١٩٤١ هـ/ ١٩٨٩ م) ، ٥١٤ .

(٢) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ٨٢٠ ؛ والصراع مع الصليبيين ، ١٠٢ .

انطلقت قوات المسلمين إلى الشمال ، وعليها ارتكزت لتحقيق هدفها العظيم^(١).

ولعلّ من أهم النتائج في هذه الغزوة وان لم يقع فيها قتال، هو ما سأذكره على النحو الآتي:

١- إسقاط هيبة الروم من نفوس العرب جميعاً -مسلمهم وكافرهم على السواء- لأن قوة الروم كانت في حس العرب لا تقاوم، ولا تغلب، ومن ثم فقد فزعوا من ذكر الروم وغزوهم، ولعل الهزيمة التي لحقت بالمسلمين في غزوة مؤتة كانت مؤكدة على ما ترسخ في ذهن العربي في جاهليته من أن الروم قوة لا تقهر، فكان لا بد من هذا النفير العام لإزاحة هذه الهزيمة النفسية من نفوس العرب^(٢).

٢- إظهار قوة الدولة الإسلامية كقوة وحيدة في المنطقة قادرة على تحدي القوى العظمى عالمياً -حينذاك- ليس بدافع عصبي أو عرقي، أو تحقيق أطماع زعامات معاصرة، وإنما بدافع تحريري؛ إذ تدعو الإنسانية إلى تحرير نفسها من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، ولقد حققت هذه الغزوة الغرض المرجو منها بالرغم من عدم الاشتباك الحربي مع الروم الذين آثروا الفرار شمالاً فحققوا انتصاراً للمسلمين دون قتال، حيث أخلوا مواقعهم للدولة الإسلامية،

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٣٦ ، ومختصر زاد المعاد ، ١٧٥ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٧٤/٣ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ٨٤٩ .

وترتب على ذلك خضوع النصرانية التي كانت تمد بصلة الولاء لدولة الروم مثل إمارة دومة الجندل، وإمارة إيلة وغيرها، وكتب رسول الله (ﷺ) بينه وبينهم كتاباً يحدد ما لهم وما عليهم^(١)، وأصبحت القبائل العربية الشامية الأخرى التي لم تخضع للسيطرة الإسلامية في تبوك تتعرض بشدة للتأثير الإسلامي، وبدأ الكثير من هذه القبائل يراجع موقفه ويقارن بين جدوى الاستمرار في الولاء للدولة البيزنطية أو تحويل هذا الولاء إلى الدولة الإسلامية الناشئة، ويعد ما حدث في تبوك نقطة البداية العملية للفتح الإسلامي لبلاد الشام^(٢).

٣- توحيد الجزيرة العربية تحت حكم الرسول (ﷺ) ، حيث تأثر موقف القبائل العربية من الرسول (ﷺ) والدعوة الإسلامية بمؤثرات متداخلة كفتح مكة، وخيبر، وغزوة تبوك، فبادر كل قوم بإسلامهم بعد أن امتد سلطان المسلمين إلى خطوط التماس مع الروم ثم مصالحة نصارى نجران في الأطراف الجنوبية على أن يدفعوا الجزية، فلم يعد أمام القبائل العربية إلا المبادرة الشاملة إلى اعتناق الإسلام والاتحاق بركب النبوة بالسمع والطاعة ؛ ونظراً لكثرة وفود القبائل العربية التي قدمت إلى المدينة من أنحاء الجزيرة العربية

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٨٠/٣ ؛ والرسول القائد ، ٢٨٤ .

(٢) ينظر: المسلمون والروم في عصر النبوة ، لعبد الرحمن أحمد سالم ، دار الفكر

العربي ، من دون طبعة ، (بلا/١٤١٨هـ/١٩٩٧م) ، ١٠٢ .

بعد عودة النبي (ﷺ) من غزوة تبوك لتعلن إسلامها هي ومن وراءها، فقد سمي العام التاسع للهجرة في المصادر الإسلامية بعام الوفود^(١).

سادساً : خطبته (ﷺ) بتبوك وصلاته ورجوعه

قال ابن القيم "رحمه الله"، عن خطبته (ﷺ) في تبوك وصلاته : (لما خرج رسول الله (ﷺ) في غزوة تبوك ، فاسترقد (ﷺ) ليلة لما كان منها على ليلة ، فلم يستيقظ فيها حتى كانت الشمس قيد رمح ، قال : ألم أقل لك يا بلال اكلاً لنا الفجر ، فقال: يا رسول الله ذهب بي من النوم الذي ذهب بك، فانتقل رسول الله (ﷺ) من ذلك المنزل غير بعيد ثم صلى ، ثم ذهب بقية يومه وليلته ، فأصبح بتبوك ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد! فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة

(١) عام الوفود : فقد سمي العام التاسع للهجرة في المصادر الإسلامية بعام الوفود ، وذلك لكثرة توافد القبائل في الجزيرة العربية وأسلمت أكثر القبائل المختلفة في شرقها وغربها، وشمالها ووسطها وجنوبها، كعبد القيس وتميم وطى وأسدي وبني حنيفة وهمدان والأشعريين وغيرها من قبائل العرب ، يقول ابن إسحاق : (لما افتتح رسول الله (ﷺ) مكة ، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقف، وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه فعرف هذا العام ، وهو العام التاسع من الهجرة ، بعام الوفود، لكثرة من وفد إلى النبي (ﷺ)، فكان من كمال حكمته (ﷺ) أن أحسن استقبال تلك الوفود، وتلطف في دعوتهم، وعلمهم أمور دينهم، ثم كلفهم دعوة من وراءهم، فكانوا وسيلته (ﷺ) في تبليغ أقوامهم ؛ ينظر: فتح الباري ، لابن حجر ، ٢١٦/٧ ؛ وزاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥١٨/٣ .

التقوى ... ومن يبتغ السمعة يسمع الله به، ومن يتصبر يضعف الله له،
ومن يعص الله يعذبه الله، ثم استغفر ثلاثاً (١).

وأما جمعه (ﷺ) بين الصلاتين في غزوة تبوك ، فعن معاذ بن جبل
(رضي الله عنه) انه قال: (كان النبي (ﷺ) في غزوة تبوك إذا ارتحل قبل أن تزيع
الشمس آخر الظهر حتى يجمعها إلى العصر فيصليةما جميعا، وإذا
ارتحل قبل المغرب آخر المغرب حتى يصليةا مع العشاء، وإذا ارتحل بعد
المغرب عجل العشاء فصلاها مع المغرب) (٢)، وجاء في البخاري من
حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه) ، قال : (كان النبي (ﷺ) إذا ارتحل قبل أن
تزيع الشمس آخر الظهر إلى وقت العصر، ثم يجمع بينهما، وإذا زاغت
صلى الظهر ثم ركب) (٣) .

وأما ما هم المنافقون به من الكيد لرسول الله (ﷺ) وعصمة الله
لرسوله، فعندما رجع رسول الله (ﷺ) قافلاً من تبوك إلى المدينة ، حتى إذا
كان ببعض الطريق مكر برسول الله (ﷺ) ناس من المنافقين، فتأمروا أن
يطرحوه من رأس عقبة في الطريق، فلما بلغوا العقبة أرادوا أن يسلكوها

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٧٣/٣ ؛ ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب
الشرية ، ٢٤١/٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ٤٧٥/٣ ؛ واخرجه الترمذي في سننه ، سنن الترمذي ، باب ما
جاء في الجمع بين الصلاتين ، ٤٣٢/٢ ، رقم الحديث (٥٥٣) ، قال الالباني:
حديث صحيح .

(٣) اخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب : يؤخر الظهر الى العصر
إذا ارتحل ، ٤٢/٢ ، رقم الحديث (١١١١) .

معه، فلما غشيتهم رسول الله (ﷺ) وأخبر خبرهم فقال: (من شاء منكم أن يأخذ ببطن الوادي فإنه أوسع لكم، وأخذ رسول الله (ﷺ) العقبة وأخذ الناس ببطن الوادي إلا النفر الذين هموا بالمكر برسول الله (ﷺ)، ولما سمعوا بذلك استعدوا وتلثموا، وقد هموا بأمر عظيم، وأمر رسول الله (ﷺ) حذيفة ابن اليمان وعمار بن ياسر فمشيا معه، وأمر عماراً أن يأخذ بزمام الناقة، وأمر حذيفة أن يسوقها، فبينما هم يسيرون إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوه، فغضب رسول الله (ﷺ) وأمر حذيفة أن يردهم ، وأبصر حذيفة غضب رسول الله (ﷺ) فرجع ومعه محجن، واستقبل وجوه رواحلهم، فضربها ضرباً بالمحجن، وأبصر القوم وهم متلثمون ولا يشعر إلا أن ذلك فعل المسافر، فأرعبهم الله سبحانه حين أبصروا حذيفة، وظنوا أن مكرهم قد ظهر عليه، فأسرعوا حتى خالطوا الناس، وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله (ﷺ) ، فلما أدركه قال: اضرب الراحلة يا حذيفة، وامش أنت يا عمار، فأسرعوا حتى استووا بأعلاها، فخرجوا من العقبة ينتظرون الناس، فقال النبي (ﷺ) لحذيفة : هل عرفت من هؤلاء الرهط أو الركب أحدا؟ قال حذيفة: عرفت راحلة فلان وفلان، وقال: كانت ظلمة الليل، وغشيتهم، وهم متلثمون، فقال رسول الله (ﷺ) : هل علمتم ما كان شأن الركب وما أرادوا؟ قالوا: لا والله يا رسول الله، قال: فإنهم مكروا ليسيروا معي حتى إذا اطلعت في العقبة طرحوني منها، قالوا: أولاً تأمر بهم يا رسول الله إذا

فنضرب أعناقهم؟ قال: أكره أن يتحدث الناس ويقولوا: إن محمداً قد وضع يده في أصحابه ، فساماهم لهما ، وقال اكتماهم^(١) .

وجمعهم رسول الله (ﷺ) ، وهم اثنا عشر رجلاً ، الذين حاربوا الله ورسوله وأرادوا قتله ، فأخبرهم رسول الله (ﷺ) بقولهم ومنطقهم وسرهم وعلايتهم ، وأطلع الله (ﷻ) نبيه على ذلك بعلمه ، ومات الاثنا عشر منافقين محاربين لله ولرسوله ، وذلك قوله تعالى: ﴿وَهُمْ أَيْمَانُ يَسْخَرُونَ﴾^(٢) .

وخلال رجوعه (ﷺ) الى المدينة المنورة ولما دنا منها ، قال (ﷺ): (إن بالمدينة أقواماً ، ما سرتهم مسيراً ، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم ، قالوا: يا رسول الله ، وهم بالمدينة ؟ قال: وهم بالمدينة ، حبسهم العذر)^(٣) ، فهذه المعية هي بقلوبهم وهممهم ، لا كما يظنه طائفة من الجهال أنهم معهم بأبدانهم ، فهذا محال ؛ لأنهم قالوا له : وهم بالمدينة ؟ قال: وهم بالمدينة حبسهم العذر ، وكانوا معه بأرواحهم وبيدار الهجرة بأشباحهم ، وهذا من الجهاد بالقلب ، وهو أحد مراتبه الأربع ، وهي: القلب واللسان والمال

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٧٩/٣ ؛ ورواه البيهقي في السنن الكبرى ،

٣٤٥/٨ ، رقم الحديث (١٦٨٣٩) ، وقال المحقق : حديث صحيح .

(٢) سورة التوبة ، جزء من الآية (٧٤) .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٩٩/٣ ؛ واخرجه البخاري في صحيحه ،

كتاب المغازي ، باب ، ٨/٦ ، رقم الحديث (٤٤٢٣) .

والبدن^(١)، وكما في الحديث: (جاهدوا المشركين بألسنتكم وقلوبكم وأموالكم)^(٢).

المطلب الثاني

الجانب الدعوي المفاد من غزوة تبوك

إن هذه الغزوة المباركة والتي هي الغزوة الأخيرة من غزوات النبي (ﷺ) التي قادها بنفسه ، فقد كانت حياته المباركة غنية بالدروس والجوانب الدعوية والاحكام والعبر والتي تتربى عليها أمتة في أجيالها المقبلة ، والتي تساعد على إقامة الدولة التي تحكم بشرع الله (ﷻ)، ومن هذه الغزوة المباركة التي انطوت أحداثها على دروس مهمة وجوانب دعوية عظيمة ، أستطيع ان اقف على أهم الجوانب الدعوية والتي اشار اليها ابن القيم "رحمه الله" ، وسأوجزها على النحو الآتي:

-
- (١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٣٣ ؛ وطريق الهجرتين وباب السعادتين، لمحمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار السلفية، الطبعة الثانية، (القاهرة - مصر/١٣٩٤هـ) ، ٣٥٩.
- (٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٠٠/٣ ؛ واخرجه ابو داود في سننه ، كتاب الجهاد، باب: كراهية ترك الغزو ، ١٠/٣ ، رقم الحديث (٢٥٠٤) ، قال : حديث صحيح ، وصححه الالباني في (صحيح سنن ابي داود) .

١- تصريح الإمام للرعية وإعلامهم بالأمر الذي يضرهم ستره وإخفاؤه؛ ليتأهبوا له وبعدوا له عدته ، وجواز ستر غيره عنهم والكناية عنه للمصلحة، كما فعل النبي (ﷺ) مع أصحابه في غزواته المباركة^(١).

٢- وجوب الجهاد بالمال كما يجب بالنفس، وهذه إحدى الروايتين عن أحمد، وهو الصواب الذي لا ريب فيه، فإن الأمر بالجهاد بالمال شقيق الأمر بالجهاد بالنفس في القرآن ، وقرينه ، بل جاء مقدماً على الجهاد بالنفس في كل موضع إلا موضعاً واحداً، وهذا يدل على أن الجهاد به أهم وأكد من الجهاد بالنفس، ولا ريب أنه أحد الجهادين، كما قال النبي (ﷺ) : (من جهّز غازياً فقد غزا)^(٢)، فيجب على القادر عليه كما يجب على القادر بالبدن، ولا يتم الجهاد بالبدن إلا ببذله، ولا ينتصر إلا بالعدد والعدد، فإن لم يقدر أن يكثر العدد وجب عليه أن يمد بالمال والعدة، وإذا وجب الحج بالمال على العاجز بالبدن فوجوب الجهاد بالمال أولى وأحرى^(٣).

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٣٦ ؛ ودراسات في عهد النبوة ، للدكتور عبد الرحمن الشجاع ، دار الفكر المعاصر ، الطبعة الأولى ، (صنعاء- اليمن/١٤١٩هـ / ١٩٩٩م)، ٢١٢ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب : فضل إعانة الغازي في سبيل الله ، ١٥٠٧/٣ ، رقم الحديث (١٨٩٥) .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٨٩/٣ ؛ وفقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري ، ٣٠٧/١ .

٣- ما برز به عثمان بن عفان (رضي الله عنه) من النفقة العظيمة في هذه الغزوة ، وسبق به الناس ، فقال النبي (ﷺ) : (غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت، وما أخفيت وما أبديت، ثم قال: ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم -يردها مرارا-) (١)، وكان قد أنفق ألف دينار وثلاثمائة بعير بعدتها وأحلاسها وأقتابها (٢).

٤- إن العاجز بماله لا يعذر حتى يبذل جهده ويتحقق عجزه ، فإن الله سبحانه إنما نفى الحرج عن هؤلاء العاجزين بعد أن أتوا رسول الله (ﷺ) ليحملهم فقال تعالى : ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَحْضَمُ أَعْمَلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَعَيْنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (٣)، فرجعوا ليكون لما فاتهم من الجهاد، فهذا العاجز هو الذي لا حرج عليه (٤).

٥- السياسة الحكيمة ، فإذا سلك الداعية إلى الله مسلك السياسة الحكيمة في دعوته إلى الله تعالى، فسيكون لذلك عظيم الأثر في نجاح دعوته واكتسابه الحكمة، والوصول إلى الغاية المطلوبة بإذن الله تعالى ، والنبي (ﷺ) هو أسوتنا وقدوتنا، وإمام الدعاة إلى الله

(١) سبق تخريجه ، ٢٦٣ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٩٠/٣ .

(٣) سورة التوبة ، الآية (٩٢) .

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٩٠/٣ ؛ وفقه السيرة ، لابن القيم

الجوزية ، ٣٣٦ .

(ﷺ)، قد سلك هذا المسلك ، فنفخ الله به العباد، وأنقذهم به من الشرك إلى التوحيد، وكان لسياسته الحكيمة عظيم النفع والأثر في نجاح دعوته، وإنشاء دولته، وقوة سلطانه، ورفعة مقامه، ولم يعرف في تاريخ السياسات البشرية أن رجلاً من الساسة المصلحين في أي أمة من الأمم كان له مثل هذا الأثر العظيم، ومَن من المصلحين البارزين - سواء كان قائداً محنكاً، أو مربيًا حكيمًا - اجتمع لديه من رجاحة العقل، وأصالة الرأي، وقوة العزم، وصدق الفراسة، ما اجتمع في رسول الله (ﷺ) ؟ ولقد برهن على وجود ذلك فيه : صحة رأيه، وصواب تدبيره، وحسن تأليفه، ومكارم أخلاقه (ﷺ)، فإذا قام الداعية بسلوك هذا المسلك بإخلاص، وصدق وعزيمة، اكتسب من الحكمة في الدعوة إلى الله مكتسبًا عظيمًا ، وطرق السياسة الحكيمة في الدعوة إلى الله (ﷺ) كثيرة ، فلا بد من الاستفادة منها^(١).

٦- استخلاف الإمام ، إذا سافر رجلاً من الرعية على الضعفاء والمعدورين والنساء والذرية ، ويكون نائبه من المجاهدين ؛ لأنه من أكبر العون لهم، وكان رسول الله (ﷺ) يستخلف ابن أم مكتوم فاستخلفه بضع عشرة مرة ، وأما في غزوة تبوك فالمعروف عند أهل الأثر أنه استخلف علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) كما في الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قال: (خلف رسول الله

(١) ينظر: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، ١١٣ .

(ﷺ) علياً (ﷺ) في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي (١)، ولكن هذه كانت خلافة خاصة على أهله (ﷺ)، وأما الاستخلاف العام فكان لمحمد بن مسلمة الأنصاري (ﷺ)، وبذل على هذا أن المنافقين لما أرجفوا به وقالوا: خلفه استتقلاً أخذ سلاحه ثم لحق بالنبي (ﷺ) فأخبره ، فقال: (كذبوا، ولكن خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك) (٢).

٧- إن من مر بديار المغضوب عليهم والمعذبين لم ينبغ له أن يدخلها ولا يقيم بها، بل يسرع السير ويتقنع بثوبه حتى يجاوزها، ولا يدخل عليهم إلا باكياً معتبراً ومن هذا إسرار النبي (ﷺ) السير في وادي محسر بين منى وعرفة ، فإنه المكان الذي أهلك الله فيه الفيل وأصحابه (٣).

٨- إن أهل العهد والذمة إذا أحدث أحد منهم حدثاً فيه ضرر على الإسلام انتقض عهده في ماله ونفسه، وأنه إذا لم يقدر عليه الإمام

(١) سبق تخريجه ، ٢٧٤ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٧٥/٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ٤٩١/٣ ؛ وفتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى ، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزاق الدويش ، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الإدارة العامة للطبع ، من دون طبعة ، (الرياض/بلا سنة نشر) ، ٣٩٥/٢٦ .

قدمه وماله هدر، وهو لمن أخذه، كما قال في صلح أهل أيلة :
فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وهو لمن
أخذه من الناس، وهذا لأنه بالأحداث صار محارباً حكمه حكم أهل
الحرب^(١).

٩- تركه قتل المنافقين ، وقد بلغه عنهم الكفر الصريح ، فاحتج به
من قال: لا يقتل الزنديق إذا أظهر التوبة ؛ لأنهم حلفوا لرسول الله
(ﷺ) أنهم ما قالوا ، وهذا إذا لم يكن إنكاراً فهو توبة وإقلاع ،
فالجواب الصحيح إذن، أن ترك قتلهم في حياة النبي (ﷺ) مصلحة
تتضمن تأليف القلوب على رسول الله (ﷺ) ، وجمع كلمة الناس
عليه، وكان في قتلهم تنفير، والإسلام بعد في غربة، ورسول الله
(ﷺ) أحرص على تأليف الناس، وأترك شيء لما يفرهم عن
الدخول في طاعته، وهذا أمر كان يختص بحال حياته (ﷺ)،
وكذلك ترك قتل من طعن عليه في حكمه بقوله في قصة الزبير
وخصمه: أن كان ابن عمك وفي قسمه بقوله : إن هذه لقسمة ما
أريد بها وجه الله، وقول الآخر له إنك لم تعدل ، فإن هذا محض
حقه، له أن يستوفيه، وله أن يتركه، وليس للأمة بعده ترك استيفاء
حقه، بل يتعين عليهم استيفاؤه، ولا بد ولتقرير هذه المسائل موضع
آخر، والغرض التنبيه والإشارة^(٢).

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣ / ٤٩٦ .

(٢) المصدر نفسه ، ٣ / ٤٩٨ ؛ وإعلام الموقعين عن رب العالمين ، ٣ / ١١١ .

- ١٠- إنَّ الإمام إذا بعث سرية فغنمت غنيمة ، أو أسرت أسيراً ، أو فتحت حصناً ، كان ما حصل من ذلك لها بعد تخميسه ، فإن النبي (ﷺ) قسم ما صالح عليه أكيدراً من فتح دومة الجندل بين السرية الذين بعثهم مع خالد ، وكانوا أربعمائة وعشرين فارساً ، وكانت غنائمهم ألفي بغير وثمانمائة رأس ، فأصاب كل رجل منهم خمس فرائض ، وهذا بخلاف ما إذا أخرجت السرية من الجيش في حال الغزو فأصابت ذلك بقوة الجيش ، فإن ما أصابوا يكون غنيمة للجميع بعد الخمس والنفل ، وهذا كان هديه (ﷺ) (١) .
- ١١- استماع النبي (ﷺ) مدح المادحين له وترك الإنكار عليهم ، ولا يصح قياس غيره عليه في هذا ؛ لما بين المادحين والممدوحين من الفروق ، وقد قال (ﷺ) : (احتثوا في وجوه المداحين التراب) (٢) .
- ١٢- إذا كان جبل أحد يحب النبي (ﷺ) حباً على سبيل الحقيقة لا المجاز ، والنبي (ﷺ) لم يبعث إليه ، وليس له عليه منة ظاهرة كمنته (ﷺ) على جميع الأمة ، فكيف يجب أن يكون حبنا للنبي (ﷺ) والذي شملتنا منته (ﷺ) من كل وجه ، كما أن من السنة أن نحب جبل أحد لحب النبي (ﷺ) إياه ، وجبل أحد يقع شمال

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٣٧ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزهد والرقائق ، باب : النهي عن المدح ،

٢٢٩٧/٤ ، رقم الحديث (٣٠٠٢) .

المدينة النبوية، أخبر النبي (ﷺ) أنه من جبال الجنة^(١)، فقد روى البخاري في صحيحه ، انه عندما أقبل النبي (ﷺ) من غزوة تبوك ، وإذا أشرف على المدينة قال: (هذه طابئة وهذا أحدُ جبلٍ يحبنا ونحبه)^(٢).

وقد رجح الإمام ابن حجر "رحمه الله" أن حب النبي (ﷺ) لأحد وحب الجبل له هو على حقيقته فقد قال ما نصه : (الحب من الجانبين على حقيقته وظاهره، وقد خاطبه (ﷺ) مخاطبة من يعقل فقال لما اضطرب : اسكن أحدُ)^(٣).

١٣- إنَّ السنة للقادِم من السفر أن يدخل البلد على وضوء وأن يبدأ ببيت الله قبل بيته، فيصلِّي فيه ركعتين ثم يجلس للمسلمين عليه ثم ينصرف إلى أهله^(٤).

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٣٧ ؛ وشمائل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، لأحمد بن عبد الفتاح زواوي ، دار القمة ، الطبعة الأولى، (الإسكندرية / بلا سنة نشر) ١٩٥/١ .

(٢) سبق تخريجه ، ١٤٣ .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٩٨/٣ ؛ وفتح الباري ، لابن حجر ، ٣٧٨/٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ٤٩٩/٣ ؛ والثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب ، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ) ، غراس للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، (بلا / ١٢٢٢هـ) ، ٦٢٧ .

١٤- إنَّ رسول الله (ﷺ) كان يَقْبَلُ علانية من أظهر الإسلام من المنافقين، ويكل سريره إلى الله تعالى، ويجري عليه حكم الظاهر، ولا يعاقبه بما لم يعلم من سره^(١).

١٥- إنَّ الجيش في حياة النبي (ﷺ) لم يكن لهم ديوان، وأول من دون الديوان عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه)، وهذا من سنته التي أمر النبي (ﷺ) باتباعها، وظهرت مصلحتها وحاجة المسلمين إليها^(٢).

١٦- قوله (ﷺ): (إن بالمدينة أقواماً، ما سرتهم مسيراً، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم) قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: (وهم بالمدينة، حبسهم العذر)^(٣)، فقوله: (حبسهم العذر) أي: وإلا فنيتهم الجهاد وعادتهم الخروج إليه والمعذور يكتب له العمل الذي يعتاده إذا منعه العذر، فعن ذلك قول (ﷺ): (نية المرء أبلغ من عمله)^(٤).

(١) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ٣٣٧.

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٠٤/٣.

(٣) سبق تخريجه، ٢٨٥.

(٤) فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ٣٧٠؛ ورواه ابن حبان في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشأذه من محفوظه، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان ابن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بليان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (ت: ٧٣هـ)، تعليق: أبو عبد الرحمن =

إنَّ النية المجردة من العمل يثاب عليها والعمل المجرد عن النية لا يثاب عليه فإنه قد ثبت بالكتاب والسنة وإتفاق الأئمة أن من عمل الأعمال الصالحة بغير إخلاص لله لم يقبل منه ذلك ، وقد ثبت في الصحيحين من غير وجه عن النبي (ﷺ) أنه قال : (من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة)^(١)، والهم بالحسنة إنما هو فعل العبد بقلبه دون سائر الجوارح، كذكر الله بقلبه، فالمعنى الذي به يصل الملكان الموكلان بالعبد إلى علم ما يهم به بقلبه ، ومن نوى الخير وعمل منه مقدوره وعجز عن إكماله كان له أجر عامل فهذه صورة مؤثرة للرغبة الصحيحة في الجهاد على عهد رسول الله (ﷺ)، وما كان يحسه صادقوا الإيمان من ألم إذا ما حالت ظروفهم المادية بينهم وبين القيام بواجباتهم، وكان هؤلاء المعوزون وغيرهم ممن عذر الله لمرض أو كبر سن أو غيرهما يسيرون بقلوبهم مع المجاهدين وكانوا معه بأرواحهم ویدار الهجرة بأشباحهم ، وهذا

=محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي ابن آدم ، الأشقودري الألباني ، (ت: ١٤٢٠هـ)، دار باوزير للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، (جدة-المملكة العربية السعودية/١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) ، ٢٠٤/١ ، رقم الحديث (٤٢٦٦) ، قال حديث صحيح .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٠٤/٣ ؛ واخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الايمان، باب: اذا هم العبد بحسنة كتبت ، ١١٨/١ ، رقم الحديث (١٣٠) .

من الجهاد بالقلب ، وهو أحد مراتبه الأربع ، وهي: القلب واللسان والمال والبدن ^(١).

١٧- إنَّ الرجل إذا حضرت له فرصة القربة والطاعة فالحزم كل الحزم في اغتنامها والمبادرة إليها، والعجز في تأخيرها والتسوية بها، ولا سيما إذا لم يثق بقدرته وتمكنه من أسباب تحصيلها، فإن العزائم والهمم سريعة الانتقاض قلما ثبتت ، والله سبحانه يعاقب من فتح له باباً من الخير فلم ينتهزه ، بأن يحول بين قلبه وإرادته، فلا يمكنه بعد من إرادته عقوبة له ، فمن لم يستجب لله ورسوله إذا دعاه حال بينه وبين قلبه وإرادته ، فلا يمكنه الاستجابة بعد ذلك ، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا

لِلَّهِ وَالرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ

الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢﴾ ، وقد صرح الله سبحانه

بهذا في قوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَٰئِكَ

وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٣﴾ ، وهو كثير في القرآن ^(٤).

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٠٤/٣ ، وفقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٣٨ .

(٢) سورة الانفال ، الآية (٢٤) .

(٣) سورة الانعام ، الآية (١١٠) .

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٠٤/٣ .

الفصل الثالث

الجانب الدعوي عند ابن القيم

"رحمه الله" على ضوء ذكره لأحداث

متفرقة من السيرة النبوية

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الجانب الدعوي عند ابن القيم
"رحمه الله" على ضوء ذكره لأحداث قصة
الحديبية.

المبحث الثاني: الجانب الدعوي عند ابن القيم
"رحمه الله" على ضوء ذكره لأحداث قصة هدم
مسجد الضرار، والثلاثة الذين خلفوا.

المبحث الثالث: الجانب الدعوي عند ابن القيم
"رحمه الله" من خلال ذكره لأحداث قدوم بعض
وفود العرب على النبي (ﷺ).

الفصل الثالث

الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله"

على ضوء ذكره لأحداث متفرقة

من السيرة النبوية

إنّ كتاب زاد المعاد مليئٌ بالجوانب الدعوية في ذكر سيرة خير البرية (ﷺ) وما يحمله من الأحداث الكبيرة التي غيرت الدنيا وغيرت الكثير من النفوس ، ومن خلال هذا الكتاب القيم لابن القيم "رحمه الله"، فقد وقع اختياري في هذا الفصل على أحداث مهمة أجدها مليئةً بالجوانب الدعوية، وهذه الأحداث المتفرقة والمقتبسة من أقوال ابن قيم الجوزية "رحمه الله"، فقد تطرقت لأربعة أحداث مهمة وهي قصة الحديدية وما تحمل من الأحداث والجوانب الدعوية ، وقصة هدم مسجد الضرار، وقصة الثلاثة الذين خُلّفوا ، وقصة قدوم وفود العرب على رسول الله (ﷺ)، وما فيها من دروس لا يستغني عنها داعية وطالب علم، ولقصر المقام سأذكر أربعة أحداث متفرقة فقط ، وقد جعلتها في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء

ذكره لأحداث قصة الحديدية .

المبحث الثاني : الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء

ذكره لأحداث قصة هدم مسجد الضرار ، والثلاثة الذين خلفوا .

المبحث الثالث : الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لأحداث قدوم بعض وفود العرب على النبي (ﷺ).

المبحث الأول

الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله"

على ضوء ذكره لأحداث قصة الحديبية

أدت الغزوات والسرايا العديدة التي وقعت بعد معركة الأحزاب^(١) إلى لجوء القبائل إلى السكون، والانكفاء على الذات، وترك ما كان الشيطان

(١) معركة الأحزاب: وتسمى واقعة الخندق ، حدثت في شوال سنة خمسة من الهجرة، وسببها: أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين يوم أحد، خرج أشرافهم إلى قريش بمكة يحرضونهم على غزو رسول الله (ﷺ) ووعدهم من أنفسهم النصر لهم، فأجابتهم قريش، ثم خرجوا إلى غطفان ، فاستجابوا لهم ثم طافوا في قبائل العرب يدعونهم إلى ذلك فاستجاب لهم من استجاب، فخرجت قريش - وقائدهم أبو سفيان - في أربعة آلاف، ووافقهم بنو سليم بمر الظهران، وبنو أسد، وفزارة وأشجع وغيرهم، وكان من وافى الخندق من المشركين عشرة آلاف، فلما سمع رسول الله (ﷺ) بمسيرهم إليه استشار أصحابه، فأشار عليه سلمان الفارسي (رضي الله عنه) بحفر خندق يحول بين العدو وبين المدينة، فأمر رسول الله (ﷺ) فبادر إليه المسلمون، وعمل فيه بنفسه، وكان في حفره من آيات نبوته ما قد تواتر الخبر به؛ ينظر: المغازي ، ٤٤٠/٢؛ والمختصر في أخبار البشر، ١/١٣٤ .

يزينه لهم لمهاجمة المسلمين، والعمل للقضاء على محمد (ﷺ) وصحبه، وعلموا أنه لا قبل لهم في تنفيذ ما أملوا فيه؛ ولذلك بدأت مرحلة جديدة للحركة بدعوة الله تعالى وهي مرحلة العمل خارج الجزيرة العربية وترك القبائل في سكونهم الذين يعيشون فيه ، لأن ذلك وسيلتهم للتفكير في الإسلام ، ومحمد (ﷺ) هو طريقهم إلى اعتناق الإسلام^(١).

وفي هذه الاحداث حدثت (قصة الحديبية)^(٢)، وقد سماها البعض بـ(أمر الحديبية)^(٣)، والبعض بـ(عمرة الحديبية)^(٤)، والبعض بـ(صلح الحديبية)^(٥)، وبـ(هدنة الحديبية)^(٦)، وقد سماها البخاري

(١) ينظر: الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، لمحماس بن عبد الله بن محمد الجلعود، (ت: ١٤٢٨هـ-)، دار اليقين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (بلا/ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ، ٣٠٧ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/٢٥٥؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ١٩٨ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، ٣/٣٢١؛ وشرح المواهب اللدنية للقسطاني، ٢/٢١٦ .

(٤) الدرر لابن عبد البر في اختصار المغازي والسير، ليوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي، القرطبي المالكي، أبو عمر المعروف بابن عبد البر، (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة الثانية، (القاهرة/ ١٤٠٣هـ)، ص ٢٠٤؛ وفقه السيرة، محمد الغزالي السقا، ٣٢٥ .

(٥) تاريخ خليفة بن خياط ، لأبي عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، (ت: ٢٤٠هـ)، تحقيق: الدكتور أكرم ضياء العمري، دار القلم-مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، (دمشق- بيروت/١٣٩٧هـ)، ٨١ .

(٦) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، ٣٠٧؛ وحياة الصحابة، لمحمد يوسف ابن محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي (ت: ١٣٨٤هـ)، تحقيق: الدكتور بشار =

ب(غزوة الحديبية)^(١).

وتسميتها ب(الغزوة) هو من قبيل المجاز ؛ لأن المسلمين لم يخرجوا من المدينة للقتال ، وإنما خرجوا يريدون العمرة ، كما وعدهم رسول الله (ﷺ) ، ولذلك ساقوا الهدى أمامهم ، ولبسوا إحرامهم ، ولم يأخذوا سلاحهم ، وما أخذوه من سيوف وضعوه في أغمادها ، وشبه الحديبية بالغزوة ينحصر فقط في قيادة رسول الله (ﷺ) وخروجه معهم^(٢).

وكان لزاماً عليّ أن أختار لدراستي عنواناً مناسباً لها من تلك العناوين المطروحة ، والذي اراه راجحاً أن اسميه بقصة الحديبية ، وهذا ناتجاً عن اختيار الامام ابن القيم "رحمه الله" لقصة الحديبية ، وهذا ما اراه مناسباً لدراستي :

وقد نقل ان النبي (ﷺ) اعتمر أربع عمر كلهن في ذي القعدة^(٣) ، فذكر

=عؤاد معروف، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (بيروت- لبنان/١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ١/١٧٦ .

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب : بعث النبي (ﷺ) اسامة الى الحرقات من جهينة ، ٥١٧/٧ ، حديث رقم (٤٢٧٣) ، بلفظ : عن سلمة بن الأكوع (رضي) قال: غزوت مع النبي (ﷺ) سبع غزوات ، فذكر (خير) و(الحديبية) وسماها أيضا (عمرة) .

(٢) ينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ٨٣٤ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٦٥/٣ ؛ وفي صحيح البخاري ، عن مجاهد، قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد، فإذا عبد الله بن عمر (رضي)=

منها عمرة الحديبية ^(١)، وهذا قول أكثر العلماء بأن الحديبية كانت في العام السادس من الهجرة ^(٢)، وكان معه ألف وخمسمائة ، وصح عنه أنهم نَحَرُوا عام الحديبية سبعين بدنة ، البدنة عن سبعة ، فقيل له: كم كنتم؟ قال: ألفاً وأربعمائة بخيلنا ورجلنا ^(٣).

=الله عنهما)، جالس إلى حجرة عائشة ثم قال: (كم اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم؟) قال: أربعا ، أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب : عمرة القضاء ، ١٤٢/٥ ، حديث رقم (٤٢٥٣) .

(١) الحديبية : بضم الحاء وفتح الدال وسكون الياء، وهي قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله (ﷺ) تحتها، وقيل : سميت الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع ، وتعرف الان بقرية قريبة من الشميسى ، وبعضها في الحل وبعضها في الحرم عند الجمهور ، والحديبية على (٢٢) كيلا غرب مكة على طريق جدة القديم، وهو الطريق الذي يمر بالحديبية ثم حذاء ، وبها مسجد الشجرة ، قيل إن مكانه لم يثبت، وهو اليوم مهدم، وبها بويتات يعدها الناظر، ومسجد غير مسجد الشجرة يصلى فيه، وبها مخفر للشرطة، وهي خارج الحرم غير بعيدة منه؛ ينظر: معجم المَعَالِمِ الجُغْرَافِيَّةِ في السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ، ٩٥.

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٦٥/٣ ؛ والسيرة النبوية لابن هشام ، ٣٠٨/٢.

(٣) المصدر نفسه ، ٢٦٥/٣ ؛ وصحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب : غزوة الحديبية ، ١٢٢/٥ ، رقم الحديث (٤١٢٠) .

والحديث عن قصة الحديبية يحتاج إلى دراسة احداثها والوقوف على اسبابها وحوادثها ، وهذا ما سأتناوله في المطلبين الآتيين :

المطلب الأول : ذكر اهم الاحداث من قصة الحديبية :

المطلب الثاني : الجانب الدعوي المفاد من قصة الحديبية :

المطلب الاول

ذكر اهم الاحداث في قصة الحديبية

ولكي استخرج بعض الدروس والعبر من دراستي لهذه القصة العظيمة، فلا بد أن أتعرف على اهم احداثها وبنودها، وهي على النحو الاتي :

اولاً: احداث الحديبية

رأى رسول الله (ﷺ) أنه دخل وأصحابه مكة معتمرين فدخلوا البيت، وأدوا عمرتهم، وحلقوا وقصروا رؤوسهم ، ورأى أنه أخذ مفتاح الكعبة ودخلها، ووقف بعرفة^(١)، فلما أخبر أصحابه بما رأى سررو وفرحوا لأنهم يعلمون أن رؤيا رسول الله (ﷺ) وحي لا يكذب ، فأخذوا يستعدون لهذه الرحلة المحبوبة ، حيث بها يعبدون ربهم، ويرون موطنهم، ويقابلون

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٢٥٥ ؛ والسيرة النبوية والدعوة في

العهد المدني ، ٤٨٣ .

أهلهم، عسى أن يهديهم الله تعالى^(١).

وأخذ رسول الله (ﷺ) يَعدُّ العدة لأداء العمرة ، فلما جاءه بسر بن سفيان بن عمرو الكعبي الخزاعي^(٢) مسلماً في شهر شوال سنة ست هجرية ، قال له (ﷺ): (يا بسر لا تبرح حتى تخرج معنا، فإننا إن شاء الله معتمرون)^(٣)، فأقام بسر بالمدينة وأخذ يشتري البدن لرسول الله (ﷺ)، وقد سر المسلمون لبدء حركتهم لدخول مكة لما في ذلك من أثر معنوي وهم يدخلونها بعدما طردوا منها ، وشعورهم بالنصر أمام الجميع ، وإظهار الإسلام لمن يحضر مكة في الموسم على أساس حقيقته القائمة على تحقيق السلام ، ونشر العدل ، وصيانة حرية الإنسان في الاعتقاد ، والعمل ، ولذلك بشر رسول الله (ﷺ) أصحابه برؤياه^(٤).

ومن مركز القوة الذي أحرزه المسلمون بعد الخندق ، قرر الرسول (ﷺ) أن ينطلق ليعتمر بأصحابه في مكة مستهدفاً تحقيق أهداف ثلاثة هي :

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٩٨ ؛ وشرح المواهب اللدنية

للقسطلاني ، ٢١٦/٢ .

(٢) بسر بن سفيان بن عمرو بن عويمر الخزاعي أسلم سنة ست من الهجرة ، وبعثه

النبي (ﷺ) عيناً إلى قريش، وشهد الحديبية ايضاً ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة

الأصحاب ، ١٦٦/١ .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٥٥/٣ ؛ والمغازي ، ٥٧٢/٢ .

(٤) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٩٨ ؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد

المدني ، ٤٨٤ .

١- إشعار الناس جميعاً أن علاقات الإسلام بالقوى الأخرى ليس شرطاً لها أن تظل قائمة على الحرب والعنف والقتال، وأن بالإمكان أن تسودها فترات من السلم والتهادن والتعايش المشترك على خلاف المذاهب والاتجاهات^(١).

٢- تجميد الصراع ضد قريش، ذلك الذي استغرق معظم مساحات الدرب الطويل الذي اجتازته الدعوة الإسلامية، والانتقالات إلى الجهات الأخرى لغرض التركيز عليها، سيما بعد التصعيد الذي شهده الصراع ضد اليهود من جهة، وضد البيزنطيين وحلفائهم نصارى العرب من جهة أخرى^(٢).

٣- إقرار حقيقة أن مكة ومقدساتها ليست حكراً للوثنية تمارس فيها تقاليدھا بحرية، وتسيطر على مقدراتها، فتسمح بدخولها لمن تشاء وتمنع من تشاء .. على العكس، إن المسلمين أحفاد إبراهيم (عليه السلام) أبي الحنيفة، وباني الكعبة، أحق وأجدر بدخول الحرم الآمن، وممارسة شعائرهم القائمة على التوحيد الخالص، الذي من أجله أقيم البلد الحرام في الوادي غير ذي الزرع، ثم أن المسلمين المهاجرين ورسولهم (ﷺ) لا زالوا يحتنون الى وطنهم القديم ويطوون جوانحهم -عبر سني الصراع الطويل- على الشوق العارم إلى الديار التي ولدوا فيها، وترعرعوا بين أكنافها، وآثروا دعوة الحق

(١) ينظر: والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، ٤٨٣ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢٥٦/٣ ؛

بين طرقاتها وأحيائها ، والحنين الذي كان بلال (رضي الله عنه) قد باح به
في أيام الهجرة الأولى ، والحمى تعتصره :

ألا ليت شعري هل ابیتن ليلة بفتح وحولي أنخر وجليل؟
وهل أردنّ يوماً مياه مجنة وهل تبدونّ لي شامة وطفيل؟^(١)
وها هو الرسول (ﷺ) يجيب على السؤال ويعلن - في ذي القعدة - أنه
سيتجه إلى مكة معتمراً ، لا يريد حرباً ، ويستتفر العرب وأهل البوادي من
حوله ليخرجوا معه، ويخشى أن تتعرض له قريش بحرب ، أو تصده عن
البيت^(٢) .

ثانياً: التحرك الى الحديبية

استخلف رسول الله (ﷺ) على المدينة عبد الله بن أم مكتوم (رضي الله عنه)،
ونادى أصحابه للخروج لأداء العمرة ، واستتفر العرب وأهل البوادي
ليخرجوا معه، وأمر بالبدن فأخذت إلى ذي الحليفة^(٣)، وتجهز الجميع

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، ١٦٩/٢ .

(٢) ينظر: دراسة في السيرة ، ١٨٥ .

(٣) ذو الحليفة : بضم الحاء المهملة مصغرة ، وهي قرية صغيرة تقع جنوب غرب
المدينة تبعد عن المدينة المنورة ثمانية كيلومتراً، وهي ميقات أهل المدينة وتسمى
اليوم آبار علي وهي ميقات أهل المدينة ، وهي أبعد المواقيت عن مكة وتسمى
الآن آبيار علي ، وهو منزل رسول الله (ﷺ) إذا خرج من المدينة لحج أو عمرة ،
فكان ينزل تحت شجرة في موضع المسجد الذي بذى الحليفة اليوم ؛ ينظر: معجم
البلدان ، ٢٩٥/٢ .

لأداء العمرة، إلا أن كثيرًا من الأعراب أبطئوا في الخروج معتردين بعلل واهية (١).

وخرج المسلمون في يوم الاثنين أول ذي القعدة عام ست للهجرة وبلغ عددهم ألفًا وأربعمائة في أصح الأقوال ، ومعهم أربع نسوة ، وليس معهم سلاح (٢) ، فقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): يا رسول الله ألم تخش علينا من أبي سفيان بن حرب وأصحابه ولم نأخذ للحرب عدتها ؟ فقال (رضي الله عنه): (ما أدري ولست أحب أن أحمل السلاح معتمرًا) (٣).

وقال ابن القيم "رحمه الله" : (فلما كانوا بذوي الحليفة قلد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الهدى وأشعره ، وأحرم بالعمرة ، وبعث بين يديه عينا له من خزاعة يخبره عن قريش ، حتى إذا كان قريبا من عسفان (٤) أتاه عينه فقال: إني

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٩٩ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٥٦/٣ ؛ ومرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة ، لحافظ بن محمد عبد الله الحكي ، مطابع الجامعة الإسلامية ، من دون طبعة ، (المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية ١٤٠٦ هـ) ، ١٥ .

(٣) فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٩٩ ؛ والمغازي ، ٥٧٤/٢ .

(٤) عُسْفَانُ: عسفان بضم العين وسكون السين، وفاء وألف، وآخره نون، قال ابن إسحاق: وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فتوجه إلى مكة، وهي طريقه إلى اليمن، حتى إذا كان بين عسفان وأمج، أتاه نفر من هذيل بن مدركة ، وعسفان بلدة على ٨٠ كم من مكة شمالا على الجادة إلى المدينة ، وهي مجمع =

تركت كعب بن لؤي قد جمعوا لك الأحابيش ، وجمعوا لك جموعا ، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ومانعوك ، واستشار النبي (ﷺ) أصحابه وقال: أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم، فإن قعدوا قعدوا موتورين محروبين ، وإن يجيئوا تكن عنقا قطعها الله ، أم ترون أن نؤم البيت ، فمن صدنا عنه قاتلناه؟، فقال أبو بكر: الله ورسوله أعلم ، إنما جئنا معتمرين ، ولم نجئ لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه ، فقال النبي (ﷺ) : فروحوا إذا، فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي (ﷺ): إن خالد بن الوليد بالغميم^(١) في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين ، فو الله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش ، وسار النبي (ﷺ) حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته ، فقال الناس : حل حل ، فألحت ، فقالوا : خلأت القصواء خلأت القصواء، فقال النبي (ﷺ): (ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل ، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم

=ثلاث طرق مزفتة: طريق إلى المدينة، وقبيله إلى مكة ؛ ينظر: معجم أمعالم

الجغرافية في السيرة النبوية ، ٢٠٨ .

(١) الغمام : اسم موضع مكان بين مكة والمدينة ؛ ينظر: معجم البلدان ، ٣٩٦/٤ .

إياها^(١)، ثم زجرها فوثبت به، فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية على تمد قليل الماء إنما يتبرضه الناس تبرضا، فلم يلبثه الناس أن نزحوه ، فشكوا إلى رسول الله (ﷺ) العطش، فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، قال: فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه، وفزعت قريش لنزوله عليهم، فأحب رسول الله (ﷺ) أن يبعث إليهم رجلاً من أصحابه، فدعا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ليبعثه إليهم ، فقال: (يا رسول الله ، ليس لي بمكة أحد من بني كعب يغضب لي إن أوديت ، فأرسل عثمان بن عفان فإن عشيرته بها، وإنه مبلغ ما أردت، فدعا رسول الله (ﷺ) عثمان ابن عفان (رضي الله عنه) فأرسله إلى قريش وقال: أخبرهم أننا لم نأت لقتال ، وإنما جئنا عماراً ، وادعهم إلى الإسلام ، وأمره أن يأتي رجالا بمكة مؤمنين ونساء مؤمنات فيدخل عليهم ، ويبشرهم بالفتح ، ويخبرهم أن الله (ﷻ) مظهر دينه بمكة ، حتى لا يستخفى فيها بالإيمان ، فانطلق عثمان (رضي الله عنه) فمر على قريش ببلدح^(٢) فقالوا: أين تريد؟ فقال: بعثني رسول الله (ﷺ) أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام ، وأخبركم أنا لم نأت لقتال ، وإنما جئنا عماراً ، فقالوا: قد سمعنا ما تقول، فانفذ لحاجتك ، وقام إليه أبان بن سعيد

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٥٧/٣؛ واخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشروط ، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع اهل الحرب وكتابة الشروط ، ١٩٣/٣ ، رقم الحديث (٢٧٣١) .

(٢) بَلْدَحُ : آخره حاء مهملة ، والبدال قبله : وبلدح : هو واد قبل مكة من جهة المغرب ؛ ينظر: معجم البلدان ، ٤٧٠/١ .

ابن العاص^(١) فرحب به وأسرج فرسه ، فحمل عثمان على الفرس ، وأجاره، وأردفه أبان حتى جاء مكة ، وقال المسلمون قبل أن يرجع عثمان: خلص عثمان قبلنا إلى البيت وطاف به ، فقال رسول الله (ﷺ) : (ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون ، فقالوا : وما يمنعه يا رسول الله وقد خلص؟ قال : ذاك ظني به ألا يطوف بالكعبة حتى نطوف معه)^(٢) ، واختلط المسلمون بالمشركين في أمر الصلح ، فرمى رجل من أحد الفريقين رجلاً من الفريق الآخر، وكانت معركة ، وتراموا بالنبل والحجارة ، وصاح الفريقان كلاهما ، وارتهن كل واحد من الفريقين بمن فيهم ، وبلغ رسول الله (ﷺ) أن عثمان (ﷺ) قد قتل ، فدعا إلى البيعة ، فثار المسلمون إلى رسول الله (ﷺ) وهو تحت الشجرة فبايعوه على ألا يفروا ، فأخذ رسول الله (ﷺ) بيد نفسه ، وقال : (هذه عن عثمان)^(٣) ، ولما تمت البيعة رجع عثمان ، فقال له المسلمون: اشتقيت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت؟ فقال: (بنس ما ظننتم بي ، والذي نفسي بيده لو مكثت

(١) أبان بن سعيد بن العاص الأموي قرشي من بني عبد شمس أسلم قبل خيبر، يكنى أبا سعيد، كان أحد عمال النبي (ﷺ)، توفي النبي وأبان عامله على البحرين، خرج هو وأخوه إلى الشام مجاهداً ، واستشهد بأجنادين في أيام عمر (ﷺ) ؛ ينظر : معرفة الصحابة ، ٣٢٥/١ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢٥٧/٣ ؛ وإمتاع الأسماع ، ١ / ٢٨٨ ؛ والمغازي، ٦٠٠/٢ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب : مناقب عثمان (ﷺ) ، ١٥/٥ ، رقم الحديث (٣٦٩٨) .

بها سنة ، ورسول الله (ﷺ) مقيم بالحديبية ما طفت بها حتى يطوف بها رسول الله (ﷺ)، ولقد دعنتي قريش إلى الطواف بالبيت فأبيت^(١)، فقال المسلمون : رسول الله (ﷺ) كان أعلمنا بالله وأحسننا ظناً ، وكان عمر آخذا بيد رسول الله (ﷺ) للبيعة تحت الشجرة ، فبايعه المسلمون كلهم^(٢) إلا الجد بن قيس، وكان معقل بن يسار^(٣) آخذاً بغصنها يرفعه عن رسول الله (ﷺ)، وكان أول من بايعه أبو سنان الأسدي^(٤)، وبايعه سلمة

(١) فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ١٩٩ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٥٩/٣ ؛ واخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الامارة، باب: استحباب مبايعة امام الجيش عند القتال ، ١٤٨٣/٣ ، رقم الحديث (١٨٥٦) .

(٣) معقل بن يسار بن عبد الله بن معبر بن حراق بن أبي بن كعب بن عبد ثور بن هدمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو المزني كنيته أبو عبد الله، وقيل أبو يسار، أسلم قبل الحديبية وشهد بيعة الرضوان ، ومات بها في خلافة معاوية ؛ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ، ٢٨٠/١٠ .

(٤) أبو سنان الأسدي : اسمه وهب بن عبد الله، ويقال عبد الله بن وهب، ويقال: عامر، ويقال: بل اسمه وهب ابن محصن بن حرتان ابن قيس بن مرة بن كثير ابن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، شهد أبو سنان بدرًا، وهو أول من بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وهو أسن من أخيه عكاشة ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١٦٨٤/٤ .

ابن الأكوغ^(١)، ثلاث مرات في أول الناس وأوسطهم وآخرهم^(٢).

ثالثاً: المفاوضات التي حصلت مع قريش

بعد استقرار رسول الله (ﷺ) وأصحابه في الحديبية، وإشارته (ﷺ) إلى تمني أن يخلي أهل مكة بينه وبين سائر العرب ، فبينما هم كذلك إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي^(٣) في نفر من خزاعة ، وكانوا عيبة نصح رسول الله (ﷺ) من أهل تهامة^(٤)، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي

(١) سلمة بن الأكوغ : وهو سلمة بن عمرو بن الأكوغ ، واسم الأكوغ : سنان بن عبد الله بن خزيمة بن مالك الأسلمي ، يكنى: أبا مسلم ، وتوفي سنة أربع وسبعين ؛ ينظر: معرفة الصحابة لابن مازة ، ١٣٣٩/٣ .

(٢) اخرجهم مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد ، باب : غزوة ذي قرد وغيرها ، ١٤٣٣/٣ ، رقم الحديث (١٨٠٧) .

(٣) بديل بن ورقاء بن عبد العزى بن ربيعة بن جزي بن عامر بن مازن بن عدي ، كتب إليه النبي (ﷺ) وإلى بسر ابن سفيان يدعوها إلى الإسلام، وابنه نافع بن بديل كان أقدم إسلاماً من أبيه، وشهد بديل بن ورقاء مع رسول الله (ﷺ) سبى هوازن من حنين إلى الجعرانة واستعمل عليهم بديل بن ورقاء الخزاعي ؛ ينظر: الطبقات الكبرى ، ٢٢٠/٤ ، ٢٢١ .

(٤) تهامة: قال أبو المنذر تهامة تسائر البحر، منها مكة ، قال: والحجاز ما حجز بين تهامة والعروض، وقال الشرقي بن القطامي: تهامة إلى عرق اليمن إلى أسياف البحر إلى الجحفة وذات عرق، وطرف تهامة من قبل الحجاز مدارج العرج وأول تهامة من قبل نجد ذات عرق ، وهي على ليلتين من مكة، ومن طريق العراق إلى ذات عرق هذا كله تهامة، وسميت تهامة لشدة حرّها وركود=

نزلوا أعداد مياه الحديدية معهم العوذ المطافيل^(١)، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ، قال رسول الله (ﷺ) : (إنا لم نجئ لقتال أحد ولكن جننا معتمرين، وإن قريشاً قد انهكتهم الحرب وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتهم ويخلوا بيني وبين الناس، وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا إلا القتال فو الذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره)^(٢)، قال بديل: سأبلغهم ما تقول ، فانطلق حتى أتى قريشاً ، فقال: إني قد جئتكم من عند هذا الرجل، وقد سمعته يقول قولاً، فإن شئتم عرضته عليكم ، فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشيء ، وقال ذوو الرأي منهم : هات ما سمعته، قال: سمعته يقول كذا وكذا ، فحدثهم بما قال النبي (ﷺ)، فقال عروة بن

=ريحها ؛ ينظر: معجم البلدان ، ٦٣/٢ ؛ وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ٣٦٧/٢ .

(١) العوذ المطافيل : العوذ جمع عائذ وهي النَّاقَة إذا وضعت وَبَعْدَمَا تَضَعُ أَيَّامًا حَتَّى يَقْوَى وَلَدَهَا وَالْمَطَافِيلُ جمع مَظْفَلٍ وَهِيَ النَّاقَةُ مَعَهَا فَصِيلُهَا وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ مَعَهُمُ النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانُ ، ينظر: غريب الحديث ، ١٣٤/٢ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٦١/٣ ؛ والجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ، لمحمد ابن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد أبو عبد الله الأزدي الميورقي الحميدي بن أبي نصر (ت: ٤٨٨هـ) ، تحقيق: الدكتور علي حسين البواب ، دار ابن حزم ، الطبعة الثانية ، (لبنان/ بيروت/ ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ، ٣٧٤/٣ ، افراد البخاري .

مسعود الثقفي^(١): إن هذا قد عرض عليكم خطة رشد، فاقبلوها ودعوني آتة ، فقالوا : آتته ، فأتاه فجعل يكلمه، فقال له النبي (ﷺ) نحواً من قوله لبديل ، فقال له عروة عند ذلك : أي محمد ، أرأيت لو استأصلت قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى فوالله إني لأرى وجوها وأرى أوشاباً من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك، فقال له أبو بكر (رضي الله عنه): امصص بظر اللات ، أنحن نفر عنه وندعه؟! قال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجرك بها لأجبتك ، وجعل يكلم النبي (ﷺ) وكلما كلمه أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة^(٢) (رضي الله عنه) عند رأس النبي (ﷺ) ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة إلى لحية النبي (ﷺ) ضرب يده بنعل السيف وقال: أحر يدك عن لحية رسول الله (ﷺ) ، فرفع عروة رأسه ، وقال: من ذا ؟ قالوا: المغيرة بن شعبة ، فقال: أي غدر، أولست أسعى في غدرك؟

(١) عروة بن مسعود الثقفي عم المغيرة بن شعبة بعثه رسول الله (ﷺ) داعياً إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام، فقتلوه بعد مقله من حنين، وكان صاحب قريش يوم الحديبية ، وحضر النبي (ﷺ)، فلما رجع إلى قريش، قال: إن هذا الذي عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ؛ ينظر: معرفة الصحابة ، للاصبهاني ، ٢١٨٨/٤ .

(٢) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب ابن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس، وهو ثقيف الثقفي، يكنى أبا عبد الله، أسلم عام الخندق، وقدم مهاجراً ، وتوفي سنة خمسين من الهجرة بالكوفة ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ١٤٤٦/٤ .

وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي (ﷺ) : (أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء)^(١)، ثم إن عروة جعل يرمى أصحاب رسول الله (ﷺ) بعينيه ، فوالله ما تنخم النبي (ﷺ) نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فذلك بها جلده ووجهه ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيما له ، فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك على كسرى وقيصر والنجاشي، والله ما رأيت ملكا يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضع كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له، وقد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها، فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته ، فقالوا: آته ، فلما أشرف على النبي (ﷺ) وأصحابه، قال رسول الله (ﷺ) : هذا فلان ، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له ، فابعثوها له، واستقبله القوم يلبون، فلما رأى ذلك قال: سبحان

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك أبو الحسن (ت: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد ، الطبعة الثانية، (السعودية- الرياض/١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) ، باب الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمُصَالِحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ مَعَ النَّاسِ بِالْقَوْلِ ، ١١٩/٨ ، رقم الحديث (٦٤٤) .

الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت ^(١)، فرجع إلى أصحابه فقال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت وما أرى أن يصدوا عن البيت، فقام مكرز ابن حفص ^(٢) فقال: دعوني آتته، فقالوا: آتته، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: (هذا مكرز بن حفص، وهو رجل فاجر) ^(٣)، فجعل يكلم رسول الله ﷺ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو ^(٤)، فقال النبي ﷺ: (قد سهل لكم من أمركم) ^(٥)، فقال: هات اكتب بيننا

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢٦١/٣ .

(٢) مكرز بن حفص بن الأخيف، من بني عامر بن لؤي، من قريش: شاعر جاهلي، من الفتاك، أدرك الإسلام، وقدم المدينة لما أسر المسلمون (سهيل بن عمرو) يوم بدر سنة ٢ هـ، فقال لهم: اجعلوا رجلي في القيد مكان رجليه حتى يبعث إليكم بالفداء، ففعلوا ذلك، وبعث سهيل بالفداء، فأطلق مكرز؛ ينظر: الأعلام، ٢٨٤/٧ .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢٦٢/٣؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ٢٠٠ .

(٤) سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ وَدِّ بْنِ نَصْرِ بْنِ حَسَلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَبُو يَزِيدَ الْعَامِرِيُّ، أَحَدُ خُطَبَاءِ قُرَيْشٍ وَأَشْرَافِهِمْ، أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ عَنِ عَطَاءٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَاهُ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: سَهْلٌ أَمْرُكُمْ، تَوَفَّى سَنَةَ ١٥ هـ؛ ينظر: معرفة الصحابة لابن منده، ص ٦٧٢ .

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢٦١/٣؛ وإعلام الموقعين عن رب العالمين،

٣٥١/١ .

وبينكم كتاباً، فدعا الكاتب فقال (ﷺ): (اكتب بسم الله الرحمن الرحيم)^(١)، فقال سهيل: أما الرحمن ، فوالله ما ندري ما هو، ولكن اكتب : باسمك اللهم كما كنت تكتب ، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي (ﷺ): (اكتب: باسمك اللهم)^(٢)، ثم قال (ﷺ): (اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله)^(٣)، فقال سهيل : فوالله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله ، فقال النبي (ﷺ): (إني رسول الله، وإن كذبتُموني ، أكتب : محمد بن عبد الله)^(٤)، فقال النبي (ﷺ) : (على أن تخلوا بيننا وبين البيت فطوف به)^(٥)، فقال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة^(٦)،

(١) دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، ٤/١٠٥؛ وفقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٢٠٠.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/٢٦١؛ والروض الأنف في شرح السيرة النبوية ، ٦/٤٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ٣/٢٦١؛ وسبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، ٥/٤٨ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير، باب: صلح الحديبية ، ٣/١٤٠٩ ، رقم الحديث (١٧٨٣) من حديث البراء بن عازب (رضي الله عنه) .

(٥) شرح السنة ، لمحيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغدوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ، بيروت الطبعة الثانية ، (دمشق-بيروت/١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ؛ ومختصر سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ١٨٢ .

(٦) ضُغْطَةً : أي اضطراباً ؛ ينظر: كتاب العين ، للخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي أبو عبد الرحمن البصري (ت: ١٧٠هـ) ، تحقيق: د. مهدي=

ولكن ذلك من العام المقبل فكتب، فقال سهيل: على أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، فقال المسلمون : سبحان الله ، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟! بينما هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو^(١) يرسف في قيوده ، فقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين ظهور المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي ، فقال النبي (ﷺ): (إننا لم نقض الكتاب بعد)^(٢)، فقال: فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبدا، فقال النبي (ﷺ): (فأجزه لي) ، قال: ما أنا بمجيزه لك. قال: بلى فافعل ، قال: ما أنا بفاعل ، قال مكرز: بلى قد أجزناه، فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً ، ألا ترون ما لقيت^(٣)؟! وكان قد عذب في الله عذاباً شديداً،

=المخزومي - الدكتور إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون طبعة، (بلا / بلا سنة نشر) ، ٣٦٣/٤ .

(١) أبو جندل بن سهيل بن عمرو القرشي العامري ، وَقَالَ الزُّبَيْرُ: اسم أبي جندل بن سهيل بن عمرو بن العاص بن سهيل بن عمرو، أسلم بمكة فطرحه أبوه في حديد، فلما كَانَ يوم الحديدِية جاء يرسف في الحديد إلى رَسُولِ الله (ﷺ)؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ١٦٢١/٤ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣ / ٢٦٢ ؛ ومختصر سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ٣٠٥ .

(٣) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لأحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني أبو=

قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، فأتيت النبي (صلى الله عليه وسلم) فقلت : يا رسول الله ، ألسنت نبي الله حقا ؟ قال : بلى ، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال : بلى ، فقلت : علام نعطي الدنيا في ديننا إذا ورجع ولما يحكم الله بيننا وبين أعدائنا؟ فقال : (إني رسول الله وهو ناصري ولست أعصيه ، قلت : أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت ونطوف به؟ قال : بلى ، أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟ قلت : لا ، قال : فإنك آتية ومطوف به ، قال فأتيت أبا بكر ، فقلت له كما قلت لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ورد علي أبو بكر ، كما رد علي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سواء ، وزاد : ... فاستمسك بغيره حتى تموت فوالله إنه لعلى الحق ، قال عمر (رضي الله عنه) ، فعملت لذلك أعمالا (١).

=العباس تقي الدين الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، (دمشق/١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، ٦٩ .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٢٦٤ ؛ ورواه ابن حبان في كتابه صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم ، الدارمي ، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، (بيروت/١٤١٤هـ) ، باب المواعدة والمهادنة ، ١١/٢١٦ ، رقم الحديث (٤٨٧٢) ، قال الالباني: حديث صحيح ، وقال شعيب الارنؤوط : صحيح .

رابعاً: بنود صلح الحديبية

رأى القرشيون أن إطالة الأمر يسيء إليهم عند العرب الذين جاءوا مكة للحج والعمرة فأرسلوا رجالهم للصلح مع رسول الله (ﷺ)، وهم سهيل ابن عمرو، وحويطب، ومكرز، وجلس الثلاثة مع رسول الله (ﷺ)، فقال سهيل: يا محمد، إن هذا الذي كان من حبس أصحابك، وما كان من قتال من قاتلك، لم يكن من رأي ذوي رأينا، بل كنا له كارهين حين بلغنا ولم نعلم به، وكان من سفهائنا، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أول مرة والذين أسرت آخر مرة^(١)، قال (ﷺ): (إني غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابي)^(٢)، قال سهيل: أنصفتنا، فبعث سهيل ومن معه إلى قريش بالشتم ابن عبد مناف التيمي^(٣) فبعثوا بمن كان عندهم، وهم: عثمان، وعشرة من المهاجرين، وأطلق رسول الله (ﷺ) سراح من كانوا عنده من الأسرى وأرسلهم إلى مكة^(٤)، وبعد ذلك أخذوا في مناقشة الموضوع من كافة جوانبه، وأطالوا الكلام والمراجعة ثم اتفقوا على الصلح^(٥).

قال ابن القيم "رحمه الله": (... وجرى الصلح بين المسلمين وأهل مكة على وضع الحرب عشر سنين، وأن يأمن الناس بعضهم من بعض، وأن

(١) ينظر: إمتاع الأسماع ، ٢٩١/١ ؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ،

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٦٤/٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ٢٦٤/٣ .

(٤) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٢٠١ .

(٥) ينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ٤٩١ .

يرجع عنهم عامه ذلك ، حتى إذا كان العام المقبل قدمها وخلوا بينه وبين مكة فأقام بها ثلاثاً، وأن لا يدخلها إلا بسلاح الراكب والسيوف في القرب، وأن من أتانا من أصحابك لم نرده عليك، ومن أتاك من أصحابنا رددته علينا، وأن بيننا وبينك عيبة مكفوفة، وأنه لا إسلال ولا إغلال، فقالوا: يا رسول الله، نعطيهم هذا؟ فقال (ﷺ): من أتاهم منا فأبعده الله ، ومن أتانا منهم فرددناه إليهم جعل الله له فرجاً ومخرجاً (١).

وقد كتب وثيقة الصلح علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، ووقع عليها رسول الله (ﷺ)، وسهيل بن عمرو وشهد عليها من المسلمين : أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعثمان بن عفان، وأبو عبيدة بن الجراح، ومحمد بن مسلمة (رضي الله عنه)، ومن المشركين : حويطب بن عبد العزى ، ومكرز ابن حفص بن الأحيق ، وكتبت الوثيقة من نسختين احتفظ رسول الله (ﷺ) بواحدة وأعطى سهيلاً الأخرى (٢).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٢٦٥/٣؛ واخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: صلح الحديبية في الحديبية، ١٤١١/٣، رقم الحديث (١٧٨٤) .

(٢) المصدر نفسه ، ٢٦٥/٣ ؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، ٤٩٢ .

خامسًا: موقف المسلمين بعد توقيع الصلح

بعد توقيع وثيقة الصلح ، وإشهارها بين الناس، دخلت خزاعة في عهد رسول الله (ﷺ) ودخلت بكر في عهد قريش، وكان هذا أول اختبار للالتزام الأطراف بالصلح الذي اتفقوا عليه^(١) .

رحب رسول الله (ﷺ) ببني خزاعة ، وكره ذلك القرشيون ، فقال حويطب لسهيل: بادأنا أحوالك بالعداوة ، وكانوا يتسترون منا، قد دخلوا في عقد محمد وعهده ، فقال سهيل: (ما هم إلا كغيرهم ، هؤلاء أقاربنا ولحمتنا، قد دخلوا مع محمد، قوم اختاروا لأنفسهم أمرًا فما نصنع بهم؟ قال حويطب: نصنع بهم أن ننصر عليهم حلفاءنا بني بكر، قال سهيل: إياك أن تسمع هذا منك بنو بكر، فإنهم أهل شؤم، فيقعوا بخزاعة، فيغضب محمد لحلفائه، فينتقض العهد بيننا وبينه، فرجع سهيل وصاحباؤه إلى قريش)^(٢) .

قال ابن القيم "رحمه الله" : (فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله (ﷺ) : قوموا فانحروا ثم احلقوا^(٣)، فوالله ما قام منهم رجل واحد حتى قال

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٢٦٦؛ وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين بن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت: ٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني- وصفوة السقاء، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، (بلا/١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ٤/٣٦٦ .

(٢) مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة ، ١٧٣ .

(٣) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٢٠٣ .

ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد قام فدخل على أم سلمة (رضي الله عنها)، فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة (ﷺ) يا رسول الله: أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه ، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غماً^(١).

ثم جاءه نسوة مؤمنات ، فأنزل الله (ﷻ): ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِنَّهِنَّ ۗ إِنِ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْحَعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهِنَّ جُلٌ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَايَنْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفِرِ وَسَأَلُوا مَّا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۗ﴾^(٢) ، فطلق عمر (ﷺ) يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك ، فتزوج إحداهما معاوية والأخرى صفوان بن أمية ، ثم رجع إلى المدينة^(٣)، وفي مرجعه أنزل الله (ﷻ) عليه : ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٦٧/٣ ؛ ومرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة ، ١٧٤ .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية (١٠) .

(٣) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٢٠٣ .

مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿١﴾ ، فقال عمر (رضي الله عنه): أوفتح هو يا رسول الله؟ قال: (نعم) ، فقال الصحابة : هنيئاً لك يا رسول الله؟ (٢) ، فأُنزل الله (ﷺ): ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرْدَادُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣﴾ ، ولما رجع إلى المدينة جاءه أبو بصير (٤) - رجل من قريش - مسلماً ، فأرسلوا في طلبه رجلين ، وقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا جيداً، فاستله الآخر، فقال: أجل والله إنه لجيد، لقد جربت به ثم جربت ، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه به حتى برد ، وفر الآخر يعدو حتى بلغ المدينة، فدخل المسجد، فقال رسول الله (ﷺ) حين رآه: (لقد رأى هذا ذعرا) (٥) ، فلما انتهى إلى

(١) سورة الفتح ، الآيات (١-٣) .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٦٧/٣ .

(٣) سورة الفتح ، الآية (٤) .

(٤) ابو بصير: هو عتبة بن أسيد بن جارية الثقفي يكنى أبا بصير، كان من

المحبوسين بمكة ، فانفلت منهم في الهدنة بعد القضية ، فأتى النبي (ﷺ)

بالمدينة، وسماه مسعر بن حرب ، فكتب فيه الأخنس بن شريق ، وأزهر بن عبد

عوف ، فرده رسول الله (ﷺ) ؛ ينظر: معرفة الصحابة ، للأصفهاني، ٢١٣٢/٤ .

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٦٧/٣؛ وشرح صحيح البخاري لابن بطال ،

باب هل للأسير ان يقتل او يخدع الذين اسروه حتى ينجو من الكفرة ، ١٧٧/٥ ،

رقم الحديث (٨/٨٤٤) .

النبي (ﷺ) قال: قتل والله صاحبي، وإني لمقتول ، فجاء أبو بصير ، فقال: يا نبي الله ، قد والله أوفى الله ذمتك ، قد رددتني إليهم فأنجاني الله منهم ، فقال النبي (ﷺ) : (ويل أمه مسعر حرب ، لو كان له أحد)^(١) ، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر^(٢) ، وبنفقت منهم أبو جندل بن سهيل ، فالحق بأبي بصير ، فلا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير ، حتى اجتمعت منهم عصابة ، فوالله لا يسمعون بغير لقريش خرجت إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبي (ﷺ) تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم ، فمن أتاه منهم فهو آمن ، فأنزل الله (ﷻ) : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾^(٣) ، وكانت حميتهم أنهم لم يقرّوا أنه نبي الله ، ولم يقرّوا ببسم الله الرحمن الرحيم ، وحالوا بينهم وبين البيت...^(٤) ، حبسهم العذر^(٥) .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٦٧/٣ .

(٢) سيف البحر - بكسر السين - : ساحلية ، ناحية العيص - بكسر العين وسكون التحتية - : قرية عامرة تقع في شمال المدينة المنورة ، وتبعد عن المدينة المنورة (٣٢٠) كيلومترا ، ولا تزال تعرف بهذا الاسم ؛ ينظر : المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ، لمحمد بن محمد حسن شرّاب ، دار القلم - الدار الشامية ، الطبعة الأولى ، (بيروت - دمشق/١٤١١هـ) ، ٢٠٤ .

(٣) سورة الفتح ، من الآية (٤٢)

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٦٨/٣ ؛ والحديث بطوله أخرجه البخاري ، كتاب الشروط ، كما تقدم ، رقم الحديثان (٢٧٣١) (٢٧٣٢) ، ٢٣٩ .

(٥) المصدر نفسه ، ٢٦٨/٣ .

المطلب الثاني

الجانب الدعوي المفاد من قصة الحديبية

لقد انطوت قصة الحديبية على احداث عظيمة وجوانب دعوية كبيرة ، قد ذكرها ابن القيم "رحمه الله" ، وقال عنها: (وهي أكبر وأجل من أن يحيط بها إلا الله الذي أحكم أسبابها، فوقعت الغاية على الوجه الذي اقتضته حكمته وحمده)^(١).

ومن هذه القصة العظيمة استطيع ان اقف على كم كبيرٍ من الجوانب الدعوية ، والتي اوجزها على النحو الاتي :

١- إن هدنة صلح الحديبية كان مقدمة بين يدي الفتح الأعظم الذي أعز الله به رسوله وجنده ، ودخل الناس به في دين الله أفواجا ، فكانت هذه الهدنة باباً له ومفتاحاً ومؤذناً بين يديه ، وهذه عادة الله سبحانه في الأمور العظام التي يقضيها قدراً وشرعاً أن يوطئ لها بين يديها مقدمات وتوطئات تؤذن بها وتدل عليها^(٢).

٢- إن هذه الهدنة كانت من أعظم الفتوح ؛ فإن الناس أمن بعضهم بعضاً ، واختلط المسلمون بالكفار ، وبادؤوهم بالدعوة وأسمعوهم

(١) المصدر السابق ، ٢٦٨/٣ .

(٢) ينظر: وفقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٢٠٥ ؛ ومرويات غزوة الحديبية جمع وتخریج ودراسة ، ١٨٢ .

القرآن ، وناظروهم على الإسلام جهرة آمنين، وظهر من كان
مختفياً بالإسلام، ودخل فيه في مدة الهدنة من شاء الله أن يدخل،
ولهذا سماه الله فتحاً مبيناً ، فيجب عليك أيها المسلم أن تعتقد أن
الله في كل ما شرع لعباده من أمر أو نهي وإباحة فهي حكمة
بالغة علمها من علمها وجهلها من جهلها تظهر لبعضهم وتخفى
على آخرين ، ولذلك فالواجب على المسلم حقا أن يبادر إلى طاعة
الله ولا يتكأ في ذلك حتى تتبين له الحكمة فإن ذلك مما ينافي
الإيمان الذي هو التسليم المطلق للشارع الحكيم^(١)، ولذا قال الله
(ﷻ) في القرآن الكريم: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا
شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا ﴾^(٢).

٣- استحباب مغايظة أعداء الله ؛ فإن النبي (ﷺ) أهدى في جملة
هذيه جملاً لأبي جهل في أنفه برة من فضة يغيط به المشركين،
وقد قال تعالى في صفة النبي (ﷺ) وأصحابه: ﴿ وَمَثَلُهُ
فِي الْإِنجِيلِ كَرِزِّعٍ أَخْرَجَ شَطْعَهُ، فَفَازَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ، يُعْجِبُ
الرِّزَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣ / ٢٦٨ .

(٢) سورة النساء ، الآية (٦٥) .

وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾ ، وَقَالَ اللَّهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يُرِغِبُوا أَنْفُسَهُمْ عَنْ نَفْسِهِ ؕ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا لَكَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ﴿٢﴾ .

٤- إِنَّ أمير الجيش ينبغي له أن يبعث العيون أمامه نحو العدو (٣) .
 ٥- إِنَّ الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة ؛ لأن عينه الخزاعي كان كافراً إذ ذاك ، وفيه من المصلحة أنه أقرب إلى اختلاطه بالعدو وأخذة أخبارهم (٤) .

٦- استحباب مشورة الإمام رعيته وجيشه استخراجاً لوجه الرأي واستطابة لنفوسهم ، وأما لعنتهم وتعرفاً لمصلحة يختص بعلمها بعضهم دون بعض ، وامتنالاً لأمر الرب في قوله تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ ﴿٥﴾ ،

(١) سورة الفتح ، الآية (٢٩) .

(٢) سورة التوبة ، الآية (١٢٠) .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٦٨/٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ٢٦٨/٣ ؛ وفقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٢٠٦ .

(٥) سورة ال عمران ، جزء من الآية (١٥٩) .

وقد مدح سبحانه وتعالى عباده بقوله : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ (١) .

٧- رد الكلام الباطل ، ولو نسب إلى غير مكلف ، فإنهم لما قالوا : خلأت القصواء، يعني حرننت وألحت فلم تسر، والخلاء في الإبل بكسر الخاء والمد، نظير الحران في الخيل ، فلما نسبوا إلى الناقة ما ليس من خلقها وطبعها رده عليهم، فقال (ﷺ): (ما خلأت وما ذاك لها بخلق)^(٢)، ثم أخبر (ﷺ) عن سبب بروكها، وأن الذي حبس الفيل عن مكة حبسها للحكمة العظيمة التي ظهرت بسبب حبسها وما جرى بعده^(٣).

٨- جواز الحلف ، بل استحبابه على الخبر الديني الذي يريد تأكيده ، وقد حفظ عن النبي (ﷺ) الحلف في أكثر من ثمانين موضعاً ، وأمره الله تعالى بالحلف على تصديق ما أخبر به في ثلاثة مواضع: في (سورة يونس)، و(التغابن)، و(سبأ)^(٤)، قال تعالى:

(١) سورة الشورى ، جزء من الآية (٣٨) .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٦٨/٣ ؛ وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ) ، تحقيق: خليل شحادة ، دار الفكر، الطبعة الثانية، (بيروت/١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ٤٤٧/٢ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٦٩/٣ .

(٤) ينظر: بعض فوائد صلح الحديبية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الثاني عشر)، لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي =

﴿ وَيَسْتَنِيهِونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُّ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ (١)،

وقال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْثُوا قُلُّ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّهُمْ لِنُبْنُونَ بِمَا

عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٢)، وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا

السَّاعَةُ قُلُّ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ ﴾ (٣).

٩- إنَّ المشركين وأهل البدع والفجور والبغاة والظلمة إذا طلبوا أمرا يعظمون فيه حرمة من حرمت الله تعالى ، أجيئوا إليه ، وأعطوه وأعينوا عليه ، وإن منعوا غيره فيعاونون على ما فيه تعظيم حرمت الله تعالى ، لا على كفرهم وبغيهم ، ويمنعون مما سوى ذلك ، فكل من التمس المعاونة على محبوب لله تعالى مرضٍ له ، أوجب إلى ذلك كائناً من كان ، ما لم يترتب على إعانته على ذلك المحبوب مبعوض لله أعظم منه ، وهذا من أدق المواضع وأصعبها وأشقها على النفوس ، ولذلك ضاق عنه من الصحابة من ضاق ، وقال عمر (رضي الله عنه) ما قال ، حتى عمل له أعمالاً بعده ،

=النجدي (ت: ١٢٠٦هـ)، تحقيق: ناصر بن سعد الرشيد، جامعة الإمام محمد ابن سعود ، من دون طبعة ، (الرياض- المملكة العربية السعودية/ بلا سنة نشر) ، ٦ .

(١) سورة يونس ، الآية (٥٣) .

(٢) سورة التغابن ، الآية (٧) .

(٣) سورة سبأ ، جزء من الآية (٣) .

والصديق تلقاه بالرضا والتسليم ، حتى كان قلبه فيه على قلب رسول الله (ﷺ) ، وأجاب عمر (رضي الله عنه) عما سأل عنه من ذلك بعين جواب رسول الله (ﷺ)، وذلك يدل على أن الصديق (رضي الله عنه) أفضل الصحابة وأكملهم وأعرفهم بالله تعالى ورسوله ، وأعلمهم بدينه وأقومهم بمحابه وأشدهم موافقة له، ولذلك لم يسأل عمر (رضي الله عنه) عما عرض له إلا رسول الله (ﷺ) وصديقه خاصة دون سائر أصحابه^(١).

١٠- جواز ابتداء الإمام بطلب صلح العدو، إذا رأى المصلحة للمسلمين فيه ، ولا يتوقف ذلك على أن يكون ابتداء الطلب منهم^(٢).

١١- إن في قيام المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) على رأس رسول الله (ﷺ) بالسيف - ولم يكن عادته أن يقام على رأسه وهو قاعد - سنة يقتدى بها عند قدوم رسل العدو من إظهار العز والفخر وتعظيم الإمام وطاعته ووقايته بالنفوس، وهذه هي العادة الجارية عند قدوم رسل المؤمنين على الكافرين، وقدوم رسل الكافرين على المؤمنين، وليس هذا من هذا النوع الذي ذمه النبي (ﷺ) بقوله: (من أحب

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/ ٢٦٩ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٢٠٦ .

أن يتمثل له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده من النار) (١)، وكما أن
الفخر والخيلاء في الحرب ليسا من هذا النوع المذموم في غيره ،
وفي بعث البدن في وجه الرسول الآخر دليل على استحباب
إظهار شعائر الإسلام لرسول الكفار (٢).

١٢- إن في قول النبي (ﷺ) للمغيرة : (أما الإسلام فأقبل ، وأما
المال فلست منه في شيء) (٣)، دليل على أن مال المشرك
المعاهد معصوم ، وأنه لا يملك بل يرد عليه ؛ فإن المغيرة كان قد
صحابهم على الأمان ثم غدر بهم وأخذ أموالهم، فلم يتعرض النبي
(ﷺ) لأموالهم ولا ذب عنها ، ولا ضمنها لهم ؛ لأن ذلك كان قبل
إسلام المغيرة (٤).

١٣- وفي قول الصديق (رضي الله عنه) لعروة : أمصص بظر اللات ، دليل
على جواز التصريح باسم العورة إذا كان فيه مصلحة تقتضيها تلك

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب : اثم من كذب على النبي
(ﷺ) ، ٣٣/١ ، رقم الحديث (١٠٧) ؛ وصحيح الجامع الصغير وزياداته ،
لمحمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم أبو عبد الرحمن ،
الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ) ، المكتب الإسلامي ، من دون طبعة ، (بلا /
بلا سنة نشر) ، ١٠٣٣/٢ ، رقم الحديث (٥٩٥٢) .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٧٠/٣ .

(٣) سبق تخريجه ، ٣١٦ .

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٧١/٣ .

الحال ، كما أذن النبي (ﷺ) أن يصرح لمن ادعى ادعاء الجاهلية
بهن أبيه ، فلكل مقام مقال^(١).

١٤- احتمال قلة أدب رسول الكفار وجهله وجفوته ، ولا يقابل على
ذلك ؛ لما فيه من المصلحة العامة ، ولم يقابل النبي (ﷺ) عروة
على أخذه بلحيته وقت خطابه ، وإن كانت تلك عادة العرب ، لكن
الوقار والتعظيم خلاف ذلك^(٢).

١٥- استحباب التفاؤل ، وأنه ليس من الطيرة المكروهة ؛ لقوله (ﷺ)
لما جاء سهيل (سهل أمركم)^(٣).

١٦- إن مصالحة المشركين ببعض ما فيه ضيم على المسلمين جائزة
للمصلحة الراجحة ، ودفع ما هو شر منه ، ففيه دفع أعلى
المفسدتين باحتمال أدناهما^(٤).

١٧- إن من حلف على فعل شيء أو نذره أو وعد غيره به ، ولم
يعين وقتاً ، لا بلفظه ولا بنيته ، لم يكن على الفور ، بل على
التراخي^(٥).

(١) ينظر : مختصر زاد المعاد ، ١٥٧ ؛ وبعض فوائد صلح الحديبية ، ١٤ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٢٠٨ ؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز
لتاريخ الخلافة الراشدة ، ٢٣٩ .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٧٢/٣ .

(٤) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٢٠٨ ؛ ومختصر زاد المعاد ، ١٥٨ .

(٥) المرجع نفسه ، ٢٠٨ ؛ وبعض فوائد صلح الحديبية ، ١٦ .

١٨- إنَّ الأصل مشاركة أمته له في الأحكام، إلا ما خصه الدليل،
ولذلك قالت أم سلمة: (اخرج ولا تكلم أحدا حتى تحلق رأسك
وتحذر هديك)^(١)، وعلمت أن الناس سيتابعونه^(٢).

فإن قيل : فكيف فعلوا ذلك اقتداءً بفعله ولم يمتثلوه حين أمرهم به؟
قيل: هذا هو السبب الذي لأجله ظن من ظن أنهم أخرجوا الامتثال طمعاً
في النسخ ، فلما فعل النبي (ﷺ) ذلك علموا حينئذ أنه حكم مستقر غير
منسوخ ، وقد تقدم فساد هذا الظن، ولكن لما تغيظ عليهم وخرج ولم
يكلمهم وأراهم أنه بادر إلى امتثال ما أمر به ، وأنه لم يؤخر كتأخيرهم ،
وأن اتباعهم له وطاعتهم توجب اقتداءهم به، بادروا حينئذ إلى الاقتداء به
وامتثال أمره^(٣).

١٩- جواز صلح الكفار على رد من جاء منهم إلى المسلمين ، وألا
يرد من ذهب من المسلمين إليهم، هذا في غير النساء، وأما النساء
فلا يجوز اشتراط ردهن إلى الكفار، وهذا موضع النسخ خاصة في
هذا العقد بنص القرآن ، ولا سبيل إلى دعوى النسخ في غيره بغير
موجب^(٤) .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٧٣/٣ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٢١٢ ؛ ومرويات غزوة الحديبية جمع
وتخريج ودراسة، ١٩٥ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٢١٢ ؛ وتاريخ خليفة بن خياط ، ٨٩ .

(٤) المرجع السابق ، ٢١٣ ؛ وبعض فوائد صلح الحديبية ، ٢٦ .

٢٠- إنَّ رد من جاء من الكفار إلى الإمام لا يتناول من خرج منهم مسلماً إلى غير بلد الإمام ، وأنه إذا جاء إلى بلد الإمام لا يجب عليه رده بدون الطلب ؛ فإن النبي (ﷺ) لم يرد أبا بصير حين جاءه ، ولا أكرهه على الرجوع، ولكن لما جاءوا في طلبه مكنهم من أخذه ولم يكرهه على الرجوع^(١).

٢١- إنَّ المعاهدين إذا تسلموه وتمكنوا منه فقتل أحداً منهم لم يضمنه بدية ولا قود، ولم يضمنه الإمام ، بل يكون حكمه في ذلك حكم قتله لهم في ديارهم ، حيث لا حكم للإمام عليهم ؛ فإن أبا بصير قتل أحد الرجلين المعاهدين بذي الحليفة ، وهي من حكم المدينة ، ولكن كان قد تسلموه وفصل عن يد الإمام وحكمه^(٢).

٢٢- إنَّ المعاهدين إذا عاهدوا الإمام فخرجت منهم طائفة، فحاربتهم وغنمت أموالهم، ولم يتحيزوا إلى الإمام، لم يجب على الإمام دفعهم عنهم ومنعهم منهم، وسواء دخلوا في عقد الإمام وعهده ودينه أو لم يدخلوا، والعهد الذي كان بين النبي (ﷺ) وبين المشركين لم يكن عهداً بين أبي بصير وأصحابه وبينهم، وعلى هذا فإذا كان بين بعض ملوك المسلمين وبعض أهل الذمة من

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٢٧٥ ؛ وتاريخ خليفة بن خياط ، ٩٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ٣/٢٧٥ ؛ ومرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة ، ١٩٨ .

النصارى وغيرهم عهد جاز لملك آخر من ملوك المسلمين أن يغزوهم ويغنم أموالهم إذا لم يكن بينه وبينهم عهد^(١).

المبحث الثاني

الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لأحداث قصة هدم مسجد الضرار، والثلاثة الذين خلفوا

عاد النبي (ﷺ) إلى المدينة بعد أن مكث في تبوك عشرين ليلة^(٢) كما ذكرنا، وقد أمر النبي (ﷺ) بهدم مسجد الضرار الذي بناه المنافقون أثناء رجوعه إلى المدينة، ولما اقترب من المدينة خرج الصبيان إلى ثنية الوداع يتلقونه، ودخل المدينة، فصلّى في مسجده ركعتين ثم جلس للناس، وجاء المخلفون لرسول الله (ﷺ) يقدمون له الاعتذار، وكانوا أربعة أصناف: فمنهم من له أضرار شرعية وعذرهم الله- سبحانه وتعالى-، ومنهم من ليس

(١) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ٢١٣؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، ٨٢٩.

(٢) ينظر: صحيح السيرة النبوية، للألباني، ٢١٤.

له أعداء شرعية وتاب الله عليهم، ومنهم من منافقي الأعراب الذين يسكنون حول المدينة، ومنهم من منافقي المدينة^(١).

وهذه الأحداث مرتبطة مع أحداث غزوة تبوك التي مرت بنا ، ولأهميته وأهمية ما تحمله من الجوانب الدعوية سوف أقف على أهم أحداثها ، وهذا ما سأتناوله من خلال هذا المبحث على ذكر قصة مسجد الضرار ، وقصة الثلاثة الذين خلفوا وما فيهما من الجوانب الدعوية ، وسيكون هذا من خلال المطالبين الآتين:

- المطلب الأول : الجانب الدعوي المفاد من قصة هدم مسجد الضرار .
- المطلب الثاني : الجانب الدعوي المفاد من قصة الثلاثة الذين خلفوا .

المطلب الأول

الجانب الدعوي المفاد من قصة

هدم مسجد الضرار

لقد نهى الله (ﷺ) رسوله الامين أن يقوم -أي ان يصلي- في مسجد الضرار، فأرسل النبي (ﷺ) أصحابه الى ذلك المسجد فهدموه وحرقوه ، فلا بد لنا ان نتعرف على اهم أحداث هذه القصة واهم الجوانب الدعوية المستفادة منها ، وهي على النحو الآتي:

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٢٩ .

أولاً : ذكر اهم الاحداث في قصة مسجد الضرار وهدمه

قال ابن القيم "رحمه الله" : (... فلما أقبل رسول الله ﷺ من تبوك ، حتى نزل بذي أوان^(١)، وبينها وبين المدينة ساعة ، وكان أصحاب مسجد الضرار أتوه وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله إنا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليله المطيرة الشتائية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فقال: اني على جناح سفر وحال شغل، ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم فصلينا لكم فيه، فلما نزل بذي أوان جاءه خبر المسجد من السماء، فدعا مالك بن الدخشم^(٢) أخا بني سلمة بن عوف، ومعن ابن عدي العجلاني^(٣)، فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه

(١) ذو أوان : ويقال: ذات أوان ، موضع بطريق الشام ، على ساعة من المدينة ؛ ينظر : معجم البلدان ، ٢٧٥/١ ؛ ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، ٣٣ .

(٢) مالك بن الدخشم بن مرضخة بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج، قالوا: وشهد مالك بدرأ وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وبعثه رسول الله ﷺ من تبوك مع عاصم بن عدي فأحرقا مسجد الضرار في بني عمرو بن عوف بالنار، وتوفي مالك وليس له عقب ؛ ينظر: تاريخ ابن يونس المصري ، لعبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي ، أبو سعيد (ت: ٣٤٧هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، (بيروت/١٤٢١هـ) ، ٥٥٦/٢ .

(٣) معن بن عدي بن الجد بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة بن حرام ، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار ، وقتل يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر سنة اثنتي عشرة ، وشهد معن بدرأ وأحدا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ؛ ينظر الطبقات الكبرى ، ٣٥٤/٣ .

وحرقاه، فخرجا مسرعين، حتى أتيا بني سالم بن عوف، وهم رهط مالك ابن الدخشم، فقال مالك لمعن: أنظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلي، ودخل إلى أهله فأخذ سعفا من النخل فأشعل فيه ناراً، ثم خرja يشتدان حتى دخلاه، وفيه أهله، فحرقاه وهدماه، فتفرقوا عنه، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا نَقُومُ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ (١)، إلى آخر القصة (٢).

وسبب نزول هذه الآيات الكريمات: أنه كان بالمدينة - قبل مقدم رسول الله (ﷺ) إليها - رجل من الخزرج يقال له أبو عامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير، فلما قدم رسول الله (ﷺ) مهاجراً إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يوم بدر، انهزم اللعين أبو عامر إلى ناحية الشرق، وبارز بالعداوة وظاهر بها، وخرج فاراً إلى كفار مكة من مشركي قريش يمالئهم على حرب رسول الله (ﷺ)، فاجتمعوا بمن وافقهم في أحياء العرب فكان

(١) سورة التوبة، الآيتان (١٠٧، ١٠٨).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٨٠/٣.

من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم الله (ﷻ)، وكانت العاقبة للمتقين، وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفيين فوق في إحداهن رسول الله (ﷺ) وأصيب ذلك اليوم فجرح وكسرت رباعيته اليمنى والسفلى، وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه ، كما ذكرنا في غزوة أحد، وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخطبهم، واستمالهم إلى نصره وموافقته، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعم الله بك عينا يا فاسق يا عدو الله ، ونالوا منه وسبوه، فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شر، وكان رسول الله (ﷺ) قد دعاه إلى الله قبل فراره وقرأ عليه القرآن، فأبى أن يسلم وتمرد ، فدعا عليه رسول الله (ﷺ) أن يموت بعيدا طريدا فنالته هذه الدعوة، وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد ورأى أمر الرسول (ﷺ) في ارتفاع وظهور ذهب إلى هرقل ملك الروم يستتصره على النبي (ﷺ) ، فوعده ومناه^(١)، وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه من أهل المدينة يبعدهم ويمنيهم بجيش يقاتل به رسول الله (ﷺ) ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له معقلا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه، ويكون مرصدا له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله (ﷺ) إلى تبوك ، وجاءوا فسألوا رسول الله (ﷺ) أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته ، وذكروا أنهم بنوه للضعفاء منهم وأهل العلة في الليلة الشتائية، فعصمه الله من الصلاة فيه ،

(١) ينظر: الكامل في التاريخ ، ١١٤/٢ ؛ وفقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٣٠ .

فقال (ﷺ): (إنا على سفر، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله) (١)، فلما قفل (ﷺ) راجعاً إلى المدينة من تبوك ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم نزل عليه جبريل (عليه السلام) بخبر مسجد الضرار ، وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم ، مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى ، فبعث رسول الله (ﷺ) إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه للمدينة ، هذا ما ذكره ابن كثير "رحمه الله" في سبب النزول (٢).
وأما معنى الآيات الكريمات : أخبر الله سبحانه أن الباعث لهم على بناء المسجد أربعة أمور :

١. الضرار لغيرهم ، وهو المضارة .
٢. الكفر بالله والمباهاة لأهل الإسلام ، لأنهم أرادوا ببنائه تقوية أهل النفاق .
٣. التفريق بين المؤمنين ، لأنهم أرادوا ألا يحضروا مسجد قباء فتقل جماعة المسلمين، وفي ذلك من اختلاف الكلمة وبطلان الألفة ما لا يخفى .

(١) فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشد ، ٣١١ .

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم ، ١١٢/٤ .

٤. الإِرْصَادُ لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أَيِ الْإِعْدَادِ لِأَجْلِ مَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَقَدْ خِيبَ اللَّهُ تَعَالَى مَسَاعِيَهُمْ ، وَأَبْطَلَ كَيْدَهُمْ بِأَنْ أَمَرَ نَبِيَهُ (ﷺ) بِهَدْمِهِ وَإِزَالَتِهِ^(١).

وقال ابن عاشور "رحمه الله": وقوله سبحانه: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ ، المراد بالقيام الصلاة ؛ لأن أولها قيام ، ووجه النهي عن الصلاة فيه أن صلاة النبي (ﷺ) فيه تكسبه يمنا وبركة فلا يرى المسلمون لمسجد قباء مزيةً عليه ؛ ولذلك أمر رسول الله (ﷺ) عمار بن ياسر ، ومالك بن الدخشم ، مع بعض أصحابه ، وقال لهم : (انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وحرقوه)^(٢) ، ففعلوا ، وقوله تعالى : ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ مَحِبًّا الْمُطَهَّرِينَ﴾^(٣) ، فقد روى ابن ماجه "رحمه الله" أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله (ﷺ) : (يا معشر الأنصار ، إن

(١) ينظر: بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل ، ليحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرصي (ت: ٨٩٣هـ) ، دار صادر ، من دون طبعة ، (بيروت/بلا سنة نشر) ، ٣٥/٢ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٨١/٣ ؛ والسيرة النبوية لابن هشام ، ١٨٤/٢ .

(٣) سورة التوبة ، من الآية (١٠٨) .

الله قد أتى عليكم في الطهور فما طهروكم؟) قالوا: نتوضأ للصلاة ونغتسل من الجنابة ونستجي بالماء ، قال: فهو ذلك فعليكموه^(١) .

ثانياً : الجانب الدعوي المفاد من قصة هدم مسجد الضرار واحراق أماكن المعصية.

إن في قصة هدم مسجد الضرار واحراقه دروس وجوانب دعوية ، وقد اشار اليها ابن القيم "رحمه الله" ، والتي اوجزها على النحو الاتي:

١- الكفر ملة واحدة :

قد تبين هذا لنا في مواقف كثيرة ومن موقف أبي عامر الراهب من الإسلام ومن المسلمين ؛ إذ غضب غضباً شديداً، وتألّم لهزيمة المشركين في بدر، فأعلن عداؤه للرسول، وتوجه إلى عاصمة الشرك مكة بحث أهلها على قتال المسلمين، وخرج مقاتلاً معهم في أحد، وحاول تفتيت الصف الإسلامي^(٢)، وصدق الله تعالى عندما قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾^(٣).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣ / ٢٦٤ ؛ واخرجه ابن ماجه في سننه : لابن ماجه ، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الرسالة العالمية ، الطبعة الاولى، (بلا/١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م) ، ابواب الطهارة وسننها، باب الاستتجاء بالماء ، ١/ ٢٢٧ ، عن أبو أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) ، قال الشيخ الالباني: حديث صحيح .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٤١ ؛ والصراع مع الصليبيين ، ١٧٩ .

(٣) سورة الانفال ، الآية (٧٣) .

٢- محاولة التدليس على المسلمين:

حاول المنافقون أن يضيفوا الشرعية على هذا البناء وأنه مسجد بنوه لأسباب مقنعة في الظاهر، ولكن لا حقيقة لها في نفوس أصحابها، فقد جاءوا يطلبون من الرسول (ﷺ) الصلاة في هذا البناء ليكون مسجداً قد باركه رسول الله (ﷺ) بالصلاة فيه، فإذا حدث هذا فقد استقر قرارهم في تحقيق أهدافهم، وهذا أسلوب ماكر خبيث قد ينطلي على كثير من الناس^(١).

٣- فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين :

إن الباحث ليلحظ مدى العناية الإلهية بالنبي (ﷺ)؛ فقد أطلع الله (ﷺ) على أسرار هؤلاء المنافقين وما أرادوه من تأسيس هذا المسجد، فلولا إعلام الله لرسوله لما أدرك رسول الله حقيقة نواياهم، ولصلى في البناء فأضفى عليه الشرعية وأقبل الناس يصلون فيه لأن رسول الله (ﷺ) صلى فيه، وبذلك يحدث الاختلاط بين المنافقين وضعاف المسلمين فينفردون بهم، وقد يؤثر عليهم بالشائعات^(٢).

٤- العلاج النبوي الحاسم:

إن ما قام به الرسول (ﷺ) من الأمر بهدم مسجد الضرار هو التصرف الأمثل، وهذا منهج نبوي كريم سانه لقادة الأمة في القضاء على أي عمل يبرأ منه الإضرار بالمسلمين وتقريق كلمتهم، فالداء العضال لا يعالج

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٨١/٣.

(٢) المصدر نفسه، ٤٨١/٣.

بتسكينه والتخفيف منه، وإنما يعالج بحسمه وإزالة آثاره، حتى لا يتجدد ظهوره بصورة أخرى، وإن الثمار العملية، التي لمسها المسلمون على إثر تطبيق الأمر النبوي الحازم لتدلنا على أن هذه المنهجية التي نهجها رسول الله (ﷺ) مع هذا المكر الخبيث، هي الطريقة المثلى لقمع حركة النفاق في المجتمع المسلم، فقد أصبح أمرهم بعد ذلك يتلاشى شيئاً فشيئاً حتى لم يبق منهم بعد لحاق الرسول (ﷺ) بالرفيق الأعلى إلا عدد قليل، ولم يعرف عنهم بعد تدمير مسجد الضرار أن قاموا بأعمال تخدم الهدف نفسه لعلمهم بنتائج العمل بعد انكشافهم^(١).

٥- ما يلحق بحكم مسجد الضرار:

ذكر المفسرون ما يلحق بمسجد الضرار في الحكم، فهذه بعض أقوالهم للاستفادة منها:

أ- قيل كل مسجد بني مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله، أو بمال غير طيب، فهو لاحق بمسجد الضرار^(٢).

ولكن هل يلحق بمسجد الضرار فيهدم، كما هدم مسجد الضرار الذي بناه المنافقون في المدينة وأمر النبي (ﷺ) بهدمه؟ لا أرى ذلك، وإنما

(١) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ٣٢١؛ والتاريخ الإسلامي مواقف وعبر، ١٣٠/٨.

(٢) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، لجار الله محمود بن عمر بن أحمد، أبو القاسم، الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، (بيروت/١٤٠٧هـ)، ٣١٠/٢.

يمكن أن يقال إن المسجد الذي بنى لهذه الأغراض يلحق بمسجد الضرار من جهة عدم ابتئاته على التقوى ، والإخلاص الكامل لله تعالى^(١).

ب- إن كل مسجد بني على ضرار أو رياء وسمعة فهو في حكم مسجد الضرار لا تجوز الصلاة فيه^(٢).

ج- وقال سيد قطب "رحمه الله" في تفسيره : هذا المسجد مسجد الضرار الذي اتخذ على عهد رسول الله (ﷺ) مكيدة للإسلام والمسلمين، هذا المسجد ما يزال يتخذ في صور شتى ؛ يتخذ في صورة نشاط ظاهره الإسلام وباطنه لسحق الإسلام أو تشويهه^(٣).

٦- قاعدة لمعرفة ما يلحق بمسجد الضرار:

إن كل ما يتخذ مما هو في ظاهره مشروع ، ويريد متخذه تحقيق غرض غير مشروع، فهو ملحق بالمسجد الضرار ، لأنه يحمل روحه

(١) ينظر: المستفاد من قصص القرآن ، ٥٠٤/٢ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي أبو عبد الله شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) ، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، (الرياض- المملكة العربية السعودية/١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م) ، ٢٥٤/٨ ؛ واللباب في علوم الكتاب ، لسراج الدين عمر بن علي بن عادل أبو حفص الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، (بيروت-لبنان/١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ، ٢٠٦/١٠ .

(٣) ينظر: في ظلال القرآن ، ١٧١١/٣ .

وعناصره^(١)، وإذا أردنا الإيجاز قلنا في هذه القاعدة : كل ما كان ظاهره مشروعاً ويريد متخذوه الإضرار بالمؤمنين فهو ملحق بالمسجد الضرار^(٢). وبناء على هذه القاعدة يخرج من نطاق مسجد الضرار وما يلحق به، ما ذكره الإمام ابن القيم "رحمه الله" من مشاهد الشرك ، ومن أماكن المعاصي والفسوق كالحانات وبيوت الخمر والمنكرات ونحو ذلك ؛ لأن هذه المنكرات ظاهرها غير مشروع فلا تلحق به وإن استحقت الإزالة كمسجد الضرار باعتبارها منكرات ظاهراً وباطناً^(٣).

٧- مساجد الضرار في بلاد المسلمين:

لا يزال أعداء الإسلام من المنافقين والملحدين ، والمبشرين - المنصرين - والمستعمرين، يقيمون أماكن باسم العبادة وما هي لها، وإنما المراد بها الطعن في الإسلام وتشكيك المسلمين في معتقداتهم وآدابهم، وكذلك يقيمون مدارس باسم الدرس والتعليم ليتوصلوا بها إلى بث سمومهم بين أبناء المسلمين، وصرفهم عن دينهم، وكذلك يقيمون المنتديات باسم الثقافة والغرض منها خلخلة العقيدة السليمة في القلوب، والقيم الخلقية في النفوس، ومستشفيات باسم المحافظة على الصحة والخدمة الإنسانية والغرض منها التأثير على المرضى والضعفاء وصرفهم عن دينهم، وقد

(١) ينظر: المستفاد من قصص القرآن ، ٥٠٦/٢ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٨٢/٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ٤٩٤/٣ .

اتخذوا من البيئات الجاهلة والفقيرة -ولاسيما في بلاد إفريقيا- ذريعة للتوصل إلى أغراضهم الدنيئة التي لا يقرها عقل ولا شرع ولا قانون (١).

إنّ مسجد الضرار ليس حادثة في المجتمع الإسلامي الأول وانقضت، بل هي فكرة باقية، يخطط لها باختيار الأهداف العميقة، وتختار الوسائل الدقيقة لتنفيذها، وخطتها تصب في التآمر على الإسلام وأهله بالتشويه وقلب الحقائق، والتشكيك، وزرع بذور الفتنة لإبعاد الناس عن دينهم وإشغالهم بما يضرهم ويدمر مصيرهم الأخرى (٢).

٨- إحراق أماكن المعصية التي يعصى الله ورسوله فيها وهدمها، كما حرق رسول الله (ﷺ) مسجد الضرار وأمر بهدمه ، وهو مسجد يصلى فيه ويذكر اسم الله فيه ؛ لما كان بناؤه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين ومأوى للمنافقين ، وكل مكان هذا شأنه فواجب على الإمام تعطيله ، إما بهدم وتحريق، وإما بتغيير صورته وإخراجه عما وضع له، وإذا كان هذا شأن مسجد الضرار فمشاهد الشرك التي تدعو سدنتها إلى اتخاذ من فيها أنداداً من دون الله أحق بالهدم وأوجب ، وكذلك محال المعاصي والفسوق كالحانات وبيوت الخمارين وأرباب المنكرات ، وقد حرق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قرية بكاملها يباع فيها الخمر، وحرق حانوت رويشد الثقفي وسماه

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٤٣ ؛ والسيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، ٥٠٨/٢ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٩٩/٣ ؛ والصراع مع الصليبيين ،

فويسقاً^(١)، وحرقت قصر سعد عليه لما احتجب فيه عن الرعية^(٢)، وهم رسول الله (ﷺ) بتحريق بيوت تاركي حضور الجماعة والجمعة ، وإنما منعه من فيها من النساء والذرية الذين لا تجب عليهم كما أخبر هو عن ذلك^(٣).

(١) ينظر: موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني (موسوعة تحتوي على أكثر من ٢٩٨ عملاً ودراسة حول العلامة الألباني وتراثه الخالد) ، لمحمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم أبو عبد الرحمن ، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ) ، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة ، الطبعة الأولى ، (صنعاء-اليمن/١٤٣١هـ/٢٠١٠م) ، ٢/٢٢٥ ؛ وكتاب الأموال، للقاسم بن سلام بن عبد الله الهروي أبو عبيد البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق : خليل محمد هراس، دار الفكر ، من دون طبعة ، (بيروت/بلا سنة نشر) ، ١٣٠ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٤٣ ؛ والزهد والرقائق لابن المبارك ، عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي أبو عبد الرحمن ، التركي ثم المزوزي (ت: ١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، من دون طبعة ، (بيروت/بلا سنة نشر) ، ١٧٩ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٥٠٠ ؛ وإغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، ١/٢١٠ .

المطلب الثاني

الجانب الدعوي المفاد من قصة

الثلاثة الذين خلفوا

عاد النبي (ﷺ) ودخل المدينة ، فصلى في مسجده ركعتين ثم جلس للناس ، وجاء المخلفون لرسول الله (ﷺ) يقدمون له الاعتذار ، وكانوا أربعة أصناف ، وهم :

١- المخلفون الذين لهم أعدار شرعية وعذرهم الله (ﷻ)، قال تعالى

فيهم: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ

مَأْنِفُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ

وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلْتَ عَلَيْهِمْ قُلْتَ لَا

أَجِدُكُمْ عَلَيْهِمْ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا

يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿١٢﴾ (١).

٢- وأما المخلفون الذين ليس لهم أعدار شرعية وتاب الله عليهم ، فهم

الذين جاءت ثلاث آيات تتحدث عن هؤلاء المخلفين ، وهي:

(١) سورة التوبة ، الآيتان (٩١ ، ٩٢) .

أ- قوله تعالى : ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا

عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(١)، ومعنى الآية الكريمة : أن هؤلاء الجماعة تخلفوا عن الغزو لغير عذر مسوغ للتخلف ثم ندموا على ذلك، ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة كما اعتذر المنافقون، بل تابوا واعترفوا بالذنب ، ورجوا أن يتوب الله عليهم، والمراد بالعمل الصالح: ما تقدم من إسلامهم وقيامهم بشرائع الإسلام وخروجهم إلى الجهاد في سائر المواطن ، والمراد بالعمل السيئ : هو تخلفهم عن هذه الغزوة ، وقد أتبعوا هذا العمل السيئ عملاً صالحاً وهو الاعتراف به والتوبة عنه^(٢).

ب- وقوله تعالى : ﴿وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ

وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ﴾^(٣).

ج- وقوله تعالى : ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ

بِمَارْحِبَتِ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ

(١) سورة التوبة ، الآية (١٠٢) .

(٢) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لشهاب الدين

محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت: ١٢٧٠هـ) ، تحقيق: علي عبد الباري

عطية ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، (بيروت/١٤١٥هـ) ، ١٧/١١ .

(٣) سورة التوبة ، الآية (١٠٦) .

تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ ، والمراد به هؤلاء
 الثلاثة هم هلال بن أمية^(٢) ، وكعب بن مالك^(٣) ، ومرارة بن
 الربيع^(٤) ، وفيهم نزلت هذه الآيات^(٥) .

ومعنى كلمة خلفوا في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾ ، فقد
 فسرها كعب بن مالك (رضي الله عنه) بالصواب ، وهو أنهم خلفوا من بين من حلف
 لرسول الله (ﷺ) ، واعتذر من المتخلفين ، فخلف هؤلاء الثلاثة عنهم ، وأرجأ

(١) سورة التوبة ، الآية (١١٨) .

(٢) هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلى بن عامر بن كعب بن واقف
 أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم ، روى عنه ابن عباس ، وجابر ، وهو القاذف
 امرأته فلا عنها ، الذي نزل عليه النبي (ﷺ) بقباء ؛ ينظر : الاستيعاب في معرفة
 الأصحاب ، ١٥٤٢/٤ .

(٣) كعب بن مالك بن أبي كعب واسم أبي كعب عمرو بن القين بن كعب بن سواد
 ابن غنم بن كعب بن سلمة ابن سعيد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن
 جشم بن الخزرج الأنصاري السلمي ، يكنى أبا عبد الله ، وقيل : أبا عبد الرحمن ،
 وتوفي كعب بن مالك في زمن معاوية ، سنة خمسين ، وقيل سنة ثلاث وخمسين ،
 وهو ابن سبع وسبعين ، وكان قد عمي وذهب بصره في آخر عمره ؛ ينظر :
 معرفة الصحابة لابن منده ، ٢٣٦٦/٥ .

(٤) مرارة بن الربيع بن ربيعة الأنصاري العمري ، من بني عمرو بن عوف بن
 عمرو بن مالك بن الأوس ، شهد بدر ، وهو أحد الثلاثة الذي تخلفوا عن رسول
 الله (ﷺ) في غزوة تبوك ، فنزل القرآن في شأنهم آيات ؛ ينظر : أسد الغابة في
 معرفة الصحابة ، ١٢٩/٥ .

(٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ١٧/١١ .

أمرهم دونهم، وليس ذلك تخلفهم عن الغزو؛ لأنه لو أراد ذلك لقال: تخلفوا، كما قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ (١) ، وذلك لأنهم تخلفوا بأنفسهم ، بخلاف تخليفهم عن أمر المتخلفين سواهم ، فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلفهم عنهم ، ولم يتخلفوا عنه بأنفسهم (٢).

وسوف اتحدث عن هذه القصة -بإذن الله- بنوع من الإيجاز لما تحتويه من جوانب دعوية قيمة .

٣- وأما المخلفون من منافقي الأعراب الذين يسكنون حول المدينة : هؤلاء هم المخلفون من منافقي الأعراب الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣).

٤- وأما المخلفون من منافقي المدينة ، فنزل فيهم قوله تعالى : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ (٨١) فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعِذْ نَوَكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا

(١) سورة التوبة ، جزء من الآية (١٢٠) .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥١٨/٣ .

(٣) سورة التوبة ، الآية (٩٠) .

مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ نُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِلَّا كُفْرًا رَضِيئًا بِالْقَعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَأَقْعُدُوا مَعَ
الْخَلْفَيْنِ ﴿١﴾.

وقد لحظت اختلاف سياسة الرسول (ﷺ) في معاملته للمنافقين
والمسلمين الصادقين عندما اعتذروا له، حيث أنه (ﷺ) عامل المنافقين
باللين والصفح، واختار للمسلمين الصادقين الشدة والعقوبة! ولا شك أن
الشدة والقسوة في هذا المقام مع المسلمين مظهر للإكرام والتشريف، وهو
ما لا يستحقه المنافقون، وكيف يستحق المنافقون أن تنزل آيات في
توبتهم - على أي حال (٢).

فلا بد ان نتعرف على قصة هؤلاء الثلاثة الذين خلفوا وتاب الله عليهم،
واقف على اهم الجوانب الدعوية المفادة، والتي ستكون على النحو
الاتي:

اولاً : ذكر اهم الاحداث في قصة الثلاثة الذين خُلفوا

قال تعالى: ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا
رَحَبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ

(١) سورة التوبة، الآيات (٨١-٨٣).

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٨٧/٣؛ وينظر: السيرة النبوية، لأبي

الحسن الندوي، ٦٤٣.

لِئْتُوُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ النَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ ، فالمراد بهؤلاء الثلاثة هم هلال بن أمية ، وكعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، (ﷺ) وفيهم نزلت هذه الآية (٢) .
وردت قصة الثلاثة الذين خلفوا على لسان كعب بن مالك (ﷺ) في كتب السيرة والحديث والتفسير بروايات متقاربة في ألفاظها ، ولقيت عناية فائقة في الشرح والتدريس ، وكان صحيح البخاري من أكثر الكتب دقة وتفصيلاً لهذه القصة (٣) .

ونترك كعب بن مالك (ﷺ) يحدثنا بنفسه حيث قال : لم أتخلف عن رسول الله (ﷺ) في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أنني كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحدا تخلف عنها ، إنما خرج رسول الله (ﷺ) يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله (ﷺ) ليلة العقبة - أي الليلة التي بايع رسول الله (ﷺ) الأنصار على الإسلام - حين تواتقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي

(١) سورة التوبة ، الآية (١١٨) .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٨٣/٣ ؛ واخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب: حديث كعب بن مالك وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلْفُوا ﴾ ، سورة التوبة ، جزء من الآية (١١٨) ، ٣/٦ ، رقم الحديث (٤٤١٨) .

(٣) ينظر: حاشية السندي على صحيح البخاري ، لمحمد بن عبد الهادي السندي المدني أبو الحسن الحنفي ، دار الفكر ، من دون طبعة ، (بلا / بلا سنة نشر) ، ٣٣/٣ ؛ والصراع مع الصليبيين ، ١٨٧ .

بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أنكر في الناس منها، كان من خبري أني لم أكن -قط- أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان -قط- حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله (ﷺ) يريد غزوة إلا وري بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله (ﷺ) في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، وعدوا كثيراً ، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم ، فأخبرهم بوجهه الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله (ﷺ) كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ ، يريدون الديوان، قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي الله ، وغزا رسول الله (ﷺ) تلك الغزوة حيث طابت الثمار وانظلال، وتجهز رسول الله (ﷺ) والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادي بي حتى اشتد بالناس الجد، فأصبح رسول الله (ﷺ) والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئاً، ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو -أي تقدم الغزاة وسبقوا وفاتوا- وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكننت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله (ﷺ) فطففت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله (ﷺ) حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : ما فعل كعب ؟ ، فقال

رجل من بني سلمة : يا رسول الله حبسه برداه^(١)، فقال له معاذ بن جبل (ﷺ): بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله (ﷺ)، قال كعب بن مالك (رضي الله عنه): فلما بلغني أنه توجه قافلاً - راجعاً- حضرني همي ، وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غدا ؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي: إن رسول الله (ﷺ) قد أظلم قادماً -أقبل ودنا قدومه- زاح عني الباطل ، حتى عرفت أنني لن أنجو منه بشيء أبداً، فأجمعت صدقه -عزمت على صدقه-، وأصبح رسول الله (ﷺ) قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً^(٢)، فقبل منهم رسول الله (ﷺ) علانيتهم ، وبأيعهم ، واستغفر لهم ، ووكل سرائرهم إلى الله (ﷻ) حتى جئت ، فلما سلمت ، تبسم تبسم المغضب، ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي: (ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟)^(٣)، قال: قلت: بلى، إني والله لو جلست عند

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٣١ ؛ والصراع مع الصليبيين ، ١٨٨ .

(٢) ينظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، ٣٣٣/١ ؛ وبهجة المحافل وبغية

الأمان في تلخيص المعجزات والسير والشمائل ، ٣٨/٢ .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٨٣/٣؛ وحدائق الأنوار ومطالع الأسرار في

سيرة النبي المختار، لمحمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي،

الشهير بـ(بَحْرُوق) (ت: ٩٣٠هـ)، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول، دار

المنهاج، الطبعة الأولى، (جدة/١٤١٩هـ)، ٣٧٥ .

غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً - فصاحة وقوة في الكلام وبراعة- ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك عليّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه -أي تغضب- إني لأرجو فيه عقبى الله -أي يعقبنى خيراً ويثيبني عليه- ، لا والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى ، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك ، قال رسول الله (ﷺ) : (أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك)^(١)، فقامت وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله (ﷺ) بما اعتذر به إليه المخلفون ، فقد كان كافيك ذنبك، استغفار رسول الله (ﷺ) لك، قال: فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله (ﷺ) فأكذب نفسي، قال: ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان، قالوا مثل ما قلت ، فقيل لهما مثل ما قيل لك، قال: قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري ، وهلال بن أمية الواقفي، قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرأ ، فيهما أسوة ، فمضيت حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله (ﷺ) المسلمين عن كلامنا -أيها الثلاثة- من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض، فما هي بالأرض التي أعرف، فلبثنا على ذلك

(١) سبق تخريجه، ٣/٣٥٦ ، من حديث كعب في البخاري ، رقم الحديث (٤٤١٨).

خمسين ليلة^(١)، فأما صاحباي فاستكانا -أي خضعا- وقعدا في بيوتهما بيكيان، وأما أنا فكنت أشبّ القوم وأجلدهم -أي أصغرهم سنا وأقواهم- فكنت أخرج، فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وأتي رسول الله (ﷺ) فأسلم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفثيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه، وأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى طال ذلك علي من جفوة الناس، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة^(٢)، وهو ابن عمي، وأحب الناس إلي -فسلمت عليه، فوالله ما رد علي السلام، فقلت له: يا أبا قتادة، أنشدك يا الله -أي أسألك بالله- هل تعلم أنني أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت، فعدت فناشدته فسكت، فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناوي، وتوليت حتى تسورت الجدار، فبينما أنا أمشي في سوق المدينة، إذا

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٨٣/٣؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ٣٣٢.

(٢) أبو قتادة: أبو قتادة الأنصاري السلمي، من بني غنم بن كعب بن سلمة بن زيد ابن جشم بن الخزرج، هكذا يقول ابن شهاب وجماعة من أهل الحديث، إن اسم أبي قتادة الحارث بن ربيعي، قال ابن إسحاق: وأهله يقولون اسمه النعمان بن عمرو بن بلدمة هو الحارث (أو النعمان، أو عمرو) ابن ربيعي الأتصاري الخزرجي السلمي، وأبو قتادة هي بكنيته، شهد الوقائع مع النبي (ﷺ) ابتداء من وقعة أحد، وشهد صفين معه علي (ﷺ)، ومات بالمدينة سنة ٥٤هـ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١٨٦/١.

نبطي^(١) من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له إلي ، حتى جاءني فدفع إلي كتاباً من ملك غسان^(٢)، وكنت كاتباً، فقرأته فإذا فيه : أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة -اي أنك لست بأرض يضيع فيها حقك- فالحق بنا ، فقلت حين قرأتها: وهذا أيضا من البلاء فتيممت -أي قصدت- بها التتور، فسجرتها -اي أحرقتها- به حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني ، فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك ، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها فلا تقرنهما^(٣)، قال:

(١) نبطي: نَبَطٌ : بالفتح ثم السكون، والنَّبَطُ، بفتح الباء: وهو من يستخرج الماء من الحفر: اي فلاح العجم ؛ ينظر: معجم البلدان ، ج/٥/ص ٢٥٤ .

(٢) ملك غسان : وهو الحارث بن أبي شمر الغساني ملك غسان في الشام ، طن من بني نفاثة، من جذام، من مرة بن أد بن زيد بن كهلان، من القحطانية، كانت لهم رياسة في معان وما حولها من أرض الشام، ثم لفروة بن عمرو بن النافرة، وكان عاملاً للروم على قومه، وعلى من كان حوالي معان من العرب، فأخذه وصلبه بفلسطين، وكانت لهم بقية حتى القرن الثامن الهجري في مواطنهم الاولى في شعبين من شعوبهم بنو عائد وبنو عقبة ؛ ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، لعمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (ت: ١٤٠٨هـ)، مؤسسة الرسالة ، الطبعة السابعة ، (بيروت/ ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ٣/١١٦٩ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٤٨٣ ؛ وفقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٣٢ .

فأرسل إلى صاحبي بمثل هذا ، قال : فقلت لامرأتي : الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ، قال : فجاءت امرأة هلال بن أمية إلى رسول الله (ﷺ) ، فقالت له : يا رسول الله ، إن هلال ابن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن لا يقربنك ، فقالت : إنه والله ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله (ﷺ) في امرتك؟ فقد أذن لامرأة هلال ابن أمية أن تخدمه ، قال فقلت : لا أستأذن فيها رسول الله (ﷺ) وما يدريني ماذا يقول رسول الله (ﷺ) إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب ، قال فلبثت بذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله (ﷺ) منا ، قد ضاقت على نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى - أي صاعد ومرتفع - على سلع^(١) ، يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء فرج ، قال : فأذن الناس - أي أعلمهم - رسول الله (ﷺ) توبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل إلي بفرس ، وسعى ساع من أسلم قبلي ، وأوفى الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرنني نزلت له ثوبي فكسوته إياهما ببشارته ، والله ما

(١) سلع : وهو جبل من جبال المدينة المنورة ؛ ينظر : معجم ما استعجم من أسماء

البلاد والمواضع ، ٢٠٨/٢ .

أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين قلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله (ﷺ) فيلتقاني الناس فوجاً فوجاً -أي جماعة جماعة- ، يهنئونني بالتوبة ويقولون : لِيُثَهِّأَكَ توبة الله عليك حتى دخلت المسجد^(١)، فإذا رسول الله (ﷺ) جالس في المسجد ، حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام رجل من المهاجرين غيره ، قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله (ﷺ) قال وهو يبرق وجهه من السرور: (أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك)^(٢)، قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ فقال: (لا، بل من عند الله)^(٣)، وكان رسول الله (ﷺ) إذا سُرَّ استتار وجهه كأنه قطعة قمر ، قال: وكنا نعرف ذلك ، قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله ، إن من توبتي أن أنخلع -أي أتصدق به- من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله (ﷺ)، فقال رسول الله (ﷺ) : (أمسك عليك بعض

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٣٦/٣ ؛ والاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (ﷺ) والثلاثة الخلفاء ، ٥٦٠/١ .

(٢) فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٣٣ ؛ وتاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، ١٣٣/٢ .

(٣) الأنوار في شمائل النبي المختار ، لمحيي السنة الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ)، تحقيق: العلامة الشيخ إبراهيم اليعقوبي ، دار الضياء للطباعة والنشر والتوزيع ، من دون طبعة ، (بيروت/١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، ٢٣٩/١ .

مالك فهو خير لك^(١)، قال: فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخبير، قال: وقلت: يا رسول الله، إن الله إنما أنجاني بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه - أي أنعم عليه - الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله (ﷺ) إلى يومي هذا، أحسن مما أبلاني الله به، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت لرسول الله (ﷺ) إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله (ﷻ) فيما بقي، قال: فأنزل الله (ﷻ): ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٢١﴾﴾^(٢)، حتى بلغ قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٣)، وقال كعب (ﷺ): والله ما أنعم الله علي من نعمة - قط - بعد إذ هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي لرسول الله (ﷺ)

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/٤٩١؛ قال الالباني حديث صحيح، صححه

الالباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، ١/٢٩٤، رقم الحديث (١٣٨٧).

(٢) سورة التوبة، الآيتان (١١٧، ١١٨).

(٣) سورة التوبة، الآية (١١٩).

ألا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا^(١) .

ثانياً: الجانب الدعوي المفاد من قصة الثلاثة الذين خُلّفوا.

لقد اشتملت قصة الثلاثة الذين خُلّفوا على دروس كثيرة وجوانب دعوية مهمة ، وقد أشار إليها ابن القيم "رحمه الله" ، والتي أوجزها على النحو الآتي :

١. الصدق سفينة النجاة ، لقد أدرك كعب ، وهلال ، ومرارة (ﷺ)

خطورة الكذب فعزموا على سلوك طريق الصراحة والصدق وإن عرّضهم ذلك للتعيب والمضايقات، ولكن كان أملهم بالله تعالى كبيراً في أن يقبل توبتهم ثم يعودون إلى الصف الإسلامي أقوى مما كانوا عليه^(٢)، وما أجمل ختم رب العالمين توبته على كعب ومن معه بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٣).

٢. جواز إخبار الرجل عن تفریطه وتقصيره في طاعة الله ورسوله، وعن سبب ذلك، وما آل إليه أمره ، وفي ذلك من التحذير والنصيحة وبيان طرق الخير والشر وما يترتب عليها، ما هو من أهم الأمور^(٤).

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٩٢/٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ٥٠٢/٣ .

(٣) سورة التوبة ، الآية (١١٩) .

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٠٢/٣ .

٣. تعزيز قوة الدور الرقابي ، ففي تخلف كعب بن مالك (رضي الله عنه) عن غزوة العسرة ؛ أن تسرب إلى نفسه شعور بضعف الرقابة ، وأنه ليس هناك كتاب حافظ جامع يحصر أسماء الذين خرجوا، والذين لم يخرجوا، وتدبر قوله (رضي الله عنه) : والمسلمون مع رسول الله كثيرٌ، ولا يجمعهم كتابٌ حافظٌ. يريد بذلك الديوان ، قال كعب : فقال رجلٌ يريد أن يتغيب ، إلا ظن أن ذلك سيخفى به ما لم ينزل فيه وحي من الله (١).

٤. إنَّ الإمام إذا رأى المصلحة في أن يستر عن رعيته بعض ما يهم به ويقصده من العدو ويوري به عنه استحبه له ذلك أو يتعين بحسب المصلحة حيث أن الستر والكتمان إذا تضمن مفسدة لم يجز (٢).

٥. إنَّ الإمام والمطاع لا ينبغي له أن يهمل من تخلف عنه في بعض الأمور، بل يذكره ليراجع الطاعة ويتوب ، فإن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال بتبوك : ما فعل كعب ؟ ولم يذكر سواه من المخلفين استصلاحاً له ومراعاة ، وإهمالاً للقوم المنافقين (٣).

٦. لم يكن يتخلف عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا ثلاثة رجال ؛ إما مغموص عليه في النفاق ، أو رجل من أهل الأعذار، أو من

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٤٢ .

(٢) المرجع نفسه ، ٣٤٢ .

(٣) ينظر : زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٠٣/٣ .

خلفه رسول الله (ﷺ) واستعمله على المدينة ، أو خلفه لمصلحة^(١).

٧. ترك الإمام والحاكم رد السلام على من أحدث حدثا ؛ تأديبا له وزجرا لغيره، فإنه (ﷺ) لم ينقل أنه رد على كعب ، بل قابل سلامه بتبسم المغضب ، فقد يكون التبسم عن الغضب كما يكون عن التعجب والسرور ، فإن كلا منهما يوجب انبساط دم القلب وثورانه، ولهذا تظهر حمرة الوجه لسرعة ثوران الدم فيه، فينشأ عن ذلك السرور ، والغضب تعجب يتبعه ضحك وتبسم ، فلا يغتر المغتر بضحك القادر عليه في وجهه ، ولا سيما عند المعتبة ، وكما قيل:

إِذَا رَأَيْتَ نِيَّوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَظُنَّنْ أَنَّ اللَّيْثَ مَبْتَسِمٌ^(٢)

٨. ومعاتبه الإمام والمطاع أصحابه ومن يعز عليه ويكرم عليه ، فإنه عاتب الثلاثة من دون سائر من تخلف عنه، وقد أكثر الناس من مدح عتاب الأحبة واستلذاذه والسرور به، فكيف بعتاب أحب الخلق على الإطلاق إلى المعتبر عليه، والله ما كان أحلى ذلك العتاب وما

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٤٢ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٠٤/٣ ؛ وصبح الأعشى في صناعة

الإنشاء، لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت: ٨٢١هـ)،

دار الكتب العلمية ، من دون طبعه ، (بيروت / بلا سنة نشر) ، ٣٣٨/٢ .

أعظم ثمرته وأجل فائدته، والله ما نال به الثلاثة من أنواع المسرات وحلاوة الرضا وخلع القبول^(١).

٩. توفيق الله لكعب وصاحبيه فيما جاءوا به من الصدق، ولم يخذلهم حتى كذبوا واعتذروا بغير الحق، فصلحت عاجلتهم وفسدت عاقبتهم كل الفساد، والصادقون تعبوا في العاجلة بعض التعب فأعقبهم صلاح العاقبة والفلاح كل الفلاح، وعلى هذا قامت الدنيا والآخرة، فمرارات المبادي حلوات في العواقب، وحلوات المبادي مرارات في العواقب، وقول النبي (ﷺ) لكعب: أما هذا فقد صدق^(٢).

١٠. في نهى النبي (ﷺ) عن كلام هؤلاء الثلاثة من بين سائر من تخلف عنه دليل على صدقهم وكذب الباقيين، فأراد هجر الصادقين وتأديبهم على هذا الذنب، وأما المنافقون فجرمهم أعظم من أن يقابل بالهجر، فدواء هذا المرض لا يعمل في مرض النفاق، ولا فائدة فيه، وهكذا يفعل الرب سبحانه بعباده في عقوبات جرائمهم، فيؤدب عبده المؤمن الذي يحبه وهو كريم عنده بأدنى زلة وهفوة، فلا يزال مستيقظاً حذراً، وأما من سقط من عينه وهان عليه، فإنه يخلي بينه وبين معاصيه، وكلما أحدث ذنباً أحدث له نعمة، والمغرور يظن أن ذلك من كرامته

(١) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ٣٤٢.

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٠٤/٣.

عليه، ولا يعلم أن ذلك عين الإهانة، وأنه يريد به العذاب الشديد والعقوبة التي لا عاقبة معها، كما في الحديث المشهور: (إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له عقوبته في الدنيا، وإذا أراد بعبد شراً أمسك عنه عقوبته في الدنيا، فيرد يوم القيامة بذنوبه) (١) .

وفيه دليل أيضاً على هجران الإمام والعالم والمطاع لمن فعل ما يستوجب العتب، ويكون هجرانه دواء له بحيث لا يضعف عن حصول الشفاء به، ولا يزيد في الكمية والكيفية عليه فيهلكه، إذ المراد تأديبه لا إتلافه (٢) .

١١. الهجر التربوي وأثره في المجتمع ، إن الهجر التربوي له منافع العظيمة في تربية المجتمع المسلم على الاستقامة ومنع أفراده من التورط في المخالفات التي تكون إما بترك شيء من الواجبات أو فعل شيء من المحرمات؛ لأن من توقع أنه إذا وقع

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٥٠٤ ؛ واخرجه الترمذي في الجامع الصحيح- سنن الترمذي، كتاب الزهد ، باب: الصبر على البلاء ، ٤/٦٠١ ، رقم الحديث (٢٣٩٦) ، عن أنس (رضي الله عنه) ، قال الشيخ الالباني : حديث حسن صحيح ؛ وحديث الزهري ، لعبيد الله بن عبد الرحمن ابن محمد بن عبيد الله بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف العوفي الزهري القرشي، أبو الفضل البغدادي (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق: الدكتور حسن بن محمد بن علي شبالة البلوط ، أضواء السلف، الطبعة الاولى ، (الرياض/١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ، ١/٢٣٧ ، رقم الحديث (١٩٥) عن عبد الله بن مغفل (رضي الله عنه) .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٥٠٥ .

في شيء من ذلك سيكون مهجوراً من جميع أفراد المجتمع، فإنه
لن يفكر في الإقدام على ذلك^(١).

وهذا الهجر التربوي يختلف عن الهجر الذي يكون بين المسلمين على
أمر الدنيا، فهذا دنيوي وذاك ديني، فالهجر الديني مطلب شرعي يثاب
عليه فاعله، أما الهجر الدنيوي فإنه مكروه إلا إذا زاد عن ثلاثة أيام فإنه
يكون محرماً^(٢)، لقول رسول الله (ﷺ) : (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه
فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ
بالسلام)^(٣)، ولقوله (ﷺ) : (من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه)^(٤).

١٢ . تنفيذ أوامر القيادة في المجتمع المسلم ، وقد استجاب المجتمع
المسلم كله لتنفيذ أمر المقاطعة والهجر الذي صدر من القائد

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٤٤ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع
وتحليل أحداث ، ٨٤٣ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٠٦/٣ ؛ والتاريخ الإسلامي ،
١٣٩/٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ٥٠٦/٣ ، واخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة
والآداب ، باب تحريم الهجر فوق ثلاث ، ١٩٨٤/٤ ، رقم الحديث (٢٥٦٠) .

(٤) فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٤٥ ؛ والأدب المفرد ، لمحمد بن إسماعيل بن
إبراهيم بن المغيرة أبو عبد الله البخاري (ت: ٢٥٦هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد
الباقي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة ، (بيروت/١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ،
باب من هجر أخاه سنة ، ١٤٦/١ ، رقم الحديث (٤٠٤) ، عن أبي خراش
السلمي (رضي الله عنه) ، قال الالباني : صحيح .

الأعلى (ﷺ) وامتنعوا جميعاً عن الحديث مع هؤلاء الثلاثة ،
ووصف كعب لنا ذلك ، فقال : فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى
تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف ، فأما صاحباي
فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم
وأجلدهم ، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في
الأسواق، ولا يكلمني أحد ...^(١)، وقد أطلق كعب (ﷺ) السلام
على ابن عمه أبي قتادة فلم يرد عليه السلام ، وناشده بالله مراراً،
ولقد كان أبو قتادة (ﷺ) في هذا الموقف موزع الفكر بين إجابة
رجل حبيب إليه عزيز عليه، وبين تنفيذ أمر النبي (ﷺ) بتطبيق
الهجرتريوي، ولكن ليس هناك تردد بين الأمرين، فالذي أوحى
به إيمان أبي قتادة هو تنفيذ أمر النبي (ﷺ) فظهر ذلك على
سلوكه^(٢) .

وقد بلغ الالتزام بالأمر النبوي في الهجرتريوي ذروته حين أمر
رسول الله (ﷺ) الثلاثة الذين خلفوا باعتزال زوجاتهم حتى يقضي الله أمراً
كان مفعولاً، فالتزم الجميع بذلك، واستأذنت زوجة هلال بن أمية - وكان
شيخاً طاعناً في السن لا يجد من يخدمه - فطلبت من الرسول (ﷺ) أن

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٠٦/٣ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع
وتحليل أحداث ، ٨٤٤ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٤٥ ؛ والصراع مع الصليبيين ، ١٩٦ .

يأذن لها أن تخدمه فأذن لها النبي (ﷺ) بذلك شريطة ألا يقربها ؛ فالتزمت رضي الله عنها^(١).

١٣. الولاء التام لله ورسوله ، فقد كان العدو الصليبي يراقب ويرصد ويستغل الفرصة السانحة لكي يمزق الجبهة الداخلية ويشعل نار الفتنة بين المسلمين ليوهن البنيان ويقوض الأركان، ولذلك استغل ملك غسان فرصة هجران المسلمين لكعب بن مالك (رضي الله عنه) وعقوبة رسول الله (ﷺ) له، بأن يرسل سفيره لكعب برسالة خاصة منه إليه يخبره فيها، تأمل قوله: قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك ، فكان تعليق كعب على هذه الرسالة : وهذا من البلاء أيضاً، قد بلغ مني ما وقعت فيه أن طمع في رجال من أهل الشرك ، ثم أحرق الرسالة^(٢)، وهذا الموقف يدل على شدة ولاء كعب لله ورسوله وقوة إيمانه وعظمة نفسه، فقد أدرك أنها محنة جديدة أقسى من الأولى، فلا يرضيه أن يجيب ملك غسان بالسلب، أو يرمي بالكتاب ويمزقه، ولكنه رمى به في التنور ليصير رمادا، ويصير كل ما به دخانا يتبدد في الهواء، وخرج الرجل من محنته وهو أقوى ما يكون إيمانا، وأصفى ما يكون روحاً، وأكرم ما يكون أخلاقاً ، فيالعظمة هذه النفوس المؤمنة الكبيرة ! لقد مر كعب

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٥١٠ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٤٧ ؛ والمغازي ، ٣/١٠٥١ .

من فوق هذا الاختبار والابتلاء عزيزاً قوياً بإسلامه ، لم يتأثر به ولا انزلق فيه^(١).

١٤. إنَّ في سجود كعب (ﷺ) حين سمع صوت المبشر دليل ظاهر أن تلك كانت عادة الصحابة ، وهي سجود الشكر عند النعم المتجددة والنقم المندفعة، وقد سجد أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) لما جاءه قتل مسيلمة الكذاب ، وسجد علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لما وجد ذا الندية مقتولاً في الخوارج ، وسجد رسول الله (ﷺ) حين بشره جبريل أنه من صلى عليه مرة صلى الله عليه بها عشراً، وسجد حين شفع لأمته فشفعه الله فيهم ثلاث مرات ، وأتاه بشير فبشره بظفر جند له على عدوهم ورأسه في حجر عائشة (رضي الله عنها)، فقام فخر ساجداً، وقال أبو بكر (رضي الله عنه) : (كان رسول الله إذا أتاه أمر يسره خر لله ساجداً)^(٢)، وهي آثار صحيحة لا مطعن فيها^(٣).

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٥١٠ ؛ والسيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، ٢/٥١٧ .

(٢) فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٤٧ ؛ وإخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، كتاب الادب ، ٤/٣٢٣ ، رقم الحديث (٧٧٨٩) ، عن ابي بكر (رضي الله عنه) ، قال المحقق : حديث صحيح .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٥١١ ؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، ٣٠٧ .

١٥. وفي استباق صاحب الفرس والراقي على سلع ليبيشرا كعباً دليل على حرص القوم على الخير، واستباقهم إليه ، وتنافسهم في مسرة بعضهم بعضاً، وفي نزع كعب ثوبيه وإعطائهما للبشير، دليل على أن إعطاء المبشرين من مكارم الأخلاق والشيم وعادة الأشراف، وقد أعتق العباس (رضي الله عنه) غلامه لما بشره أن عند الحجاج بن علاط^(١) من الخبر عن رسول الله (ﷺ) ما يسره، وفيه دليل على جواز إعطاء البشير جميع ثيابه ، وفيه دليل على استحباب تهنئة من تجددت له نعمة دينية ، والقيام إليه إذا أقبل، ومصافحته، فهذه سنة مستحبة، وهو جائر لمن تجددت له نعمة دنيوية، وأن الأولى أن يقال له: ليهنك ما أعطاك الله ، وما من الله به عليك ، ونحو هذا الكلام، فإن فيه تولية النعمة ربها، والدعاء لمن نالها بالتهني بها^(٢).

وفيه دليل على أن خير أيام العبد على الإطلاق وأفضلها يوم توبته إلى الله تعالى، وقبول الله توبته، لقول النبي (ﷺ): (أبشر بخير يوم مر

(١) حجاج بن علاط السلمي من أهل مكة سكن المدينة كان صاحب غارات في الجاهلية ، فخرج يغير في بعضها فذكر له أن رسول الله (ﷺ) بخير فأسلم وحضر خبير مع رسول الله (ﷺ) وكان مكثراً النبال ؛ ينظر معجم الصحابة ، للبخاري ، ١٧٥/٢ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥١١/٣ .

عليك منذ ولدتك أمك^(١)، فإن قيل : فكيف يكون هذا اليوم خيراً من يوم إسلامه؟ قيل: هو مكمل ليوم إسلامه، ومن تمامه ، فيوم إسلامه بداية سعادته ، ويوم توبته كمالها وتمامها^(٢).

١٦. وفي سرور رسول الله (ﷺ) بذلك وفرحه به واستنارة وجهه دليل على ما جعل الله فيه من كمال الشفقة على الأمة والرحمة بهم والرفقة، ولعل فرحه (ﷺ) كان أعظم من فرح كعب وصاحبيه^(٣).

١٧. إن في قول كعب (ﷺ) : (يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي)^(٤)، دليل على استحباب الصدقة عند التوبة بما قدر عليه من المال ، وقول رسول الله (ﷺ) دليل على أن من نذر الصدقة بكل ماله، لم يلزمه إخراج جميعه، بل يجوز له أن يبقي له منه بقية، وقد اختلفت الرواية في ذلك، ففي الصحيحين أن

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/٥١١؛ واخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ٤/٢١٢٠، رقم الحديث (٢٧٦٩) .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٤٨ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٥١١ .

(٤) فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٤٨ ؛ وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لمحمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمري الربيعي أبو الفتح فتح الدين (ت: ٧٣٤هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، الطبعة الاولى، (بيروت/١٤١٤هـ/١٩٩٣م) ، ٢/٢٧٩ .

النبي (ﷺ) قال له : (أمسك عليك بعض مالك)^(١) ، ولم يعين له قدراً ، بل أطلق ، ووكله إلى اجتهاده في قدر الكفاية ، وهذا هو الصحيح ، فإن ما نقص عن كفايته وكفاية أهله لا يجوز له التصدق به ، فنذره لا يكون طاعة ، فلا يجب الوفاء به ، وما زاد على قدر كفايته وحاجته ، فأخراجه والصدقة به أفضل ، فيجب إخراجها إذا نذره ^(٢) .

١٨ . عظم مقدار الصدق ، وتعليق سعادة الدنيا والآخرة ، والنجاة من شرهما به ، فما أنجى الله من أنجاه إلا بالصدق ، ولا أهلك من أهلكه إلا بالكذب ، وقد أمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٣) ، وقد قسم سبحانه وتعالى الخلق على قسمين : سعداء ، وأشقياء ، فجعل السعداء هم أهل الصدق والتصديق ، والأشقياء هم أهل الكذب والتكذيب ، وهو تقسيم

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥١٢/٣ ؛ وأخرجه البخاري في صحيحه ، في كتاب الإيمان والنذور ، باب : إذا هدى ماله على وجه النذر والتوبة ، توبة كعب بن مالك وصاحبيه ، ١٤٠/٨ ، رقم الحديث (٦٦٩٠) .

(٢) ينظر : فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٤٩ .

(٣) سورة التوبة ، الآية (١١٩) .

حاصر مطرد منعكس ، فالسعادة دائرة مع الصدق والتصديق ،
والشقاوة دائرة مع الكذب والتكذيب^(١).

وأخبر سبحانه وتعالى : أنه لا ينفع العباد يوم القيامة إلا صدقهم ؛
وجعل علم المنافقين الذي تميزوا به هو الكذب في أقوالهم وأفعالهم ،
فجميع ما نعاه عليهم أصله الكذب في القول والفعل ، فالصدق بريد
الإيمان ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه، بل هو لبه وروحه ،
والكذب: بريد الكفر والنفاق ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولباسه
ولبه، فمضادة الكذب للإيمان كمضادة الشرك للتوحيد ، فلا يجتمع الكذب
والإيمان إلا ويطرده أحدهما صاحبه ، ويستقر موضعه ، والله سبحانه
أنجى الثلاثة بصدقهم ، وأهلك غيرهم من المخلفين بكذبهم، فما أنعم الله
على عبد بعد الإسلام بنعمة أفضل من الصدق الذي هو غذاء الإسلام
وحياته، ولا ابتلاه ببلية أعظم من الكذب الذي هو مرض الإسلام وفساده،
والله المستعان^(٢).

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥١٢/٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ٥١٢/٣ .

المبحث الثالث

الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله"

على ضوء ذكره لأحداث قدوم

بعض وفود العرب على النبي (ﷺ)

لما افتتح رسول الله (ﷺ) مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، وضرب رسول الله (ﷺ) أمد أربعة أشهر لقبائل العرب المشركين لكي يقرروا مصيرهم بأنفسهم قبل أن تتخذ الدولة الإسلامية منهم موقفاً معيناً، ضربت إليه وفود العرب آباط الإبل من كل وجه معلنة إيمانها وولاءها^(١).

إن قصص الوفود وأخبارها وكيفية تعامل رسول الله (ﷺ) معها لها أهمية كبيرة في مجال الحياة، حيث تركت لنا تلك الأخبار والقصص منهاجاً نبوياً كريماً في تعامله (ﷺ) مع الوفود التي يمكننا أن نفيد من هديه (ﷺ) في الدعوة وفي التعامل مع النفسية البشرية وتربيته ودقته وتنظيمه، ففيها ثروة هائلة من الدروس الدعوية التي تدخل في دوائر التعليم والتربية والتثقيف، وبعد النظر، وجمع القلوب على الغاية المحمودة، وإلى غير

(١) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ٣٥٣؛ وقراءة سياسية للسيرة النبوية، لمحمد

قلعجي، دار النفائس، الطبعة الأولى، (بيروت-لبنان/١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ٢٨٤.

ذلك من مظاهر العظمة للعاملين في مجال الدعوة والتعامل مع الآخرين ومجالات عدّة ، نفسياً، واجتماعياً، واقتصادياً، وإدارياً، وسياسياً، وعسكرياً، تعطي لكل عامل في جانب من هذه الجوانب درسا تكفيه وتغنيه^(١).

وقد تميز العام التاسع بتوافد العرب إلى المدينة^(٢)، وقد استعدت الدولة الإسلامية لاستقبالهم وتهيئة المناخ الدعوي والتربوي لهم ، وقد تمثل هذا الاستقبال، بتهيئة مكان إقامة لهم وكانت هناك دار للضيافة ينزل فيها الوافدون^(٣)، وهناك مسجد رسول الله (ﷺ) الذي كان ساحة للاستقبال ، ثم كان هناك تطوع أو تكليف رسول الله (ﷺ) لأحد الصحابة باستضافة بعض القادمين من الوفود^(٤) .

واهتم (ﷺ) بتلك الوفود وحرص على تعليمها وتربيتها، وقد كانت تلك الوفود حريصة على فهم الإسلام وتعلم شرائعه وأحكامه، وآدابه، ونظمه في الحياة، وتطبيق ما علموه تطبيقاً عملياً، جعلهم نماذج حياة لفضائله،

(١) ينظر: الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية ، لسعيد حوى ، دار السلام ، من

دون طبعة ، (بلا/١٤٠٩هـ/١٩٨٩م) ، ١٠١٤/٢ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٢١/٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ٥٢١/٣ ؛ والمدينة المنورة فجر الإسلام والعصر الراشدي ،

لمحمد حسين شراب ، دار القلم ، الطبعة الأولى ، (دمشق/١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ،

٤٠٠/٢ .

(٤) ينظر: دراسات في عهد النبوة ، ٢٢١ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل

أحداث ، ٨٦٢ .

وقد كان لكثير منهم تساؤلات عن أشياء كانت شائعة بينهم ابتغاء معرفة حلالها وحرامها ، وكان النبي (ﷺ) حريص أشد الحرص ايضاً على دعوتهم وتفقيهم في الدين ، وبيان ما سألوه عنه، وكان (ﷺ) يدني منهم من يعلم منه زيادة حرص على القرآن العظيم وحفظ آياته تفقها فيه ويقول لأصحابه: (فقهوا إخوانكم)^(١)، فكان الصحابة الكرام (رضي الله عنهم) يعلمونهم مما علموا ، ويحدثونهم بما سمعوا ، ويذكرون لهم مكارم النبي (ﷺ) وبره وبشره واستتارة وجهه سروراً بمقدمهم عليه ، ويذكرون لهم ما شاهدوه من حال أصحابه في تأخيهم وتحاببهم، ومواساة بعضهم بعضاً ليثيروا في أنفسهم الشوق إلى لقاء رسول الله (ﷺ) ولقاء أصحابه ، ويحببوا إليهم التآسي بهم في سلوكهم ومكارم أخلاقهم، فكانت النتيجة دخول أكثر الوفود في الاسلام ، واختارت بعض الوفود القليلة البقاء على نصرانيتها كوفود نصارى نجران ودفعت الجزية^(٢).

وقد اختلف العلماء في تاريخ مقدم الوفود على رسول الله (ﷺ) وفي عددها، حيث أشارت المصادر الحديثة والتاريخية إلى قدوم بعض الوفود إلى المدينة في تاريخ مبكر عن السنة التاسعة^(٣)؛ ولعل مما أدى إلى الاختلاف في تحديد عدد الوفود بين ما يزيد على ستين وفداً عند

(١) فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٥٤ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٢١/٣ .

(٣) ينظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية ، ٢٨٤ ؛ ومحمد رسول الله ، لمحمد الصادق

عرجون ، دار القلم ، الطبعة الثانية ، (بلا/١٤١٥هـ/١٩٩٥م) ، ٥١٢/٤ .

البعض^(١)، ويرتفع فيبلغ أكثر من مائة وفد عند آخرين^(٢)، ومنهم أربعة وثلاثين وفداً^(٣)، ولعل البعض قد اقتصر على ذكر المشهور منهم وهم ستة وفود^(٤)، ولكثرة هذه الوفود ؛ سميت السنة التاسعة من الهجرة بعام الوفود^(٥).

وستكون دراستي في هذا المبحث مقتصرة على ذكر الوفود الستة ، ففي كل مطلب سأتناول أهم الاحداث والجوانب الدعوية المفادة من قدوم الوفد ، وسأتناوله في ستة مطالب :

المطلب الأول: الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد تقيف على النبي ﷺ .

المطلب الثاني: الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد عبد القيس على النبي ﷺ .

(١) ينظر: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، ٤٤٣/٧ .

(٢) ينظر: البداية والنهاية ، ٤٦/٥ ؛ ودراسات في عهد النبوة ، ٢٢١ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٢٦٤/٣ ؛ وفقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٥٤ .

(٤) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ ، ٣٩٧/١ ؛ والسيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث ، ٨٦١ .

(٥) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٥٣ ؛ والسيرة النبوية الصحيحة ، للدكتور أكرم ضياء العمري ، مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الخامسة ، (المدينة المنورة/١٤١٣هـ) ، ٥٤٢/٢ .

المطلب الثالث: الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد بني حنيفة على النبي (ﷺ).

المطلب الرابع: الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد دوس على النبي (ﷺ).

المطلب الخامس: الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد نجران على النبي (ﷺ).

المطلب السادس: الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد صداء على النبي (ﷺ).

المطلب الأول

الجانب الدعوي المفاد من قدوم

وفد ثقيف على النبي (ﷺ)

أولاً: ذكر قدوم وفد ثقيف على النبي (ﷺ) وقصة إسلامهم.

وفد ثقيف هم أهل مدينة الطائف وقد لاقى منهم رسول الله (ﷺ) ما لاقاه في رحلته إلى الطائف كما ذكرنا، وقصة إسلامهم هو أن رئيسهم عروة بن مسعود الثقفي^(١) جاء إلى رسول الله (ﷺ) بعد مرجعه من غزوة

(١) عروة بن مسعود الثقفي عم المغيرة بن شعبة بعثه رسول الله (ﷺ) داعياً إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام، فقتلوه بعد مقله من حنين، وكان صاحب قريش =

الطائف في ذي القعدة سنة ثمانية للهجرة قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم عروة ، ورجع إلى قومه ، ودعاهم إلى الإسلام وهو يظن أنهم يطيعونه ؛ لأنه كان سيداً مطاعاً في قومه ، وكان أحب إليهم من أبقارهم ، فلما دعاهم إلى الإسلام رموه بالنبل من كل وجه حتى قتلوه^(١) ، ثم أقاموا بعد قتله أشهراً ، ثم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب - الذين كانوا قد بايعوا وأسلموا - فأجمعوا أن يرسلوا رجلاً إلى رسول الله (ﷺ) ، فكلّموا عبد ياليل بن عمرو^(٢) ، وعرضوا عليه ذلك فأبى ، وخاف أن يصنعوا به إذا رجع مثل ما صنعوا بعروة ، وقال: لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجلاً ، فبعثوا معه رجلين من

يوم الحديبية، وحضر النبي (ﷺ)، فلما رجع إلى قريش، قال: إن هذا الذي عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها؛ ينظر: معرفة الصحابة، للأصبهاني، ٢١٨٨/٤.

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤٣٦/٣؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ٣٠٨.

(٢) عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي كان وجهاً من وجوه ثقيف، وهو الذي أرسلته ثقيف إلى رسول الله (ﷺ) بعد قتل عروة بن مسعود، وأرسلوا معه خمسة رجال بإسلامهم، وكانت ثقيف أرادوا أن يرسلوه وحده، فامتنع، وكان من أعظم الناس بركة لقومه في زمن الردة، فإن ثقيفاً لما عزمتم على الردة قال لهم: يا معشر ثقيف كنتم آخر الناس إسلاماً، فلا تكونوا أول الناس ردة، فامتنعوا على الردة، وثبتوا على الإسلام؛ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ٥٠٧/٣.

الأحلاف وثلاثة من بني مالك ، فصاروا ستة فيهم عثمان بن أبي العاص الثقفي^(١)، وكان أحدثهم سناً^(٢).

قال ابن القيم "رحمه الله" عن قدوم وفد ثقيف : (فقدم وفدهم وفيهم كنانة بن عبد ياليل ، وهو رأسهم يومئذ، وفيهم عثمان بن أبي العاص وهو أصغر الوفد ، فقال المغيرة بن شعبه (ﷺ) : يا رسول الله أنزل قومي علي فأكرمهم ، فإني حديث الجرح فيهم ، فقال رسول الله (ﷺ) : (لا أمنعك أن تكرم قومك ، ولكن أنزلهم حيث يسمعون القرآن)^(٣)، وكان من جرح المغيرة في قومه أنه كان أجيراً لثقيف، وأنهم أقبلوا من مضر حتى إذا كانوا ببعض الطريق عدا عليهم وهم نيام فقتلهم ، ثم أقبل بأموالهم حتى أتى رسول الله (ﷺ)، فقال رسول الله (ﷺ) : (أما الإسلام فنقبل ، وأما المال فلا، فإننا لا نغدر)^(٤)، وأبى أن يخمس ما معه ، وأنزل رسول الله (ﷺ) وفد ثقيف في المسجد، وبنى لهم خياماً لكي يسمعوا القرآن ، ويروا الناس إذا

(١) عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان الثقفي، يكنى أبا عبد الله ،

استعمله رسول الله (ﷺ) على الطائف، فلم يزل عليها حياة رسول الله (ﷺ) وخلافة أبي بكر (ﷺ) وسنتين من خلافة عمر (ﷺ)، كان سبب إمساك ثقيف عن الردة حين ارتدت العرب ، سكن عثمان بن أبي العاص البصرة ، ومات في خلافة معاوية ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ١٠٣٥/٣ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٢١، ٤٣٧/٣ .

(٣) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٠٨ ؛ والرحيق المختوم ، ٤١٢ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشروط ، باب: الشروط في الجهاد

المصالحة مع اهل الحرب ، ١٩٣/٣ ، رقم الحديث (٢٧٣١) .

صلوا ، وكان رسول الله (ﷺ) إذا خطب لا يذكر نفسه ، فلما سمعه وفد ثقيف قالوا : يأمرنا أن نشهد أنه رسول الله ولا يشهد به في خطبته ، فلما بلغه (ﷺ) قولهم قال : (فإني أول من شهد أني رسول الله) (١) ، وكانوا يغدون إلى رسول الله (ﷺ) كل يوم ، ويخلفون عثمان بن أبي العاص على رحالهم لأنه أصغرهم ، فكان عثمان كلما رجع الوفد إليه وقالوا بالهجرة ، عمد إلى رسول الله (ﷺ) : فسأله عن الدين واستقرأه القرآن ، فاختلف إليه عثمان مرارا حتى فقه في الدين وعلم ، وكان إذا وجد رسول الله (ﷺ) نائما عمد إلى أبي بكر ، وكان يكتف ذلك من أصحابه ، فأعجب ذلك رسول الله (ﷺ) وأحبه ، فمكث الوفد يختلفون إلى رسول الله (ﷺ) وهو يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا ، فقال كنانة بن عبد ياليل : هل أنت مقاضينا حتى نرجع إلى قومنا؟ قال : (نعم ، إن أنتم أقررتم بالإسلام أقاضيكم ، وإلا فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم) (٢) ، قال : أفرايت الزنى ، فإننا قوم نغترب ولا بد لنا منه ؟ قال : (هو عليكم حرام ، فإن الله (ﷻ) يقول : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٥٢٠ ؛ وتاريخ المدينة لابن شبة ، عمر بن شبة بن عبيدة بن ربيعة أبو زيد النميري البصري (ت: ٢٦٢هـ) ، تحقيق: فهميم محمد شلتوت ، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد ، من دون طبعة ، (جدة / ١٣٩٩هـ) ، ٢ / ٥٠٢ .

(٢) فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٠٩ ؛ وسبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، ٦/٢٩٨ .

الرِّبَّةُ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿١﴾ ، قالوا : أفرأيت الربا فإنه أموالنا كلها ؟ قال : لكم رؤوس أموالكم إن الله (ﷻ) يقول : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٢﴾ ، قالوا : أفرأيت الخمر ، فإنه عصير أرضنا لا بد لنا منها ؟ قال : إن الله قد حرمها ، وقرأ قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ﴿٣﴾ ، فارتفع القوم فخلا بعضهم ببعض ، فقالوا : ويحكم إنا نخاف إن خالفناه يوماً كيوم مكة ، انطلقوا نكاتبه على ما سأله ، فأتوا رسول الله (ﷺ) فقالوا : نعم ، لك ما سألت ، أ رأيت الرِّبَّةُ ﴿٤﴾ ماذا ن صنع فيها ؟ قال : اهدموها ، قالوا : هيهات ، لو تعلم الرية أنك تريد هدمها ، لقتلت أهلها ، فقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : (ويحك يا ابن عبد ياليل ، ما أجهلك ، إنما الرية حجر) ﴿٥﴾ ، فقالوا : إنا لم نأتك يا

(١) سورة الاسراء ، الآية (٣٢) .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٧٨) .

(٣) سورة المائدة ، الآية (٩٠) .

(٤) الرِّبَّةُ: هي مكان بيت اللات في موضع مسجد الطائف ، أو تحت منارة مسجد

الطائف ، وقد عرف البيت الذي بني على اللات بيت الرية ، ويقصدون بالرية

وثنهم الذي يسمى اللات طاغية ثقيف ، والرية هي الصخرة التي كانت ثقيف

تعبدونها بالطائف ؛ لأنه أنثى في نظر عابديه ، وانشئ المسجد في هذا المكان ؛

ينظر : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ١/١٥١ .

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٤٣٦ ، ٥٢٣ .

ابن الخطاب ، وقالوا لرسول الله (ﷺ) تول أنت هدمها ، فأما نحن ، فإننا لا نهدمها أبداً، قال (فسأبعث إليكم من يكفيكم هدمها)^(١)، فكاتبوه ، فقال كنانة بن عبد ياليل : ائذن لنا قبل رسولك ، ثم ابعث في آثارنا ، فإننا أعلم بقومنا ، فأذن لهم رسول الله (ﷺ) وأكرمهم وحباهم، وقالوا: يا رسول الله ! أمر علينا رجلاً يؤمننا من قومنا ، فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رأى من حرصه على الإسلام، وكان قد تعلم سوراً من القرآن قبل أن يخرج، فقال كنانة ابن عبد ياليل : أنا أعلم الناس بتقيف ، فاكتموهم القضية ، وخوفوهم بالحرب والقتال، وأخبروهم أن محمداً سألنا أموراً أبيناها عليه، سألنا أن نهدم اللات والعزى ، وأن نُحرم الخمر والزنى ، وأن نبطل أموالنا في الربا، فخرجت تقيف حين دنا منهم الوفد يتلقونهم ، فلما رأوهم قد ساروا العنق ، وقطروا الإبل ، وتغشوا ثيابهم كهيئة القوم قد حزنوا وكرهوا ، ولم يرجعوا بخير، فقال بعضهم لبعض: ما جاء وفدكم بخير، ولا رجعوا به ، وترجل الوفد وقصدوا اللات ، ونزلوا عندها - واللات وثن كان بين ظهراني الطائف، يُستر ويهدى له الهدى كما يهدى لبيت الله الحرام - فقال ناس من تقيف حين نزل الوفد إليها : إنهم لا عهد لهم برؤيتها، ثم رجع كل رجل منهم إلى أهله ، وجاء كلا منهم خاصته من تقيف فسألوهم ماذا جئتم به وماذا رجعتم به ؟ قالوا : أتينا رجلاً فظاً غليظاً يأخذ من أمره ما يشاء قد ظهر بالسيف ، وداخ له العرب ، ودان له الناس ، فعرض علينا أموراً شداداً : هدم اللات والعزى ، وترك الأموال

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٣٧/٣ .

في الربا إلا رؤوس أموالكم ، وحرّم الخمر والزنى ، فقالت ثقيف : والله لا نقبل هذا أبداً ، فقال الوفد : أصلحوا السلاح وتهيئوا للقتال ، وتعبئوا له ورموا حصنكم ، فمكثت ثقيف بذلك يومين أو ثلاثة يريدون القتال ، ثم ألقى الله (ﷺ) في قلوبهم الرعب ، وقالوا : والله ما لنا به طاقة ، وقد داخ له العرب كلها ، فارجعوا إليه فأعطوه ما سأل وصالحوه عليه^(١) ، فلما رأى الوفد أنهم قد رغبوا واختاروا الأمان على الخوف والحرب ، قال الوفد : فإننا قد قاضيناه وأعطيناه ما أحببنا ، وشرطنا ما أردنا ، ووجدناه أتقى الناس وأوفاهم ، وأرحمهم وأصدقهم ، وقد بورك لنا ولكم في مسيرنا إليه ، وفيما قاضيناه عليه ، فاقبلوا عافية الله ، فقالت ثقيف : فلم كتمتمونا هذا الحديث ، وغمتمونا أشد الغم ؟ قالوا : أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان ، فأسلموا مكانهم ومكثوا أياماً ، ثم قدم عليهم رسل رسول الله (ﷺ) قد أمر عليهم خالد بن الوليد ، وفيهم المغيرة بن شعبة (رضي الله عنهم) ، فلما قدموا عمدوا إلى اللات ليهدموها ، واستكفت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان ، حتى خرج العواتق^(٢) من الحجال لا ترى عامة ثقيف

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٤٣٨/٣ .

(٢) العواتق : جمع عاتق : وهي الجارية أول ما أدركت ، أو هي التي ما بين أن

تبلغ إلى أن تعنس والتعنيس طول المقام في بيت أبيها بلا زوج حتى تطعن في

السن ، وسميت بذلك لأنها عتقت عن خدمة أبيها ولم يدكها زوج بعد ؛ ينظر :

النهاية في غريب الحديث والأثر ، ١٧٩/٣ .

أنها مهدومة يظنون أنها ممتعة ، فقام المغيرة بن شعبة فأخذ الكرزين^(١) ، وقال لأصحابه : والله لأضحكنكم من ثقيف، فضرب بالكرزين ثم سقط يركض ، فارتج أهل الطائف بضجة واحدة ، وقالوا : أبعد الله المغيرة قتلته الربة، وفرحوا حين رأوه ساقطاً، وقالوا : من شاء منكم فليقرب وليجتهد على هدمها، فو الله لا تستطاع ، فوثب المغيرة بن شعبة (ﷺ) فقال: (قبحكم الله يا معشر ثقيف، إنما هي لكاع حجارة ومدر، فاقبلوا عافية الله وابدؤوه)^(٢)، ثم ضرب الباب فكسره ، ثم علا سورها وعلا الرجال معه ، فما زالوا يهدمونها حجراً حجراً حتى سووها بالأرض، وجعل صاحب المفتاح يقول : ليغضبني الأساس فليخسفن بهم، فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد: دعني أحفر أساسها، فحفره حتى أخرجوا ترابها وانتزعوا حليها ولباسها، فبهتت ثقيف، وأقبل الوفد حتى دخلوا على رسول الله (ﷺ) بحليها وكسوتها، فقسمه رسول الله (ﷺ) من يومه ، وحمد الله على نصره نبيه وإعزاز دينه^(٣) .

(١) الكرزين : والكرزن ، والكرزين بمعنى واحد ، والجمع : كرازين وكرازن وهو :

الفأس الكبير الحاد ؛ ينظر: تهذيب اللغة ، ١٠/٢٣٢ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٤٣٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ٣/٤٣٨ .

(وعن جابر (رضي الله عنه) قال : اشترطت ثقيف على النبي (ﷺ) ألا صدقة عليها ولا جهاد، فقال النبي (ﷺ) بعد ذلك : سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا (١) .

(وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص (رضي الله عنه) ، قلت: يا رسول الله ! إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، قال: (ذاك شيطان يقال له : خنزب ، فإذا أحسسته ، فتعوذ بالله منه ، واتفل عن يسارك ثلاثاً ، ففعلت ، فأذهب الله عني) (٢).

ثانياً : الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد ثقيف.

لقد اشار ابن القيم "رحمه الله" الى اهم الجوانب الدعوية المفادة من قدوم وفد ثقيف ، والتي نوجزها على النحو الاتي :

١. تهيئة مكان نزول الوفود ، فقد أعد رسول الله (ﷺ) عددًا من دور المدينة لإنزال الوفود بها، ومنها دار رملة بنت الحارث النجارية (٣)

(١) اخرجه أبي داود في سننه ، ١٦٣/٣ ، رقم الحديث (٣٠٢٥)، قال الالباني : حديث صحيح .

(٢) اخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب: التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة والدعاء إليه ، ١٧٢٨/٤ ، رقم الحديث (٢٢٠٣)، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد الأنصارية النجارية ، فعن ابن إسحاق انه قال: ثم استنزلوا يعني: بني قريظة لما حكم سعد بن معاذ فيهم ، فحبسوا في دار رملة بنت الحارث، امرأة من الأنصار من بني النجار، وذكرها ابن حبيب فيمن بايع رسول الله (ﷺ) من الأنصار؛ ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ١١٦/٧ .

(رضي الله عنها) ، وكان دارها واسع ، وفيها نخيل وزروع ، ودار المغيرة بن شعبة ، ودار أبي أيوب الأنصاري ونزل بها وفد نجران ، ودار بلال ، وقد نزل بها ملك أيلة حين قدم مع أهل الشام واليمن^(١).

٢. إكرام الوفد ، فقد أمر النبي (ﷺ) أصحابه بأن يحسنوا استقبال الوفود، ويكرموا وفادتهم فقاموا بذلك خير قيام ، وقد نزل وفد بني حنيفة دار رملة بنت الحارث (رضي الله عنها) فأكلوا مرة خبزاً ولحمًا، ومرة خبزاً ولبنًا، ومرة خبزاً وسمناً، وفيه أن النبي (ﷺ) رحب بوفد عبد قيس ، وأكرمهم ، وحياهم ، وأمر بلالاً أن يحسن ضيافتهم^(٢).

٣. إنَّ الرجل من أهل الحرب إذا غدر بقومه وأخذ أموالهم ، ثم قدم مسلماً لم يتعرض له الإمام ، ولا لما أخذه من المال ، ولا يضمن ما أتلفه قبل مجيئه من نفس ولا مال ، كما لم يتعرض النبي (ﷺ) لما أخذه المغيرة من أموال الثقفيين ، ولا ضمن ما أتلفه عليهم، وقال: (أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء)^(٣).

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٣/٥٢٠ ؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ١/٦٦٠ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٥٦ .

(٣) سبق تخريجه ، ٣١٦ .

٤. جواز إنزال المشرك في المسجد ، ولا سيما إذا كان يرجو إسلامه ، وتمكينه من سماع القرآن ، ومشاهدة أهل الإسلام وعبادتهم^(١).

٥. حسن معاملة الوفود والمستأمنين: والفرق بين الوفد والمستأمن، أن الأول قادم رسولا عن قومه وهو يكون دائما مكوناً من عدة أفراد ، أما الثاني فقادم لنفسه يطلب الأمان في بلاد المسلمين ريثما يأخذ علماً عنهم وعن الإسلام^(٢).

فأما المستأمن فقد أمر الله بحسن استقباله والمحافظة عليه ثم إبلاغه بأمنه عندما يريد ذلك، وذلك بصريح قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

وأما الوفود ، فقد دلّ على هذا الحكم أيضا في حقهم، القياس على المستأمن، وعمل رسول الله (ﷺ) في حسن سياسته ومعاملته معهم ، فقد رأينا كيف أكرم الرسول (ﷺ) وفد ثقيف في القدوم والإقامة^(٤).

٦. حسن سياسة الوفد ، وتلطفهم حتى تمكنوا من إبلاغ قومهم ما قدموا به فتصوروا لهم بصورة المنكر لما يكرهونه ، الموافق لهم

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٢١/٣ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٥٦ .

(٣) سورة التوبة ، الآية (٦) .

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٢٦/٣ ؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز

لتاريخ الخلافة الراشدة ، ٣١٧ .

فيما يهوونه ، حتى ركنوا إليهم واطمأنوا، فلما علموا أنه ليس لهم بد من الدخول في دعوة الإسلام أذعنوا ، فأعلمهم الوفد أنهم بذلك قد جاءوهم ، ولو فاجؤوهم به من أول وهلة لما أقرؤا به ، ولا أذعنوا، وهذا من أحسن الدعوة وتمام التبليغ ، ولا يتأتى مع ألباء الناس وعقلائهم^(١).

٧. إنَّ المستحق لإمرة القوم وإمامتهم أفضلهم وأعلمهم بكتاب الله (ﷺ)، وأفقههم في دينه^(٢).

٨. استحباب اتخاذ المساجد مكان بيوت الطواغيت ، فيعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً في الأمكنة التي كان يشرك به فيها، وهكذا الواجب في مثل هذه المشاهد أن تهدم ، وتجعل مساجد إن احتاج إليها المسلمون ، وإلا أقتطعها الإمام هي وأوقافها للمقاتلة وغيرهم^(٣).

٩. جواز صرف الإمام الأموال التي تصير إلى هذه المشاهد والطواغيت في الجهاد ومصالح المسلمين، فيجوز للإمام بل يجب عليه أن يأخذ أموال هذه ، وللإمام أن يقطعها ويوقفها لجنود

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٥٦ ؛ والسيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ٥٩٤ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٢٦/٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ٥٢٦/٣ ؛ ومرويات غزوة حنين وحصار الطائف ، لإبراهيم بن إبراهيم قريبي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، (المدينة النبوية-المملكة العربية السعودية / ١٤١٢هـ) ، ٥٠٩/٢ .

الإسلام ، ويستعين بها على مصالح المسلمين ، وكذلك ما فيها من الآلات والمتاع والنذور التي تساق إليها ، يضاهى بها الهدايا التي تساق إلى البيت الحرام ، فلإمام أخذها كلها ، وصرفها في مصالح المسلمين ، كما أخذ النبي (ﷺ) أموال بيوت هذه الطواغيت وصرفها في مصالح الإسلام^(١) .

المطلب الثاني

الجانب الدعوي المفاد من قدوم

وفد عبد القيس على النبي (ﷺ)

أولاً: ذكر قدوم وفد عبد القيس على النبي (ﷺ) وقصة اسلامهم .
ومن الوفود التي قدمت على النبي (ﷺ) وفد عبد القيس ايضاً، وقدم ذكرها ابن القيم "رحمه الله" ، فقال : (إن في الصحيحين من حديث ابن عباس (رضي الله عنه) : أن وفد عبد القيس قدموا على النبي (ﷺ) فقال: ممن القوم؟، فقالوا: من ربيعة، فقال: مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى ، فقالوا: يا رسول الله ! إن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر فصل نأخذ به ونأمر به من وراءنا، وندخل

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٥٧ .

به الجنة^(١)، فقال (ﷺ): (أمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع: أمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا الخمس من المغنم؛ وأنهاكم عن أربع: عن الدباء^(٢)، والحنتم، والنقير،

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٢٩/٣ .

(٢) (الدباء) هو القرع والمراد اليايس منه ، (والحنتم) هي الجرة ، (والمزفت) وهو ما طلي بالزفت، (والمقير) وهو ما طلي بالقار ويقال له القير : وهو نبت يحرق إذا يبس تطفى به السفن وغيرها ، وقوله : ونهاهم عن الدباء والحنتم، أي عن الانتباز في هذه الأشياء. والدباء الفرعة. والحنتم الحناتم: الجرار. والمزفت: الذي قد طلي بالزفت: وهو القار. والنقير: أصل النخلة ينقر فيتخذ منها ما ينتبذ فيه. وإنما نهاهم عن هذه الأواني لأن الشراب قد يغلي فيها ويصير مسكرا ولا يعلم به، لا أنها تحرم شيئا، وكذلك خلط البلح بالزهر يوجب تعاونهما الاشتداد، وكل هذه الأشياء مكروهة ما لم توجب اشتدادا، فإذا حدثت بها شدة حرمت ، وقوله للأشج. الأشج لقب، واسمه المنذر، وقيل: قيس ، والأناة: التاني والتثبت وترك العجلة إلى أن يتضح الصواب ؛ ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين ، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) ، تحقيق : علي حسين البواب ، دار الوطن ، من دون طبعة ، (الرياض/ بلا سنة نشر) ، ٣٨٢/٢ ، رقم الحديث (٨٩٣) ، من مسند عبدالله بن العباس؛ وعون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم : تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته ، لمحمد أشرف ابن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن ، شرف الحق ، الصديقي العظيم آبادي (ت: ١٣٢٩هـ) ، دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى، (بيروت/١٤١٥هـ) ، ١١٤/١٠ .

والمزفت ، فاحفظوهن وادعوا إليهن من وراءكم^(١)، وزاد مسلم في صحيحه: (... قالوا: يا رسول الله، ما علمك بالنقير؟ قال: بلى جذع تتقرونه، ثم تلقون فيه من التمر، ثم تصبون عليه الماء حتى يغلي، فإذا سكن شربتموه، فعسى أحدكم أن يضرب ابن عمه بالسيف، وفي القوم رجل به ضربة كذلك، قال: وكنت أخبؤها حياء من رسول الله ﷺ) قالوا: ففيم نشرب يا رسول الله؟ قال: (اشربوا في أسقية الأدم التي يلاث على أفواهها)^(٢)، قالوا: يا رسول الله! إن أرضنا كثيرة الجرذان لا تبقى فيها أسقية الأدم، قال: (وإن أكلها الجرذان)^(٣)، مرتين أو ثلاثا، ثم قال رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس^(٤): (إن فيك خصلتين يحبهما الله: اللحم والأناة)^(٥).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٣٠/٣ ؛ واخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الادب، باب قول الرجل مرحبا ، ٤١/٨ ، رقم الحديث (٦١٧٦) ، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) .

(٢) اخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الايمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه، ٤٨/١، رقم الحديث (١٨)، عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٣٠/٣ ؛ والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ١٩٢/١ .

(٤) أشج عبد القيس: ويقال أشج بني عصر، العصري العبدي، هو من ولد لكيز بن أفضى بن عبد القيس، كان سيد قومه، ووفد على النبي ﷺ في وفد عبد القيس، فقال له رسول الله ﷺ: يا أشج، فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله، واسم الأشج المنذر بن عائذ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١٤٠/١، ١٤١.

(٥) صحيح السيرة النبوية ، للألباني ، ٦٣١ .

وفي رواية قال النبي (ﷺ) له : (إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله) ، فقال : جبل جبلت عليه أم تخلقا مني؟ قال : (بل جبل) قال : الحمد لله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله^(١) ، وقد انشغل رسول الله (ﷺ) بمقدمهم وآخر صلاة السنة البعدية بعد الظهر وصلاتها بعد العصر^(٢) .

وقال ابن القيم "رحمه الله" : (وقد على رسول الله (ﷺ) الجارود بن بشر بن المعلى^(٣) وكان نصرانياً ، فجاء رسول الله (ﷺ) في وفد عبد القيس ، فقال : يا رسول الله ، إني على دين ، وإني تارك ديني لدينك ، فتضمن لي بما فيه ؟ قال : نعم أنا ضامن لذلك ، إن الذي أدعوك إليه خير من الذي كنت عليه ، فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم قال : يا رسول الله ! احملنا ، فقال : والله ما عندي ما أحملكم عليه ، فقال : يا رسول الله ! إن بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال الناس ، أفنتبلغ عليها ؟ قال : لا ، تلك حرق النار)^(٤) .

(١) ينظر : زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٣٠/٣ .

(٢) ينظر : فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٥٩ .

(٣) بشر بن المعلى ، ويلقب بالجارود بن المعلى ، وقد قال للرسول (ﷺ) : يا رسول الله ، اللقطة نجدتها ؟ قال : انشدها ولا تكتم ، ولا تغيب ، فإن وجدت ربها فادفعها إليه ، وإلا فهو مال الله تعالى يؤتيه من يشاء ، رواه جماعة ، عن أبي العلاء وغيره ، وقد مع وفد عبد قيس على النبي (ﷺ) عام ٥٩ هـ ؛ ينظر : معرفة الصحابة لابن منده ، ٢٣١ .

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٣١/٣ ؛ ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، ٣٢٩/٥ .

ثانياً : الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد عبد القيس

لقد اشار ابن القيم "رحمه الله" الى اهم الجوانب الدعوية المستفادة من

قدوم وفد عبد القيس، والتي نوجزها على النحو الاتي :

١. إنّ الإيمان بالله هو مجموع هذه الخصال من القول والعمل، كما

على ذلك أصحاب رسول الله (ﷺ) والتابعون ، وتابعوهم كلهم (١).

٢. إنّ الحج لم يعد ضمن هذه الخصال، وكان قدومهم في سنة تسع،

وهذا أحد ما يحتج به على أن الحج لم يكن فرض بعد، وأنه إنما

فرض في العاشرة ، ولو كان فرضاً لعهده من الإيمان ، كما عد

الصوم والصلاة والزكاة (٢).

٣. لا يكره أن يقال : رمضان للشهر خلافاً لمن كره ذلك ، وقال : لا

يقال : إلا شهر رمضان ، وفي الصحيحين : (من صام رمضان

إيماناً واحتساباً، غفر له ما تقدم من ذنبه) (٣).

٤. وجوب أداء الخمس من الغنيمة ، وأن هذا من الإيمان (٤).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٣١/٣ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٥٩ .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٣٢/٣ ؛ واخرجه البخاري في صحيحه ،

كتاب الايمان : باب : صوم رمضان احتساباً من الايمان ، ١٦/١ ، رقم الحديث

(٣٨) ؛ واخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافر وقصرها : باب:

الترغيب في قيام رمضان ، وهي التراويح ، ٥٢٣/١ ، رقم الحديث (٧٦٠) .

(٤) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٦١ .

٥. مدح صفتي الحلم والأناة ، وأن الله يحبهما، وضدهما الطيش والعجلة، وهما خلقان مذمومان مفسدان للأخلاق والأعمال ، وفيه دليل على أن الله تعالى يحب من عبده ما جبله عليه من خصال الخير، كالذكاء والشجاعة والحلم ، وفيه دليل على أن الخلق قد يحصل بالتخلق والتكاف؛ لقوله : (خلقين تخلقت بهما، أو جباني الله عليهما ؟ فقال: بل جبلت عليهما)^(١)، وفيه دليل على أنه سبحانه خالق أفعال العباد وأخلاقهم، كما هو خالق ذواتهم وصفاتهم، فالعبد كله مخلوق ذاته وصفاته وأفعاله، ومن أخرج أفعاله عن خلق الله، فقد جعل فيه خالقا مع الله، ولهذا شبه السلف القدرية النفاة بالمجوس، وقالوا: هم مجوس هذه الأمة، صح ذلك عن ابن عباس (رضي الله عنه)^(٢)، وفيه أيضاً إثبات الجبل لا الجبر لله تعالى، وأنه يجبل عبده على ما يريد، كما جبل الأشج على الحلم والأناة، وهما فعلا ناثتان عن خلقين في النفس، فهو سبحانه الذي جبل العبد على أخلاقه وأفعاله، ولهذا قال الأوزاعي^(٣) "رحمه

(١) فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٦١ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٣٢/٣ .

(٣) الأوزاعي : هو إمام الشاميين أبو عمرو عبد الرحمن بن الأوزاعي الفقيه، وروى عن عطاء والقاسم بن مخيمرة وخلق كثير من التابعين ، وكان رأسا في العلم والعمل كثير المناقب، وقال أبو مسهر: كان الأوزاعي يحيي الليل صلاة وقرآنا وبكاء ، مات في سنة ١٥٧ هـ ؛ ينظر: تهذيب التهذيب ، لأحمد بن علي بن =

الله" وغيره من أئمة السلف : نقول (إن الله جبل العباد على أعمالهم، ولا نقول جبرهم عليها)^(١)، وهذا من كمال علم الأئمة، ودقيق نظرهم، فإن الجبر أن يحمل العبد على خلاف مراده، كجبر البكر الصغيرة على النكاح، وجبر الحاكم من عليه الحق على أدائه، والله سبحانه أقدر من أن يجبر عبده بهذا المعنى، ولكنه يجبله على أن يفعل ما يشاء الرب بإرادة عبده واختياره ومشيئته، فهذا لون، والجبر لون^(٢).

٦. إنَّ الرجل لا يجوز له أن ينتفع بالضالة التي لا يجوز التقاطها كالإبل، فإن النبي (ﷺ) لم يجوز للجارود ركوب الإبل الضالة، وقال: (ضالة المسلم حرق النار)^(٣)، وذلك لأنه إنما أمر بتركها، وأن لا يلتقطها حفظاً على ربها حتى يجدها إذا طلبها، فلو جوز له ركوبها والانتفاع بها، لأفضى إلى أن لا يقدر عليها ربها، وأيضاً تطمع فيها النفوس وتتملكها، فمنع الشارع من ذلك^(٤).

=محمد بن أحمد بن حجر أبو الفضل العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الطبعة الأولى، (الهند/١٣٢٦هـ)، ١٩٣/١١ .

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٣٣/٣ .

(٢) المصدر نفسه، ٥٣٣/٣ .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ١٨٥/٢، رقم الحديث (٦٢٠) .

(٤) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ٣٦١ .

المطلب الثالث

الجانب الدعوي المفاد من قدوم بني حنيفة على النبي (ﷺ)

أولاً: ذكر احداث قدوم بني حنيفة

قال ابن القيم "رحمه الله": (قدم على رسول الله (ﷺ) وفد بني حنيفة ، وفيهم مسيلمة الكذاب^(١)، وكان منزلهم في دار امرأة من الأنصار من بني النجار^(٢)، فأتوا بمسيلمة إلى رسول الله (ﷺ) يستر بالثياب ، ورسول الله (ﷺ) جالس مع أصحابه في يده عسيب من سعف النخل، فلما انتهى إلى

(١) مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي ، أبو ثمامة : متبئ ومن المعمرين ، ولد ونشأ باليمامة، في القرية المسماة اليوم بالجبيلة ، بقرب بوادي حنيفة ، في نجد ، وتلقب في الجاهلية بالرحمن، وعُرف برحمان اليمامة، وأكثر مسيلمة من وضع أسجاع يضاهي بها القرآن، وتوفي النبي (ﷺ) قبل القضاء على فتنته، فلما انتظم الامر لأبي بكر، انتدب له خالد بن الوليد وهاجم ديار بني حنيفة وقتل مسيلمة في ١٢ هـ ؛ ينظر: الإكمال في رفع الارتياح عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب ، ٣٧ / ٤ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٣٣/٣ ؛ والسيرة النبوية لابن هشام ، ٧٤/٣ .

رسول الله (ﷺ) وهم يسترونه بالثياب كلمه وسأله ، فقال له رسول الله (ﷺ) : (لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك)^(١).

وقال ابن إسحاق "رحمه الله" : قال لي شيخ من أهل اليمامة من بني حنيفة : إن حديثه كان على غير هذا، زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله (ﷺ) ، وخلفوا مسيلمة في رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا له مكانه ، فقالوا: يا رسول الله ! إنا قد خلفنا صاحبنا لنا في رحالنا وركابنا يحفظها لنا، فأمر له رسول الله (ﷺ) بما أمر به للقوم، وقال: (أما إنه ليس بشركم مكاناً)^(٢)، يعني حفظه ضيعة أصحابه، وذلك الذي يريد رسول (ﷺ)، ثم انصرفوا وجاءوه بالذي أعطاه ، فلما قدموا اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ، وقال : إني أشركت في الأمر معه ، ألم يقل لكم حين ذكرتموني له : أما إنه ليس بشركم مكاناً، وما ذلك إلا لما كان يعلم أنني قد أشركت في الأمر معه ، ثم جعل يسجع السجعات ، فيقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن : لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى ، ومن بين صفاق وحشا... ووضع عنهم الصلاة ، وأحل لهم الخمر والزنى ، وهو مع ذلك

(١) اخرجہ البخاري في صحيحه ، كتاب المناقب ، باب: علامات النبوة في الإسلام، ٢٠٣/٣، رقم الحديث (٣٦٢٠) ، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) ؛ واخرجہ مسلم في صحيحه ، كتاب الرؤيا ، باب رؤيا النبي (ﷺ) ، ١٧٨٠/٤ ، رقم الحديث (٢٢٧٣) .

(٢) فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٦١ ؛ والاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (ﷺ) والثلاثة الخلفاء ، ٦٢٥/١ .

يشهد لرسول الله (ﷺ) أنه نبي، فأصفت معه -أي أجمعوا عليه- بنو حنيفة على ذلك^(١).

(وقد كتب لرسول الله (ﷺ) : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، أما بعد: فإنني أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأمر ، ولقريش نصف الأمر ، وليس قريش قوماً يعدلون فقدم عليه رسوله بهذا الكتاب ، فكتب إليه رسول الله (ﷺ) : (بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ، وكان ذلك في آخر سنة عشر)^(٢).

(١) ينظر: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد ، ٣٢٦/٦ ؛ والمفصل في

تاريخ العرب قبل الإسلام ، ٩٠/١١ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٣٤/٣ ؛ ورواه البيهقي في شعب

الإيمان ، لأحمد ابن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجْردي الخراساني ، أبو

بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ،

أشرف على تحقيقه وتخرجه أحاديثه : مختار أحمد الندوي ، مكتبة الرشد للنشر

والتوزيع ، الطبعة الأولى ، (الرياض/١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م) ، ٤٠/٣ ، رقم

الحديث (١٣٧٠) ، قال المحقق : حديث حسن .

وحين جاء رسولا مسيلمة الكذاب الى رسول الله (ﷺ): فقال لهما: فما تقولان انتما ؟ قالوا: نقول كما قال ، فقال رسول الله (ﷺ): (لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما)^(١) .

(وعن ابن عباس "رضي الله عنهما" ، قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله (ﷺ) المدينة ، فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل النبي (ﷺ) ومعه ثابت ابن قيس بن شماس^(٢)، وفي يد النبي (ﷺ) قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه ، فقال: إن سألتني هذه القطعة ما أعطيتها، ولن تعدوا أمر الله فيك ، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني أراك الذي أريت فيه ما أريت ، وهذا ثابت بن قيس يجيبك عني^(٣)، ثم انصرف، قال ابن عباس: فسألت عن قول النبي (ﷺ) : إنك الذي أريت فيه ما أريت، فأخبرني أبو هريرة أن النبي (ﷺ) قال: بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأوحى إلي في المنام أن انفخهما فنفختهما

(١) أخرجه ابو داود في سننه ، في كتاب الجهاد، باب: في الرسل ، قال: حديث صحيح ، من حديث نعيم بن مسعود (رضي الله عنه) ، صححه الالباني ؛ ينظر : صحيح سنن ابي داود ، ٢١١/٤ رقم الحديث (٢٧٦١) .

(٢) ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري ، من بني الحارث بن الخزرج ، لم يشهد بدرا، وكان أمير الأنصار في قتال أهل الردة ، وتوفى سنة ١٢ هـ ؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ١٣٦٧/٣ .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٣٥/٣ .

فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي ، فهذان هما ، أحدهما العنسي^(١) صاحب صنعاء ، والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة^(٢) .

ثانياً : الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد بني حنيفة

لقد اشار ابن القيم "رحمه الله" الى اهم الجوانب الدعوية المستفادة من قدوم وفد بني حنيفة ، والتي نوجزها على النحو الاتي :

١. جواز مكاتبة الإمام لأهل الردة إذا كان لهم شوكة، ويكتب لهم

ولإخوانهم من الكفار عبارة : سلام على من اتبع الهدى^(٣) .

٢. إن الرسول لا يُقتل ولو كان مرتدًا، وهذه هي السنة النبوية^(٤) .

(١) الأسود العنسي: وهو ممن خرج مدعي للنبوّة في عام ١٠هـ فذكر من صنعاء اليمن وقتل باذام عامل النبي (ﷺ) واستصفي امرأته المرزبانة لنفسه فتزوجها، وكانت تكرهه لما صنع بقومها، قال: فأرسلت الى داذويه -وكان خليفة باذام- والى فيروز والى خرزاذ بن بزرج وجرجست الفارسيين فانتتمروا على قتل الأسود، وكان على بابهِ ألف رجل للحرس، فجعلت المرزبانة تسقيه الخمر فكلما قال لها: شويبه، سقته صرفاً حتى سكر، وقام فدخل الفراش، وهو من ريش، وعمد داذويه وأصحابه الى الجدار فنضحوه بالخل، وحفروا بحديدة حتى فتحوه، ودخل داذويه وجرجست فهابا أن يقتلاه، ودخل فيروز وابن بزرج، فأشارت اليهما المرأة أنه في الفراش، فتناول فيروز رأسه فعصر عنقه فدقها، وطعنه خرزاذ بالخنجر فشقه ثم احتز رأسه ؛ ينظر: المعرفة والتاريخ ، ٢٦٣/٣ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٣٦/٣ ؛ واخرجه البخاري في صحيحه ،

كتاب المغازي ، باب : وفد بني حنيفة ، ١٧٠/٥ ، رقم الحديث (٤٣٧٣) .

(٣) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٦٣ .

(٤) المرجع نفسه ، ٣٦٣ .

٣. إنّ للإمام أن يأتي بنفسه إلى من قدم يريد لقاءه من الكفار (١).
٤. إنّ الإمام ينبغي له أن يستعين برجل من أهل العلم يكون ملزماً له، وذلك لكي يجيب عنه أهل الاعتراض والعناد (٢).
٥. إنّ الحديث الذي ورد من أكبر فضائل الصديق ، فإن النبي (ﷺ) نفخ السوارين بروحه فطارا (٣).
٦. توكيل العالم او الداعية لبعض أصحابه أن يتكلم عنه ويجيب عنه ، كتأويل رؤيا للنبي (ﷺ) بأن الصديق يحبط أمر مسيلمة ، وأن هذا الحديث من أكبر فضائل الصديق (ﷺ)، فإن النبي (ﷺ) نفخ السوارين بروحه فطارا، وكان الصديق (ﷺ) هو ذلك الروح الذي نفخ مسيلمة وأطاره (٤).

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٣٦/٣ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٦٣ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٣٦/٣ .

(٤) ينظر: السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ٦٥٨ .

المطلب الرابع

الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد دوس على النبي (ﷺ)

أولاً: ذكر احداث قدوم وفد دوس

قال ابن القيم "رحمه الله" : (كان الطفيل بن عمرو الدوسي^(١) يحدث أنه قدم مكة ، ورسول الله (ﷺ) بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلاً شريفاً شاعراً لبيباً ، قالوا له : إنك قدمت بلادنا، وإن هذا الرجل - وهو الذي بين أظهرنا - فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابنه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد حل علينا، فلا تكلمه ولا تسمع منه، قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً، ولا أكلمه حتى

(١) الطفيل بن عمرو بن حممة وقيل طفيل بن عمرو بن طريف ابن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس وقيل هو الطفيل بن الحارث وقيل طفيل ابن ذي النور الدوسي ، وهو سيدا مطاعا من أشرف العرب ودوس بطن من الأزدي وكان الطفيل يلقب ذا النور أسلم قبل الهجرة بمكة ، وإن دوسا قد عصت فادع الله عليهم، فقال (اللهم اهد دوسا) ، أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب : الدعاء على المشركين ، ٨٤/٨ ، رقم الحديث (٦٣٩٧)؛ ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ، ٤٢٣/٣ .

حشوت في أذنيّ حين غدوت إلى المسجد كرسفاً، خوفاً من أن يبلغني شيء من قوله^(١)، قال : فغدوت إلى المسجد ، فإذا رسول الله (ﷺ) قائم يصلي عند الكعبة، فقمّت قريباً منه، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاماً حسناً فقلت في نفسي: واثكل أمياه ، والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعي أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان ما يقول حسناً قبلت ، وإن كان قبيحاً تركت، قال: فمكثت حتى انصرف رسول الله (ﷺ) إلى بيته، فتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه ، فقلت: يا محمد ! إن قومك قد قالوا لي: كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سدّدت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك، ثم أبى الله إلا أن يسمعني ، فسمعت قولاً حسناً ، فاعرض عليّ أمرك ، فعرض عليّ رسول الله (ﷺ) الإسلام ، وتلا علي القرآن ، فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت: يا نبي الله؛ إني امرؤ مطاع في قومي، وإني راجع إليهم، فداعيتهم إلى الإسلام ، فادع الله لي أن يجعل لي آية تكون عوناً لي عليهم ، فيما أدعوهم إليه، فقال: (اللهم اجعل له آية)^(٢)، قال: فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعتني على الحاضر، وقع نور بين عيني

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٤/٥٤٦؛ وفتح الباري لابن حجر، ٦٩١/٧ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب : قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي، ٥/١٧٤، الحديث (٤٣٩٢) .

مثل المصباح ، قلت: اللهم في غير وجهي إني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم ، قال: فتحول فوق في رأس سوطي كالقنديل المعلق، وأنا أنهبط إليهم من الشية حتى جئتهم ، وأصبحت فيهم، فلما نزلت ، أتاني أبي، وكان شيخاً كبيراً، فقلت : إليك عني يا أبت، فلست مني، ولست منك، قال: لم يا بني؟ قلت: قد أسلمت وتابعت دين محمد ، قال: يا بني فديني دينك ، قال فقلت: اذهب فاغتسل وطهر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت ، قال: فذهب فاغتسل وطهر ثيابه، ثم جاء فعرضت عليه الإسلام، فأسلم ثم أتتني صاحبتني، فقلت لها: إليك عني فلست منك ولست مني، قالت : لم بأبي أنت وأمي ؟ قلت فرق الإسلام بيني وبينك ، أسلمت وتبعت دين محمد ، قالت: فديني دينك ، قال: قلت: فاذهبي فاغتسلي ، ففعلت ، ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت ، ثم دعوت دوساً إلى الإسلام ، فأبطنوا علي، فجئت رسول الله (ﷺ) فقلت: يا رسول الله ! إنه قد غلبني على دوس الزنى، فادع الله عليهم ، فقال : (اللهم اهد دوساً)^(١)، ثم قال: ارجع إلى قومك فادعهم إلى الله، وارفق بهم^(٢)، فرجعت إليهم، فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الله، ثم قدمت على رسول الله (ﷺ) ورسول الله (ﷺ) بخبير، فنزلت المدينة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الدعوات ، باب : الدعاء على المشركين ،

٨٤/٨ ، رقم الحديث (٦٣٩٧) .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٤٦/٣ .

بسبعين أو ثمانين بيتاً من دوس ، ثم لحقنا برسول الله (ﷺ) بخيبر ، فأسهم لنا مع المسلمين^(١).

(فلما قبض رسول الله (ﷺ) ، وارتدت العرب ، خرج الطفيل مع المسلمين حتى فرغوا من طليحة ، ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل ، فقال لأصحابه : إني قد رأيت رؤيا ، فاعبروها لي: رأيت أن رأسي قد حلق، وأنه قد خرج من فمي طائر، وأن امرأة لقيتني، فأدخلتني في فرجها، ورأيت أن ابني يطلبني طلبا حثيثاً، ثم رأيتني حبس عني. قالوا: خيرا رأيت ، قال: أما والله إني قد أولتها، قالوا: وما أولتها؟ قال: أما حلق رأسي، فوضعه، وأما الطائر الذي خرج من فمي فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها، فالأرض تحفر، فأغيب فيها، وأما طلب ابني إياي وحبسه عني، فإنني أراه سيجهد لأن يصيبه من الشهادة ما أصابني، فقتل الطفيل شهيداً باليمامة، وجرح ابنه عمرو جرحاً شديداً، ثم قتل عام اليرموك شهيداً في زمن عمر (رضي الله عنه) ...)^(٢).

ثانياً : الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد دوس

وقد اشار ابن القيم "رحمه الله" الى اهم الجوانب الدعوية المفادة من قدوم وفد دوس ، والتي نوجزها على النحو الاتي :

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٤٦/٣ .

(٢) فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٧٠ .

١. إنَّ عادة المسلمين كانت غُسل الإسلام قبل دخولهم فيه، وقد صح أمر النبي (ﷺ) به ، وأصح الأقوال : وجوبه على من أجنب في حال كفره ومن لم يجنب^(١).

٢. إنَّه لا ينبغي للعاقل أن يقلد الناس في المدح والذم ، ولا سيما تقليد من يمدح بهوى ويذم بهوى ، فكم حال هذا التقليد بين القلوب وبين الهدى، ولم ينج منه إلا من سبقت له من الله الحسنى^(٢).

٣. إنَّ المدد من الرجال أو إذا لحق احد بالجيش قبل انقضاء الحرب، أسهم له واخذ حصته^(٣).

٤. وقوع كرامات الأولياء، وأنها إنما تكون لحاجة في الدين، أو لمنفعة للإسلام والمسلمين، فهذه هي الأحوال الرحمانية ، سببها متابعة الرسول، ونتيجتها إظهار الحق وكسر الباطل، ككرامة الطفيل في قومه^(٤).

٥. التأنى والصبر في الدعوة إلى الله ، وأن لا يعجل بالعقوبة والدعاء على العصاة، وأما تعبيره حلق رأسه بوضعه، فهذا لأن حلق الرأس وضع شعره على الأرض، وهو لا يدل بمجردة على وضع رأسه، فإنه دال على خلاص من هم أو مرض، أو شدة لمن يليق به

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٤٨/٣ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٦٩ .

(٣) المرجع نفسه ، ٣٦٩ .

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٤٨/٣ .

ذلك، وعلى فقر ونكد، وزوال رياسة وجاه لمن لا يليق به ذلك، ولكن في منام الطفيل قرائن اقتضت أنه وضع رأسه، منها أنه كان في الجهاد، ومقاتلة العدو ذي الشوكة والبأس^(١).

٦. إن من حديث الطفيل (ﷺ) بانه دخل في بطن المرأة التي رآها، وهي الأرض التي هي بمنزلة أمه، ورأى أنه قد دخل في الموضع الذي خرج منه، وهذا هو إعادته إلى الأرض، كما قال تعالى: ﴿مِنَّا خَلَقْنَاكُمْ وَإِنَّا نَعِيدُكُمْ وَمِنَّا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾^(٢)، فأول المرأة بالأرض إذ كلاهما محل الوطاء، وأول دخوله في فرجها بعوده إليها كما خلق منها، وأول الطائر الذي خرج من فيه بروحه، فإنها كالطائر المحبوس في البدن، فإذا خرجت منه كانت كالطائر الذي فارق حبسه، فذهب حيث شاء، ولهذا أخبر النبي (ﷺ) (أن نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة)^(٣)، وهذا هو الطائر الذي رُئي داخلًا في قبر ابن عباس (رضي الله عنه) لما دفن، وسمع قارئ يقرأ: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾^(٤) أرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً^(٥)، وعلى حسب بياض هذا الطائر وسواده وحسنه وقبحه تكون الروح،

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٤٨/٣ .

(٢) سورة طه ، الآية (٥٥) .

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٤٩/٣ ؛ وعمدة القاري شرح صحيح البخاري،

٢٠٥/٨ ؛ وصحيح الجامع الصغير وزياداته ، ٤٦٨ ، رقم الحديث (٢٣٧٣) .

(٤) سورة الفجر ، الآيتان (٢٧، ٢٨) .

ولهذا كانت أرواح آل فرعون في صورة طيور سود ترد النار بكرة وعشية ، وأول طلب ابنه له باجتهاده في أن يلحق به في الشهادة وحبسه عنه هو مدة حياته بين وقعة اليمامة واليرموك^(١) .

المطلب الخامس

الجانب الدعوي المفاد من قدوم

وفد نجران على النبي (ﷺ)

أولاً: ذكر اهم احداث قدوم وفد نجران.

قال ابن القيم "رحمه الله" : (وفد على رسول الله (ﷺ) وفد نصارى نجران بالمدينة، فدخلوا عليه مسجده بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم ، فقاموا يصلون في مسجده ، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله (ﷺ) : دعوهم، فاستقبلوا المشرق ، فصلوا صلاتهم)^(٢) .

وعن ابن إسحاق "رحمه الله" ، انه قال : قدم على رسول الله (ﷺ) وفد نصارى نجران ستون راكباً، منهم : أربعة وعشرون رجلاً من أشرفهم ، والأربعة والعشرون، منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم ، العاقب أمير

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٤٩/٣ ؛ وفقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٧٠ .

(٢) المصدر نفسه ، ٥٤٩/٣ .

القوم، وذو رأيهم ، وصاحب مشورتهم ، والذي لا يصدر عن رأيه وأمره ، واسمه عبد المسيح ، والسيد: ثمالهم ، وصاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم ، وأبو حارثة بن علقمة^(١) أخو بني بكر بن وائل أسقفهم وحبرهم وإمامهم، وصاحب مدراسهم ، وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم ، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم^(٢)، فلما وجهوا إلى رسول الله (ﷺ) من نجران ، جلس أبو حارثة على بغلة له موجهة إلى رسول الله (ﷺ) وإلى جنبه أخ له يقال له : كرز بن علقمة^(٣) يسايره ، إذ عثرت بغلة أبي حارثة ، فقال له كرز: تعس الأبعد يريد رسول الله (ﷺ)، فقال له أبو حارثة: بل أنت

(١) أبو حارثة بن هلال بن جريبة بن عبد نهم بن حليل بن حبشية بن سلول ابن كعب بن عمرو ابن ربيعة، وهو لحي، الخزاعي الكعبي وهو أحد بني بكر بن وائل من أهل نجران من اليمن من اسقف النصارى ، قدم مع وفد نجران في عام الوفود ، وذكر ذلك ابن إسحاق انه لم يسلم ؛ ينظر: اسد الغابة في معرفة الصحابة ، ٩٠/١ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٧٠ .

(٣) كرز بن علقمة بن هلال بن جريبة بن عبد نهم بن حليل بن حبشية بن سلول ابن كعب بن عمرو بن ربيعة، وهو لحي، الخزاعي الكعبي : صحابي، من المعمرين، عاش زمنا في الجاهلية، وأسلم يوم فتح مكة ، وهو الذي وضع معالم الحرم في زمن معاوية التي بقيت إلى الآن ؛ ينظر: معجم الصحابة ، للبغوي ، ١٣٧/٥ .

تعست ، فقال: ولم يا أخي؟ فقال: والله إنه النبي الأمي الذي كنا ننتظره ، فقال له كرز: فما يمنعك من اتباعه وأنت تعلم هذا؟ فقال: ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرفونا ومولونا وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافه ، ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى ، فأضمر عليها منه أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك^(١).

وقال ابن القيم "رحمه الله": (اجتمعت نصارى نجران، وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ) فتنازعوا عنده ، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانيا، فأنزل الله (ﷻ) فيهم: ﴿قُلْ يَتَّاهِلَ الْكُتُبُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّاهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ يَتَّاهِلَ الْكُتُبُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٥﴾ هَتَأْتُمْ هَكَوْلَاءَ حَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٤٩/٣ ؛ وأحكام أهل الذمة ، لمحمد ابن أبي بكر ابن أيوب بن سعد ابو عبدالله شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري - شاکر بن توفيق العاروري ، رمادی للنشر ، الطبعة الأولى ، (الدمام/١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) ، ٧٢/٣ .

يَا بَرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾، فقال

رجل من الأخبار: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟ وقال رجل من نصارى نجران: أوذلك تريد يا محمد وإليه تدعوننا؟ فقال رسول الله (ﷺ): (معاذ الله أن أعبد غير الله، أو أمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني ولا أمرني) (٢)، فأنزل الله (ﷻ) في ذلك:

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا

عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ

تَدْرُسُونَ ﴿٣٦﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴿٣٧﴾، وكتب رسول الله (ﷺ) إلى أهل نجران: باسم إله إبراهيم

وإسحاق ويعقوب، أما بعد: فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب، والسلام) (٤).

ولما أتى الأسقف الكتاب فقرأه، فظع به وذعر به ذعراً شديداً، فبعث إلى رجال من أهل نجران... فاجتمع رأي أهل نجران منهم على أن يبعثوا

(١) سورة ال عمران ، الآيات (٦٤-٦٨) .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٥٢/٣ .

(٣) سورة ال عمران ، الآيتان (٧٩، ٨٠) .

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٥٢/٣ .

شرحبيل بن وداعة الهمداني، وعبد الله بن شرحبيل^(١)، وجبار بن فيض الحارثي^(٢)، فيأتوهم بخبر رسول الله (ﷺ) ، فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة، وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حلاً وخواتيم الذهب ، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله (ﷺ) فسلموا عليه ، فلم يرد عليهم السلام ، وتصدوا لكلامه نهاراً طويلاً، فلم يكلمهم ، وعليهم تلك الحلل والخواتيم الذهب^(٣)، فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه)، وكانا معرفة لهم ، كانا يخرجان العير في الجاهلية إلى نجران ، فيشتري لهما من برها وثمرها وذرتها، فوجدوهما في ناس من الأنصار والمهاجرين في مجلس ، فقالوا: يا عثمان ، ويا عبد الرحمن، إن نبيكم كتب إلينا بكتاب ، فأقبلنا مجيبين له ، فأتينا فسلمنا عليه ، فلم يرد علينا سلامنا ، وتصدينا لكلامه نهاراً طويلاً، فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما، أنعود؟ فقالا لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وهو في القوم : ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال علي لعثمان وعبد الرحمن (رضي الله عنه): أرى أن يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم، ثم يأتوا إليه، ففعل الوفد ذلك ، فوضعوا حللهم وخواتيمهم، ثم عادوا إلى رسول الله (ﷺ)

(١) عبد الله بن شرحبيل بن حسنة الأزدي حليف بني زهرة ابن كلاب ، وشرحبيل بن حسنة أحد أمراء الأجناد على الجيوش لأبي بكر إلى الشام ، ومات جعفر بمصر سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وكان ثقة ؛ ينظر : الطبقات الكبرى ، ٣٥٦/٢ .

(٢) لم اعثر له على ترجمة في التراجم ولا في الانساب .

(٣) ينظر : فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٧٢ .

فسلموا عليه، فرد سلامهم، ثم سألهم وسألوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا له: ما تقول في عيسى (ﷺ)؟ فإننا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى، فيسرنا إن كنت نبياً أن نعلم ما تقول فيه؟ فقال رسول الله (ﷺ): (ما عندي فيه شيء يومي هذا، فأقيموا حتى أخبركم بما يقال لي في عيسى، فأصبح الغد، وقد أنزل الله (ﷻ): ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكْفُرْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴿١﴾، فأبوا أن يقرؤا بذلك (٢).

فدعاهم إلى المباهلة، فلما أصبح رسول الله (ﷺ) من الغد بعدما أخبرهم الخبر، أقبل مشتملاً على الحسن والحسين (رضي الله عنهما) في خميل له (٣)، وفاطمة (رضي الله عنها) تمشي عند ظهره للمباهلة، وله يومئذ عدة نسوة، فقال شرحبيل لصاحبيه: يا عبد الله بن شرحبيل، وياجبار بن فيض،

(١) سورة آل عمران، الآيتان (٥٩، ٦٠).

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٥٢/٣؛ وفقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ٣٧٢.

(٣) خميل: خميلة ريش النعام تجمع على خميل، والخميلة: ثوب مخمل من صوف كالكساء له خمل، وربما أخذ الخمال في قائمة الشاة، ثم يتحول في القوائم يدور بينهن، ويقال: خملت الشاة فهي مخمولة، والخمل: ضرب من السمك مثل اللُحْم؛ ينظر: كتاب العين، ٢٧٤/٤.

قد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيي ، وإني والله أرى أمراً مقبلاً ، وأرى والله إن كان هذا الرجل ملكاً مبعوثاً ، فكنا أول العرب طعن في عينه ، ورد عليه أمره لا يذهب لنا من صدره ، ولا من صدور قومه حتى يصيبونا بجائحة ، وإنا أدنى العرب منهم جواراً ، وإن كان هذا الرجل نبياً مرسلًا فلاعناه ، فلا يبقى على وجه الأرض منا شعرة ولا ظفر إلا هلك ، فقال له صاحبه : فما الرأي فقد وضعتك الأمور على ذراع ، فهات رأيك؟ فقال: رأيي أن أحكمه ، فإني أرى رجلاً لا يحكم شططا أبداً ، فقال له : أنت وذاك^(١).

ولقي شرحبيل رسول الله (ﷺ) فقال: إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك، فقال: وما هو؟ قال شرحبيل: حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح، فمهما حكمت فينا، فهو جائز، فقال رسول الله (ﷺ): (لعل وراءك أحدا يثرب عليك ، فقال له شرحبيل: سل صاحبي ، فسألها فقالا: ما يرد الوادي ولا يصدر إلا عن رأي شرحبيل ، فقال رسول الله (ﷺ): كافر ، أو قال : جاحد موفق)^(٢) .

فرجع رسول الله (ﷺ) ولم يلاعنهم ، حتى إذا كان من الغد أتوه ، فكتب لهم في الكتاب : (بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما كتب محمد النبي رسول الله لنجران إذ كان عليهم حكمه في كل ثمرة ، وفي كل

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٥٤/٣ ؛ ودلائل النبوة ومعرفة أحوال

صاحب الشريعة ، ٣٨٢/٥ ؛ وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ٢٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ٥٥٤/٣ .

صفراء وبيضاء وسوداء ورقيق ، فأفضل عليهم وترك ذلك كله على ألفي حلة ، في كل رجب ألف حلة ، وفي كل صفر ألف حلة ، وكل حلة أوقية، ما زادت على الخراج أو نقصت على الأواقي فبحساب ، وما قضاوا من دروع أو خيل أو ركاب أو عرض أخذ منهم بحساب ، وعلى نجران مئاة رسلي (١).

ودخل الوفد نجران ، فأتى الراهب ابن أبي شمر الزبيدي، وهو في رأس صومعة له، فشهد الأسقف أنه نبي مرسل، فقال الراهب: أنزلوني وإلا رميت بنفسي من هذه الصومعة ، فأنزلوه ، فانطلق الراهب بهدية إلى رسول الله (ﷺ) ، منها هذا البرد الذي يلبسه الخلفاء والقعب والعصا، وأقام الراهب بعد ذلك يسمع كيف ينزل الوحي والسنن والفرائض والحدود، وأبى الله للراهب الإسلام فلم يسلم، واستأذن رسول الله (ﷺ) في الرجعة إلى قومه ، وقال : إن لي حاجة ومعادا إن شاء الله تعالى، فرجع إلى قومه ، فلم يعد حتى قبض رسول الله (ﷺ) (٢).

وروى البخاري في " صحيحه " من حديث حذيفة (رضي الله عنه): (أن السيد والعاقب أتيا رسول الله (ﷺ)، فأراد أن يلاعنهما، فقال أحدهما لصاحبه (ﷺ): لا تلاعنه، فوالله إن كان نبيا فلاعنته لا نفلح نحن، ولا عقبا من بعدنا، قالوا له: نعطيك ما سألت، فابعث معنا رجلا أمينا، ولا تبعث معنا

(١) فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٧٢ ؛ وإمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، ٧٠/١٤ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٥٦/٣ .

إلا أميناً، فقال رسول الله (ﷺ): (لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين ، فاستشرف لها أصحابه، فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح ، فلما قام ، قال: هذا أمين هذه الأمة)^(١)، وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة (ﷺ) قال: (بعثني رسول الله (ﷺ) إلى نجران، فقالوا فيما قالوا : أرأيت ما يقرعون يا أخت هارون، وقد كان بين عيسى وموسى ما قد علمتم ، قال: فأتيت النبي (ﷺ)، فأخبرته ، قال: أفلا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون - بأسماء أنبيائهم والصالحين الذين كانوا قبلهم)^(٢) .

ثانياً : الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد نجران.

وقد اشار ابن القيم "رحمه الله" الى اهم الجوانب الدعوية المستفادة من قدوم وفد نجران ، والتي نوجزها على النحو الاتي :

١. جواز دخول أهل الكتاب مساجد المسلمين ، وتمكينهم من صلاتهم بحضرة المسلمين وفي مساجدهم أيضاً إذا كان ذلك عارضاً، ولا يمكنون من اعتياد ذلك^(٣).

٢. إن إقرار الكاهن الكتابي لرسول الله (ﷺ) بأنه نبي لا يدخله في الإسلام ما لم يلتزم طاعته ومتابعته، فإذا تمسك بدينه بعد هذا

(١) اخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المغازي ، باب : قصة اهل نجران ، ١٧١/٥ ، رقم الحديث (٤٣٨٠) .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٥٦/٣ ؛ واخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الآداب ، باب: النهي عن التكني بابي القاسم وبيان ما يستحب من الاسماء ، ١٦٨٥/٣ ، رقم الحديث (٢١٣٥) .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٥٨/٣ .

الإقرار لا يكون ردة منه، ونظير هذا قول الحبرين له، وقد سألاه عن ثلاث مسائل، فلما أجابهما ، قالوا: نشهد أنك نبي قال: (فما يمنعكما من اتباعي؟)^(١)، قالوا: نخاف أن تقتلنا اليهود، ولم يلزمهما بذلك الإسلام ، ونظير ذلك شهادة عمه أبي طالب له بأنه صادق، وأن دينه من خير أديان البرية ديناً، ولم تدخله هذه الشهادة في الإسلام^(٢).

ومن تأمل ما في السير والأخبار الثابتة من شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له (ﷺ) بالرسالة، وأنه صادق، فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام، علم أن الإسلام أمر وراء ذلك، وأنه ليس هو المعرفة فقط ، ولا المعرفة والإقرار فقط، بل المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعته ودينه ظاهراً وباطناً^(٣).

٣. جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم ، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجة عليهم ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة، فليول ذلك إلى أهله، وليخل بين المطي وحاديها، والقوس

(١) رواه البصري في مسند أبي داود الطيالسي، لأبي داود سليمان ابن داود بن الجارود الطيالسي البصري (ت: ٢٠٤هـ)، تحقيق: الدكتور محمد بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، (مصر/ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م)، ٤٨٢/٢، رقم الحديث (١٢٦٠)، قال المحقق: اسناده حسن.

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٧٦ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٥٨/٣ .

وباربيها، ولولا خشية الإطالة لذكرنا من الحجج التي تلزم أهل
الكتابيين الإقرار بأنه رسول الله (ﷺ) بما في كتبهم، وبما يعتقدونه
بما لا يمكنهم دفعه ما يزيد على مائة طريق (١).

٤. جواز إهانة رسل الكفار، وترك كلامهم إذا ظهر منهم التعاضم
والتكبر، فإن رسول الله (ﷺ) لم يكلم رسل وفد نجران، ولم يرد
السلام عليهم حتى لبسوا ثياب سفرهم، وألقوا حللهم وحلالمهم (٢).

٥. إن السنة في مجادلة أهل الباطل إذا قامت عليهم حجة الله، ولم
يرجعوا، بل أصروا على العناد أن يدعوهم إلى المباهلة، وقد أمر
الله سبحانه بذلك رسوله، ولم يقل: إن ذلك ليس لأمتك من بعدك،
ودعا إليه ابن عمه عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) لمن
أنكر عليه بعض مسائل الفروع، ولم ينكر عليه الصحابة ودعا
إليه الأوزاعي سفيان الثوري في مسألة رفع اليدين، ولم ينكر عليه
ذلك، وهذا من تمام الحجة (٣).

٦. جواز صلح أهل الكتاب على ما يريد الإمام من الأموال ومن
الثياب وغيرها، ويجرى ذلك مجرى ضرب الجزية عليهم، فلا
يحتاج إلى أن يفرد كل واحد منهم بجزية، بل يكون ذلك المال
جزية عليهم يقتسمونها كما أحبوا، ولما بعت معاذاً إلى اليمن أمره

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/٥٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ٣/٥٥٨.

(٣) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ٣٧٧.

أن يأخذ من كل حالمة ديناراً، أو عدله معافرياً^(١)، والفرق بين الموضوعين أن أهل نجران لم يكن فيهم مسلم ، وكانوا أهل صلح ، وأما اليمن فكانت دار الإسلام ، وكان فيهم يهود، فأمره أن يضرب الجزية على كل واحد منهم، والفقهاء يخصون الجزية بهذا القسم دون الأول، وكلاهما جزية، فإنه مال مأخوذ من الكفار على وجه الصغار في كل عام^(٢).

٧. اشتراط الإمام على الكفار أن يؤثروا رسله ويكرمواهم ، ويضيفوهم أياماً معدودة^(٣).

٨. إن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام^(٤).

٩. جواز اشتراطه عليهم عارية ما يحتاج المسلمون إليه من سلاح، أو متاع، أو حيوان، وأن تلك العارية مضمونة، لكن هل هي مضمونة بالشرط أو بالشرع ؟ وقد صرح هاهنا بأنها مضمونة بالرد، ولم يتعرض لضمان التلف^(٥).

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية، ٣٧٧.

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٦٠/٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ٥٦٠/٣ .

(٤) ينظر: أحكام أهل الذمة ، ١٢٤/٣ .

(٥) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٥٩/٣ .

١٠. إنّ الإمام لا يقر أهل الكتاب على المعاملات الربوية ؛ لأنها حرام في دينهم، وكذلك لا يقرهم على السكر، ولا على اللواط والزنى، بل يحدّهم على ذلك^(١).

١١. إنه لا يجوز أن يؤخذ رجل من الكفار بظلم آخر، كما لا يجوز ذلك في حق المسلمين، وكلاهما ظلم^(٢).

١٢. إنّ عقد العهد والذمة مشروط بنصح أهل العهد والذمة وإصلاحهم، فإذا غشوا المسلمين وأفسدوا في دينهم فلا عهد لهم ولا ذمة، وبهذا أفتى الإمام ابن القيم "رحمه الله" في انتقاض عهدهم مع أهل الذمة لما حرقوا الحريق العظيم في دمشق حتى سرى إلى الجامع، وبانتقاض عهد من واطأهم وأعانهم بوجه ما، بل ومن علم ذلك ولم يرفعوا إلى ولي الأمر، فإن هذا من أعظم الغش والضرر بالإسلام والمسلمين^(٣).

١٣. بعث الإمام الرجل إلى أهل الهدنة في مصلحة الإسلام، وأنه ينبغي أن يكون أميناً، وهو الذي لا غرض له ولا هوى، وإنما مراده مجرد مرضاة الله ورسوله، لا يشوبها بغيرها، فهذا هو

(١) ينظر: فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ٣٧٧؛ وفقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ٣١٧.

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٦٠/٣؛ وأحكام أهل الذمة، ١٣١/٣.

(٣) المصدر نفسه، ٥٦٠/٣؛ وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ٢٤٢.

الأمين حق الأمين، كحال أبي عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) عندما اختاره رسولنا الكريم (ﷺ) (١).

المطلب السادس

الجانب الدعوي المفاد من قدوم

وفد صداء على النبي (ﷺ)

أولاً: ذكر اهم احداث في قدوم وفد صداء (٢)

قال ابن القيم "رحمه الله": (قدم عليه (ﷺ) وفد صداء في سنة ثمان (٣)،

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٧٨ .

(٢) صدَاءٌ : وصدَاءٌ: وهو حيٌّ من اليمين ، وصدَاءٌ: اسمٌ رَكِيَّةٌ عَذْبَةٌ الماءِ وقيل ،

صداء : بئر ليس في الأرض ماء أطيب من مائها. وهي مشهورة، وقد ذكرتها

الشعراء في أشعارها، قال ضرار ابن عتبة السعدي: (فإني وتهيامي بزئنب

كالذي... يخالس من أحواض صدَاء مَشْرَبًا)؛ ينظر: الزاهر في معاني كلمات

الناس ، لمحمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت:

٣٢٢٨هـ) ، تحقيق : الدكتور حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، الطبعة

الأولى، (بيروت/١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ، ٢٧٨/٢ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٨٠/٣ ؛ وبهجة المحافل وبغية

الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل ، ١٦٤/٢٢ .

وذلك أنه لما انصرف من الجعرانة^(١)، فبعث بعوثاً وهياً بعثاً استعمل عليه قيس بن سعد ابن عبادة^(٢) (رضي الله عنه) ، وعقد له لواءً أبيض، ودفع إليه راية سوداء ، وعسكر بناحية قناة^(٣) في أربعمائة من المسلمين ، وأمره أن يطأ ناحية من اليمن كان فيها صداء، فقدم على رسول الله (ﷺ) رجل منهم،

(١) الجِعْرَانَةُ: بكسر أوله إجماعاً ثم إن أصحاب الحديث يكسرون عينه ويشددون راءه ، وأهل الإتيان والأدب يخطئونهم ويسكنون العين ويخففون الراء ، وقد حكى عن الشافعي أنه قال: المحدثون يخطئون في تشديد الجعرانة وتخفيف الحديبية ، إلى هنا مما نقلته ، والذي عندنا أنهما روايتان جيدتان حكى إسماعيل بن القاضي عن علي بن المدني أنه قال: أهل المدينة يتقلونه وينقلون الحديبية وأهل العراق يخففونهما ومذهب الشافعي تخفيف الجعرانة، وسمع من العرب من قد ينقلها، وبالتخفيف قيدها الخطابي: وهي ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب، نزلها النبي، (ﷺ) ، لما قسم غنائم هوازن مرجعه من غزاة حنين وأحرم منها ، وله فيها مسجد، وبها بئار متقاربة ؛ ينظر : معجم البلدان ، ١٤٢/٢ .

(٢) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم من بني ساعدة بن كعب بن الخزرج ويكنى أبا عبد الملك، وكان علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) قد ولاه مصر ثم عزله عنها، فقدم قيس المدينة ثم لحق بعلي بالكوفة فلم يزل معه، فرجع قيس إلى المدينة فلم يزل بها حتى توفي في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) ؛ ينظر: الطبقات الكبرى ، ١٢٢/٦ .

(٣) قناة: هي مكان وادي، فيه مياه عذبة وهذه الأودية تأتي في وقت السيول، ثم تجتمع كلها بموضع يقال له: الغابة، وتخرج إلى واد يقال له: وادي أضم، ثم يخرج العقيق الكبير، والعقيق الصغير في آبار منها بئر رومة؛ ينظر: البلدان ، ١٥١ .

وعلم بالجيش، فأتى رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله: جئتك وافداً على من ورائي فاردد الجيش وأنا لك بقومي، فرد رسول الله (ﷺ) قيس بن سعد من صدر قناة، وخرج الصدائي إلى قومه، فقدم على رسول الله (ﷺ) خمسة عشر رجلاً منهم، فقال قيس بن عبادة (رضي الله عنه): يا رسول الله دعهم ينزلوا علي، فنزلوا عليه فحياهم وأكرمهم، وكساهم ثم راح بهم إلى رسول الله (ﷺ) فبايعوه على الإسلام، فقالوا: نحن لك على من ورائنا من قومنا فرجعوا إلى قومهم، ففشا فيهم الإسلام، فوافى رسول الله (ﷺ) منهم مائة رجل في حجة الوداع (١).

ومن حديث زياد بن الحارث الصدائي (٢) أنه هو الذي قدم على رسول الله (ﷺ)، فقال له: (أردد الجيش وأنا لك بقومي فردهم، قال: وقدم وفد قومي عليه فقال لي: يَا أَخَا صُدَاءِ، إِنَّكَ لَمُطَاعٌ فِي قَوْمِكَ؟) (٣) قال: قُلْتُ: بَلِ اللَّهُ هَدَاهُمْ وَمَنْ اللَّهُ وَمَنْ رَسُولُهُ، قال: قلت: يا رسول الله، اكتب لي كتاباً، أمرني على قومي، قال: ففعل، وكتب لي كتاباً، قال: وسألته أن يعطيني من صدقة قومي ويكتب لي بذلك، ففعل وكتب لي،

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٨١/٣.

(٢) زياد بن الحارث الصدائي، وهو حليف لبني الحارث بن كعب، بايع النبي (ﷺ) عليه، وهو الذي كان مع رسول الله (ﷺ) في بعض أسفاره، فسار مع رسول الله (ﷺ)، ولزم غرزه؛ ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ٣٢٠/٢؛ والإصابة في تمييز الصحابة، ٤٨٠/٢.

(٣) فقه السيرة، لابن قيم الجوزية، ٣٩؛ وعيون الأثر في فنون المغازي والشمال، والسير، ٣١٩/٢.

قال: فاعتشى رسول الله (ﷺ)، أي: سار ليلاً، واعتشينا معه، وكنت رجلاً قوياً، قال: فجعل أصحابه يتفرقون عنه، ولزمت غرزه، فلما كان في السحر قال: (أذن يا أبا صداء ، فأذنت على راحتي ، ثم سرنا حتى ذهبنا، فنزل لحاجته ثم رجع ، فقال: يا أبا صداء، هل معك ماء؟^(١)) قلت : معي شيء في إداوتي، فقال : هاته ، فجئت به، فقال : صب ، فصببت ما في الإداوة في القعب، فجعل أصحابه يتلاحقون، ثم وضع كفه على الإناء، فرأيت بين كل أصبعين من أصابعه عينا تفور، ثم قال : (يا أبا صداء لولا أنني أستحي من ربي (ﷺ) لسقينا واستقينا)^(٢) ، ثم توضأ وقال: أذن في أصحابي من كانت له حاجة بالوضوء فليرد، قال: فوردوا من آخرهم ثم جاء بلال يقيم ، فقال (ﷺ): (إن أبا صداء أذن، ومن أذن فهو يقيم)^(٣) ، فأقمت، ثم تقدم رسول الله (ﷺ) فصلى بنا، وكنت سألته قبل أن يؤمرني على قومي، ويكتب لي بذلك كتاباً، ففعل، فلما فرغ من صلاته، قام رجل يتشكى من عامله ، فقال: يا رسول الله : إنه أخذنا بذحول كانت بيننا وبينه في الجاهلية ، فقال رسول الله (ﷺ): (لا خير

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٨٢/٣ ؛ وحياة الصحابة ، ٢٠٤/١ .

(٢) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله (ﷺ) والثلاثة الخلفاء ، ٦١٥/١ .

(٣) فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٩٥ ؛ وشرف المصطفى ، لعبد الملك بن

محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي، أبو سعد (ت: ٤٠٧هـ)، دار البشائر

الإسلامية، الطبعة الأولى، (مكة/١٤٢٤هـ)، ٤٢٦/٣ .

في الإمارة لرجل مسلم^(١)، ثم قام آخر، فقال: يا رسول الله أعطني من الصدقة، فقال رسول الله (ﷺ): (إن الله لم يكل قسمتها إلى ملك مقرب ولا نبي مرسل، حتى جزأها ثمانية أجزاء، فإن كنت جزءاً منها أعطيتك، وإن كنت غنياً عنها، فإنما هي صداع في الرأس وداء في البطن)^(٢)، فقلت في نفسي: هاتان خصلتان حين سألت الإمارة وأنا رجل مسلم، وسألته من الصدقة وأنا غني عنها، فقلت: يا رسول الله، هذان كتاباك فاقبلهما، فقال رسول الله (ﷺ): (ولم؟) فقلت: إني سمعتك تقول: لا خير في الإمارة لرجل مسلم، وأنا مسلم، وسمعتك تقول: (من سأل من الصدقة وهو غني عنها فإنما هي صداع في الرأس وداء في البطن) وأنا غني، فقال رسول الله (ﷺ): (أما إن الذي قلت كما قلت)^(٣)، فقبلهما رسول الله (ﷺ)، ثم قال لي: دلني على رجل من قومك أستعمله، فدللته

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/٥٨٢؛ ورواه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته: قال حديث ضعيف، ١/٩٠٧، رقم الحديث (٦٢٨٨).

(٢) معجم ابن الأعرابي، لأحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي أبو سعيد، المعروف بابن الأعرابي (ت: ٣٤٠هـ)، تحقيق وتخریج: عبدالمحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، (المملكة العربية السعودية/١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ٣/١١١٥، رقم الحديث (٢٣٤٣).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/٥٨٢؛ والبداية والنهاية، ٥/٩٧.

على رجل منهم فاستعمله^(١)، قلت: يا رسول الله ، إن لنا بئراً إذا كان الشتاء كفانا ماؤها، وإذا كان الصيف قل علينا، فنفرقنا على المياه، والإسلام اليوم فينا قليل، ونحن نخاف ، فادع الله (ﷻ) لنا في بئرننا، فقال رسول الله (ﷺ): (ناولني سبع حصيات ، فناولته فعركهن بيده ، ثم دفعهن إلي ، وقال: إذا انتهيت ، إليها فألق فيها حصاة حصاة ، وسم الله ، قال: ففعلت فما أدركنا لها قعرأ حتى الساعة)^(٢).

ثانياً : الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد صدأء

وقد اشار ابن القيم "رحمه" الى اهم الجوانب الدعوية المفادة من قدوم وفد صدأء ، والتي نوجزها على النحو الاتي :

١. استحباب عقد الألوية والرايات للجيش ، واستحباب كون اللواء أبيض ، وجواز كون الراية سوداء من غير كراهة^(٣).
٢. قبول خبر الواحد ، فإن النبي (ﷺ) رد الجيش من أجل خبر الصدائي وحده^(٤).

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٩٥ ؛ ونور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، لمحمد ابن عفيفي الباجوري ، المعروف بالشيخ الخضري (ت: ١٣٤٥هـ) ، دار الفيحاء ، الطبعة الثانية، (دمشق/١٤٢٥هـ) ، ٢١٣ .

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٨٢/٣ ؛ وحياة الصحابة ، ٢٤٠/١ .

(٣) المصدر نفسه ، ٥٨٢/٣ ؛ وإمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، ٧٠/١٤ .

(٤) المصدر السابق ، ٥٨٢/٣ ؛ وتاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، ١٤٤/٢ .

٣. جواز سير الليل كله في السفر إلى الأذان ، فإن قوله : اعتشى - أي سار عشية- ولا يقال لما بعد نصف الليل ذلك (١).
٤. طلب الإمام الماء من أحد رعيته للوضوء ، وليس ذلك من السؤال (٢).
٥. المعجزة الظاهرة بפורان الماء من بين أصابعه لما وضعها فيه أمده الله به وكثره حتى جعل يفور من خلال الأصابع الكريمة والجهال تظن أنه كان يشق الأصابع ويخرج من خلال اللحم والدم، وليس كذلك وإنما بوضعه أصابعه فيه حلت فيه البركة من الله والمدد، فجعل يفور حتى خرج من بين الأصابع، وقد جرى له هذا مراراً عديدة بمشهد أصحابه (٣).
٦. جواز تأمير الإمام وتوليته لمن سأله ذلك إذا رآه كفوئاً، ولا يكون سؤاله مانعاً من توليته، ولا يناقض هذا قوله في الحديث الآخر: (إننا لن نولي على عملنا من أرادته) (٤)، فإن الصدائي ، إنما سأله أن يؤمره على قومه خاصة، وكان مطاعاً فيهم محبباً إليهم، وكان مقصوده إصلاحهم ودعاهم إلى الإسلام، فرأى النبي (ﷺ) أن مصلحة قومه في توليته فأجابه إليها ورأى أن ذلك السائل إنما

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٩٥ .

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٨٢/٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ٥٨٣/٣ .

(٤) المصدر السابق ، ٥٨٣/٣ .

سأله الولاية لحظ نفسه ومصالحته هو فمنعه منها، فولّى للمصلحة ومنع للمصلحة فكانت توليته الله ومنعه الله ، وكذلك استشارة الإمام لذي الرأي من أصحابه فيمن يوليه (١).

٧. جواز شكاية العمال الظلمة ورفعهم إلى الإمام ، والقدرح فيهم بظلمهم، وأن ترك الولاية خير للمسلم من الدخول فيها، وجواز إقالة الإمام لولاية من ولاه إذا سأله ذلك (٢).

٨. استشارة الإمام لذي الرأي من أصحابه فيمن يوليه (٣).

٩. جواز الوضوء بالماء المبارك، وأن بركته لا توجب كراهة الوضوء منه، وعلى هذا فلا يكره الوضوء من ماء زمزم ، ولا من الماء الذي يجري على ظهر الكعبة (٤).

١٠. الإهداء للوفد ، وقد روى البخاري بسنده ، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) أوصى عند موته بثلاث ، منها إجازة الوفد بمثل ما كان يجيزهم،

وقد أعطي النبي (ﷺ) فروة بن عمرو الجذامي (٥) اثنتي عشرة أوقية من الفضة، وأعطى كل واحد من وفد تميم ذلك، وفعل ذلك مع كل من

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٨٣/٣ .

(٢) ينظر : فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٩٦ .

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٨٤/٣ .

(٤) المصدر نفسه ، ٥٨٤/٣ .

(٥) فروة بن عمرو الجذامي أخبرنا محمد بن عمر ، وكان فروة بن عمرو الجذامي عاملاً لقيصر على عمان من أرض البلقاء ، وكان رسول الله (ﷺ) قد كتب إلى =

وَقَدَّ عَلَيْهِ ، وَسِرَ هَذَا الْإِهْدَاءُ أَنَّهُ يُولَدُ الْحُبَّ ، وَيَعْظُمُ الْإِخْلَاصُ وَيَبْرُزُ حَسَنَ الْمَعَامَلَةِ (١) .

١١ . توديع الوفود ، فقد كان النبي (ﷺ) يحسن توديع الوفود كما يحسن استقبالهم ، وكان يوصيهم بالدعوة ، ويبعث معهم من يعلمهم القرآن إن احتاجوا إليه ، وهكذا وضع رسول الله (ﷺ) سياسة حسنة في التعامل مع رجال الوفود التي قدمت إليه في المدينة المنورة ، لأن كل وفد يمثل قبيلته وجماعته ، فتقدير الوفد وتكريمه يعد تكريماً للقبيلة كلها ، وأيضاً فإن تأليف القلوب ، والتعامل الكريم ، وإبراز حسن الخلق من أساسيات التحرك بالدعوة بل هو الدعوة بعينها (٢) .

فيجب على المسلمين أن يهتموا بهذا الجانب الدعوي والحيوي ، ولا سيما أن العالم المعاصر تشابكت مصالحه ، وكثرت اللقاءات فيه ،

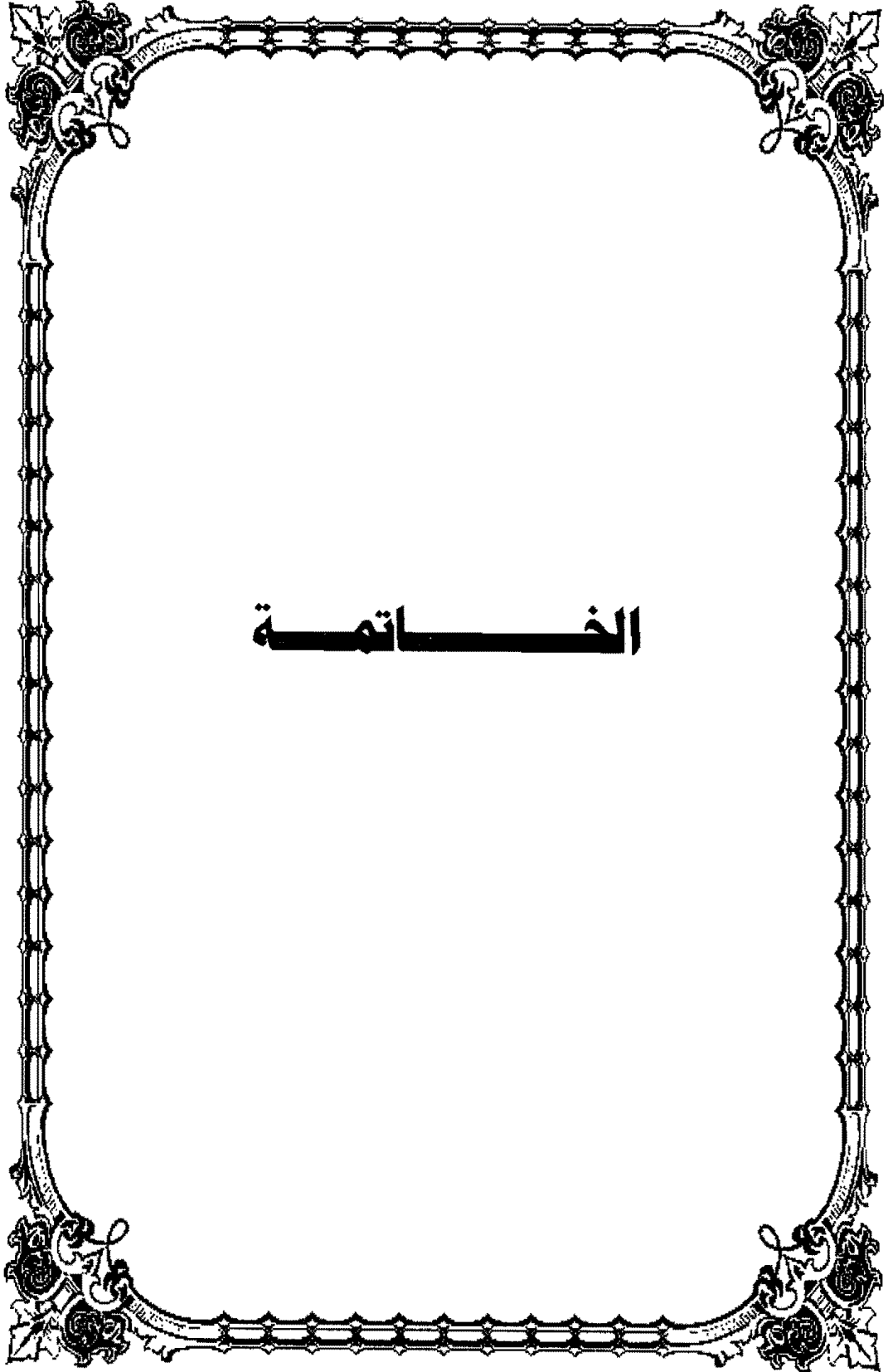
=هرقل والحارث بن أبي شمر ولم يكتب إليه ، فأسلم فروة وكتب إلى رسول الله (ﷺ) بإسلامه وبعث من عنده رسولا يقال له مسعود بن سعد من قومه وأهدى لرسول الله (ﷺ) بغلة يقال لها فضة وحمارة يعفور وفرسا يقال له الظرب وأثوابا من كتن وقباء من سندس محرصا بالذهب ، فقبل رسول الله (ﷺ) كتابه وهديته وكتب إليه جواب كتابه وأجاز رسوله مسعودا باثنتي عشرة أوقية ونش ، وبلغ قيصر إسلام فروة ابن عمرو فبعث إليه فحبسه حتى مات في السجن ، فلما مات صلبوه ؛ ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ، ٥٩١/٢ ؛ والطبقات الكبرى ، ٢٢٥/١ .

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد ، ٥٨٥/٣ ؛ ودراسة في السيرة ، ٢٦٠ .

(٢) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٩٧ ؛ السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ، ٦٦٣ .

وساعدت المخترعات الحديثة في تواصل الناس ، وترابط المصالح ،
وبذلك تلتقي الدعوة مع الفطرة ، ومع التقدم الحضاري الإنساني^(١) .

(١) ينظر: فقه السيرة ، لابن قيم الجوزية ، ٣٩٧ .



الذاتمة

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خاتم النبيين وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فبعد هذه الرحلة العلمية أن لي الأوان أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي على النحو الآتي :

١. إن ابن القيم "رحمه الله" له سيرة حسنة كونت شخصيته العلمية والدعوية .
٢. إن ابن القيم "رحمه الله" له واقع دفعه للدخول في ميدان العلم والدعوة .
٣. من الجوانب الدعوية عند ابن القيم "رحمه الله" هي : الافتاء والامامة والخطابة والتأليف.
٤. لابن القيم "رحمه الله" باع في الدعوة ، سطرها في كتبه ومنها زاد المعاد .
٥. إن سيرة النبي (ﷺ) وقراءتها في زاد المعاد فيها من الجوانب الدعوية التي لها الاثر الاكبر في خروج الناس الى النور .

٦. إنَّ الداعية إلى الله هو كل مسلم دل على خير، أو حذر من شر، فيدخل في ذلك جميع المسلمين؛ كل على حسب علمه وفهمه، وقدرته، ومكانته، ولا يكون الداعية موفقاً ومسدداً إلا بصفات يلتزمها، وأعمال يكون بها قدوة لغيره في عمل كل خير، والتزامه بمنهج الرسول (ﷺ) في دعوته على بصيرة، ومعرفته لأحوال الناس؛ ليقدم لكل قوم ما يناسبهم، وينزلهم منازلهم، ومع ذلك لا يغيب عنه ان يسأل الله التوفيق، والسداد، والإعانة، والثبات.

٧. الهجرة والغزوات والوفود هي اهم احداث السيرة النبوية وفيها اثار دعوية كبيرة وساطعة ، وكان لابن القيم رأي فيها.

٨. الاهداف الحقيقية الذي تسعى اليها الدعوة الإسلامية إلى تحقيقها في حياة الناس وهو توحيد الله (ﷻ) وعبادته سبحانه وتعالى وحده، وعمارة الأرض، وتحقيق مضاamina الاستخلاف الشرعي.

٩. الشورى وما لها من أهمية كبيرة في جميع ميادين الحياة سواء كان في وقوع الحروب ، وفي الصلح وفي المعاهدة وفي تطوير المجتمع وفي نهوضه ، فالقائد الحكيم هو الذي يستشير خبراءه ليعرف منهم الخطة السليمة الصحيحة التي يسير عليها بقراراته الصحيحة .

١٠. الثقة بالله تعالى والتوكل عليه والاعتماد بالأسباب والعمل المتواصل من سمات الدعوة الى الله تعالى .

١١. أهمية السيرة النبوية في الدعوة الى الله تعالى ، بل نحن بأمرس الحاجة إلى معرفتها معرفة دقيقة ، وذلك لان الواقع الذي يسود هذه الامة وكثرة المشكلات ، والتحديات التي تواجه الامة الاسلامية اصبح مريراً، ولا مخرج لها من كل ذلك إلا باتباع الوحي الإلهي والهدي النبوي .

١٢. كثرة الجوانب الدعوية في سيرته (ﷺ)، بل ان سيرته مليئة بالجوانب الدعوية والحكم والعبر والدروس التي لا يستطيع احد ان يستغني عنها ، داعية كان او طالب علم ، وهذه الجوانب والفوائد مستمرة لا تنقطع ولا تتوقف ولا تنحصر بحد ، وهذا يدل على أهميتها وعلو منزلتها .

أما أهم التوصيات :

١. ضرورة انتباه أصحاب القرار في الميادين التعليمية الى موضوع الدعوة وادخاله ضمن المناهج المقررة ، وذلك لرفع مستواهم العلمي عند الطلبة وتدريبهم كيفية دعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة .

٢. ومن المهم أن تقوم الجهات التي من شأنها ان تهتم بالدعوة والدعاة، بإدخال أفرادها في دورات تطويرية لترسيخ مهاراتهم الدعوية.

٣. أوصي الأخوة في مراحل الماجستير والدكتوراه والذين يقع ضمن واجباتهم الكتابة في الدعوة أن يلتفتوا إلى الموضوعات الدعوية والكتابة فيها لأنها أساس في الدين والدعوة إلى الله تعالى .

تمت والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
وصلّى الله تعالى على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

١. ابن القيم من اثاره العلمية ، لاحمد ماهر محمود البقري ، دار النهضة العربية، من دون طبعة ، (بيروت/١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) .
٢. ابن قيم الجوزية حياته آثاره موارد ، للعلامة بكر بن عبد الله أبو زيد (ت: ١٤٢٩هـ)، دار العاصمة ، الطبعة الثانية، (الرياض/ ١٤٢٣هـ) .
٣. الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحه ، لضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، (بيروت-لبنان/ ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م) .
٤. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان ابن معاذ ابن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، (بيروت/ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) .
٥. احكام القرآن ، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، تعليق: محمد عبد

- القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة ، (بيروت - لبنان / ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م) .
٦. أحكام أهل النمة ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري ، رمادى للنشر، الطبعة الأولى ، (الدمام-المملكة العربية السعودية/١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م) .
٧. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، لأبي الوليد محمد بن عبد الله ابن أحمد بن محمد ابن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقى (ت: ٢٥٠هـ)، تحقيق: رشدي الصالح ملحس ، دار الأندلس للنشر، من دون طبعة، (بيروت/ بلا سنة نشر) .
٨. الأدب المفرد، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الثالثة، (بيروت/ ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) .
٩. الأساس في السنة وفقهها السيرة النبوية ، لسعيد حوى ، دار السلام ، من دون طبعة، (بلا / ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م) .
١٠. أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة ، لحمد بن ناصر العمار، دار أشبيليا، الطبعة الثانية ، (الرياض / ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م) .
١١. الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البرين عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)،

تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل، الطبعة الأولى، (بيروت
/ ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) .

١٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير أبو الحسن علي بن
أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني
الجزري، عز الدين (ت: ٦٣٠هـ) ، المحقق: علي محمد معوض
- عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ،
(بلا/ ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) .

١٣. أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي
الله عنه (شخصيته وعصره - دراسة شاملة) ، لعلي محمد محمد
الصَّلَّابِي ، مكتبة الصحابة ، من دون طبعة ، (الشارقة -
الإمارات/ ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م) .

١٤. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، نخبة من العلماء ، وزارة
الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الطبعة الأولى ،
(المملكة العربية السعودية / ١٤٢١هـ) .

١٥. أصول الدعوة ، للدكتور عبدالكريم زيدان (ت: ١٤٣٥هـ)، مؤسسة
الرسالة ، الطبعة التاسعة ، (بيروت - لبنان/ ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) .

١٦. أضواء على الثقافة الإسلامية ، للدكتورة نادية شريف العمري ،
مؤسسة الرسالة ، الطبعة التاسعة ، (بلا/ ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م) .

١٧. أضواء على أوضاعنا السياسية، عبدالرحمن بن عبدالخالق
اليوسف، مطبعة دار القلم، الطبعة الاولى، (الكويت/ ١٣٩٨هـ/
١٩٧٨م) .

١٨. الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس،
الزركلي دمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة
الخامسة عشر، (بلا/ ٢٠٠٢ م) .

١٩. إعلام الموقعين عن رب العالمين ، لابن القيم أبو عبدالله محمد بن
أبي بكر بن أيوب الدمشقي (ت: ٧٥١هـ) ، تحقيق: طه
عبدالرؤوف سعد، دار الجيل ، من دون طبعة، (بيروت/
١٩٧٣م) .

٢٠. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن
الإسلام، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح
الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق:
الدكتور أحمد حجازي السقا ، مطبعة دار التراث العربي ، من دون
طبعة ، (القاهرة/ بلا سنة نشر) .

٢١. إغاثة اللفان من مصايد الشيطان، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب
ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، تحقيق:
محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف ، من دون طبعة ، (الرياض،
المملكة العربية السعودية/ بلا سنة نشر) .

٢٢. الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
والثلاثة الخلفاء، لسليمان بن موسى بن سالم بن حسان
الكلاعي الحميري ، أبو الربيع (ت: ٦٣٤هـ)، دار الكتب العلمية ،
الطبعة الأولى ، (بيروت/١٤٢٠هـ) .
٢٣. الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء
والكنى والأنساب ، لسعد الملك ، أبو نصر علي بن هبة الله بن
جعفر بن ماکولا (ت: ٤٧٥هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة
الأولى ، (بيروت-لبنان/١٤١١هـ/١٩٩٠م) .
٢٤. الأمة والدولة في سياسة النبي (ﷺ) والخلفاء الراشدين ، نزار
عبد اللطيف الحديثي، مطبعة دار الحرية للطباعة ، الطبعة الأولى،
(بغداد /١٩٨٧م) .
٢٥. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ،
لأحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي
الدين المقرئ (ت: ٨٤٥هـ)، تحقيق : محمد عبد الحميد
النميسي، مطبعة دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، (بيروت/
١٤٢٠هـ /١٩٩٩م) .
٢٦. الأنوار في شمائل النبي المختار، لمحيي السنة ، أبو محمد
الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغدادي الشافعي (ت:
٥١٦هـ)، تحقيق: الشيخ إبراهيم اليعقوبي ، دار المكتبي ، الطبعة
الأولى ، (دمشق /١٤١٦هـ /١٩٩٥م) .

٢٧. البدء والتاريخ ، للمطهر بن طاهر المقدسي (ت: ٣٥٥هـ) ، مكتبة الثقافة الدينية ، من دون طبعة ، (بور سعيد/ بلا سنة نشر) .
٢٨. البداية والنهاية ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق : علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، (بلا/ ١٤٠٨، هـ/ ١٩٨٨ م). .
٢٩. بدائع الفوائد ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، دار الكتاب العربي ، من دون طبعة ، (بيروت- لبنان / بلا سنة نشر).
٣٠. بدر الكبرى ، عطية بن محمد سالم (ت: ١٤٢٠هـ) ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة السنة الرابعة ، (المدينة المنورة/ ١٣٩١هـ / ١٩٧١م).
٣١. بعض فوائد صلح الحديبية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الثاني عشر) ، لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت: ١٢٠٦هـ) ، تحقيق: ناصر بن سعد الرشيد ، جامعة الإمام محمد بن سعود، من دون طبعة، (الرياض-المملكة العربية السعودية/ بلا سنة نشر).
٣٢. بناء المجتمع الإسلامي في عصر النبوة ، لمحمد توفيق رمضان ، دار ابن كثير، من دون طبعة ، (دمشق/ بلا سنة نشر) .
٣٣. بهجة المحافل وبغية الأمثال في تلخيص المعجزات والسير والشمائل ، ليحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري

الحرضي (ت: ٨٩٣هـ) ، دار صادر ، بدون طبعة ، (بيروت/ بلا سنة نشر) .

٣٤. تاريخ ابن يونس المصري ، لعبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي ، أبو سعيد (ت: ٣٤٧هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، (بيروت/ ١٤٢١ هـ) .

٣٥. تاج العروس من جواهر القاموس ، لمحمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، من دون طبعة، (بلا/بلا سنة نشر) .

٣٦. التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ، للدكتور عبد العزيز الحميدي، دار الدعوة ، من دون طبعة ، (الإسكندرية/بلا سنة نشر) .

٣٧. التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ، للدكتور عبد العزيز الحميدي، دار الدعوة ، من دون طبعة ، (الإسكندرية/بلا سنة نشر) .

٣٨. تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ، لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكري (ت: ٩٦٦هـ) ، دار صادر ، من دون طبعة، (بيروت/ بلا سنة نشر) .

٣٩. تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) ، وصلة تاريخ الطبري ، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد

القرطبي، ت : ٣٦٩هـ)، دار التراث ، الطبعة الثانية ، (بيروت/ ١٣٨٧هـ) .

٤٠. التاريخ الكبير ، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦هـ) ، مراقبة: محمد عبد المعيد خان ، دائرة المعارف العثمانية ، من دون طبعة ، (حيدر آباد/بلا سنة نشر) .

٤١. التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة - السفر الثاني ، لأبي بكر أحمد بن أبي خيثمة (ت: ٢٧٩هـ) ، تحقق : صلاح بن فتحى هلال ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، (القاهرة/ ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م) .

٤٢. تاريخ المدينة لابن شبة ، لعمر بن شبة بن عبيدة بن ربطة أبو زيد، النميري البصري (ت: ٢٦٢هـ)، تحقيق: فهمي محمد شلتوت ، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد، من دون طبعة ، (جدة/١٣٩٩هـ) .

٤٣. تاريخ بغداد ، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقق: الدكتور بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، (بيروت/ ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢ م) .

٤٤. تاريخ خليفة بن خياط ، لأبي عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت: ٢٤٠هـ) ، تحقيق: الدكتور أكرم

ضياء العمري ، دار القلم - مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ،
(دمشق - بيروت / ١٣٩٧ هـ) .

٤٥ . تاريخ دمشق ، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف
بابن عساكر (ت : ٥٧١ هـ) ، تحقيق : عمرو بن غرامة
العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، من دون طبعة ،
(بلا / ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م) .

٤٦ . تبصير المؤمنين بفقہ النصر والتمكين في القرآن الكريم (أنواعه -
شروطه وأسبابه - مراحل وأهدافه) ، لعلّي محمد محمد الصلّابي ،
مكتبة الصحابة ، الطبعة الأولى ، (الشارقة - الإمارات / ١٤٢٢ هـ
/ ٢٠٠١ م) .

٤٧ . التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من
تفسير الكتاب المجيد) ، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر
ابن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣ هـ) ، الدار التونسية للنشر ، من
دون طبعة ، (تونس / ١٩٨٤ م) .

٤٨ . تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن ، لسيد قطب - رحمه
الله - ، لعلوي بن عبد القادر السقّاف ، دار الهجرة للنشر
والتوزيع ، الطبعة الثانية ، (بلا / ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م) .

٤٩ . التدرج في دعوة النبي (ﷺ) ، إبراهيم بن عبد الله المطلق ، وزارة
الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - مركز البحوث
والدراسات الإسلامية ، الطبعة الأولى ، (السعودية / ١٤١٧ هـ) .

٥٠. التعديل والتجريح ، لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح ،
لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي
القرطبي الباجي الأندلسي (ت: ٤٧٤هـ)، تحقيق: الدكتور أبو لبابة
حسين دار اللواء للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، (الرياض/
١٤٠٦ / ١٩٨٦) .

٥١. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من
صحيحه، وشاذه من محفوظه، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان
بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت:
٣٥٤هـ) ، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله،
علاء الدين الفارسي الحنفي (ت: ٧٣هـ) ، تعليق: أبو عبد الرحمن
محمد ناصر الدين، ابن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري
الألباني (ت: ١٤٢٠هـ) ، دار باوزير للنشر والتوزيع ، الطبعة
الأولى، (جدة- المملكة العربية السعودية/ ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م).

٥٢. تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن) ، لمحمد بن جرير
ابن يزيد بن كثير ابن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري (ت
٣١٠هـ) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة
الأولى، (بلا/ ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م) .

٥٣. تفسير القرآن العظيم ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير
القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) ، تحقيق: سامي بن

محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، (بلا /
١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م) .

٥٤. تفسير المراغي ، لأحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ) ،
شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، الطبعة
الأولى ، (مصر / ١٣٦٥هـ / ١٩٤٦ م) .

٥٥. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ، لمحمد بن فتوح
ابن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو
عبدالله بن أبي نصر (ت: ٤٨٨هـ) ، تحقيق: الدكتورة زبيدة محمد
سعيد عبد العزيز ، مكتبة السنة ، الطبعة الأولى ، (القاهرة -
مصر / ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) .

٥٦. تفسير مجاهد ، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي
القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ) ، تحقيق : الدكتور محمد عبد
السلام أبو النيل ، دار الفكر الإسلامي الحديثة ، الطبعة الأولى ،
(مصر/ ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ م) .

٥٧. تفسير مقاتل بن سليمان ، لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير
الأزدي بالولاء البلخي (ت: ١٥٠هـ) ، تحقيق: أحمد فريد ، دار
الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، (بيروت- لبنان / ١٤٢٤هـ /
٢٠٠٣ م) .

٥٨. تقريب التهذيب ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) ، تحقيق: محمد عوامة ، دار الرشيد ، الطبعة الأولى ، (سوريا/ ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م).
٥٩. تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق ، لشمس الدين محمد بن أحمد ابن عبد الهادي الحنبلي (ت : ٧٤٤هـ) ، تحقيق : سامي بن محمد بن جاد الله وعبد العزيز بن ناصر الخباني ، أضواء السلف ، الطبعة الأولى ، (الرياض/ ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م) .
٦٠. تهذيب الأسماء واللغات ، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله : شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية ، دار الكتب العلمية ، من دون طبعة ، (بيروت- لبنان/ بلا سنة نشر) .
٦١. تهذيب التهذيب ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الطبعة الأولى ، (الهند / ١٣٢٦ هـ) .
٦٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ليوסף بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج ، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبى المزى (ت: ٧٤٢هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى،(بيروت/ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

٦٣. تهذيب اللغة محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، لأبي منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، (بيروت/ ٢٠٠١م).
٦٤. تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) شخصيته وعصره، لعلي محمد محمد الصلّابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، الطبعة الأولى، (القاهرة - مصر/ ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢م).
٦٥. الثقات، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر، الطبعة الأولى، (آباد - الهند / ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).
٦٦. الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، غراس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (بلا/ ١٢٢٢هـ).
٦٧. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (بلا/ ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م).

٦٨. الجامع الصحيح سنن الترمذي ، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ، من دون طبعة،(بيروت/بلا سنة نشر) .

٦٩. الجامع الكبير - سنن الترمذي ، لمحمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ) ، تحقق: بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي، من دون طبعة، (بيروت/ ١٩٩٨م) .

٧٠. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري) ، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، شرح وتعليق: الدكتور مصطفى ديب البغا، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار طوق النجاة ، الطبعة الأولى،(بلا/ ١٤٢٢هـ) .

٧١. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب،(الرياض- المملكة العربية السعودية/١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م) .

٧٢. جمال القراء وكمال الإقراء ، لعلي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (ت: ٦٤٣هـ)، تحقيق: الدكتور مروان العطية- والدكتور محسن خرابة ،

دار المأمون للتراث ، الطبعة الأولى ، (دمشق-بيروت/ ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).

٧٣. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم ، لمحمد بن فتوح بن عبدالله ابن فتوح ابن حميد الأزدي الميورقي الحميدي أبو عبدالله ابن أبي نصر (ت: ٤٨٨هـ) ، تحقيق: الدكتور علي حسين البواب، دار ابن حزم ، الطبعة الثانية ، (لبنان- بيروت/ ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) .

٧٤. جمل من أنساب الأشراف ، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق : سهيل زكار - ورياض الزركلي، دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى، (بلا / ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).

٧٥. جمهرة اللغة ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ) ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، (بيروت/ ١٩٨٧م) .

٧٦. جمهرة أنساب العرب ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ) ، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، (بيروت/ ١٤٠٣ / ١٩٨٣) .

٧٧. جوامع السيرة النبوية ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت: ٤٥٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، (بيروت/ بلا سنة نشر).

٧٨. حاشية السندی علی صحیح البخاری ، محمد بن عبد الهادی السندی المدني، الحنفي، أبو الحسن ، دار الفكر ، من دون طبعة، (بلا / بلا سنة نشر) .
٧٩. حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار ، لمحمد بن عمر بن مبارك الحميري الحضرمي الشافعي، الشهير بـ (بَحْرَق) (ت: ٩٣٠هـ) ، تحقيق: محمد غسان نصوح عزقول ، دار المنهاج، الطبعة الأولى ، (جدة/ ١٤١٩ هـ).
٨٠. حديث الزهري ، لعبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله ابن سعد بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف العوفي، الزهري، القرشي، أبو الفضل البغدادي (ت: ٣٨١هـ)، تحقيق : الدكتور حسن بن محمد ابن علي شبالة البلوط ، أضواء السلف، الطبعة الاولى ، (الرياض/ ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م) .
٨١. حديث القرآن عن غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، للدكتور محمد بكر آل عابد ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى، (بلا/بلا سنة نشر) .
٨٢. الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم ، لعبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ)، دار القلم ، الطبعة الاولى، (دمشق/ ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م) .

٨٣. حقوق النبي (صلى الله عليه وسلم) على أمته في ضوء الكتاب والسنة ، لمحمد بن خليفة بن علي التميمي ، أضواء السلف ، الطبعة الأولى ، (الرياض- المملكة العربية السعودية/ ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) .

٨٤. الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ، للدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الطبعة الأولى ، (المملكة العربية السعودية/ ١٤٢٣هـ) .

٨٥. حياة الصحابة ، لمحمد يوسف بن محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي (ت: ١٣٨٤هـ) ، تحقيق وتعليق : للدكتور بشار عوَّاد معروف ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، (بيروت- لبنان / ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) .

٨٦. حياة محمد ورسالته ، لمحمد علي اللاهوري القادياني (ت: ١٩٥١م) ، ترجمه إلى الإنجليزية : محمد يعقوب خان ، ترجمه إلى العربية: منير بعلبكي (ت: ١٤٢٠هـ) ، مطبعة دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، (بيروت/ ١٣٩٠هـ) .

٨٧. خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ) ، دار الفكر العربي ، من دون طبعة ، (القاهرة / ١٤٢٥هـ) .

٨٨. خلاصة الكلام شرح عمدة الأحكام ، ليفصل بن عبد العزيز بن فيصل بن حمد المبارك الحريملي النجدي (ت: ١٣٧٦هـ) ، من دون دار ، الطبعة الثانية ، (بلا / ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م) .
٨٩. خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (وعليه إتحاف الخاصة بتصحيح الخلاصة للعلامة الحافظ البارع علي بن صلاح الدين الكوكباني الصنعاني) ، لأحمد ابن عبد الله بن أبي الخير ابن عبد العليم الخزرجي الأنصاري الساعدي اليمني، صفي الدين (ت: ٩٢٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية - دار البشائر ، الطبعة الخامسة ، (حلب - بيروت/ ١٤١٦هـ) .
٩٠. الخلافة ، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الزهراء للاعلام العربي ، من دون طبعة ، (مصر - القاهرة/ بلا سنة نشر) .
٩١. الدارس في تاريخ المدارس ، لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت: ٩٢٧هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ، (بلا / ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠م) .
٩٢. داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب ، لعبد العزيز شلبي سيد الأهل (ت: ١٤٠٢هـ)، دار العلم للملايين ، الطبعة الثالثة ، (لبنان - بيروت / ١٩٨٦م) .

٩٣. دراسات في عهد النبوة ، للدكتور عبد الرحمن الشجاع ، دار الفكر المعاصر، الطبعة الأولى ، (صنعاء - اليمن / ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م)،
٩٤. دراسة في السيرة ، للدكتور عماد الدين خليل ، مطبعة دار النفائس، الطبعة الثانية ، (بيروت / ١٤٢٥هـ) .
٩٥. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، لأبي الفضل أحمد بن علي ابن محمد بن أحمد ابن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) ، المحقق : محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، من دون طبعة ، (صيدر/بلا سنة نشر).
٩٦. الدرر في اختصار المغازي والسير ، للحافظ يوسف بن عبد البر ابو عمر النمري (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، (القاهرة/ ١٤٠٣ هـ) .
٩٧. الدعوة الإسلامية في عهدنا المكي (مناهجها وغاياتها) ، للدكتور رؤوف شلبي، مطبعة دار القلم ، الطبعة الثالثة ، (بلا/١٩٨٤م) .
٩٨. الدعوة الإسلامية في عهدنا المكي : مناهجها وغاياتها ، للدكتور رؤوف شلبي، دار القلم ، الطبعة الثالثة ، (بلا / بدون سنة نشر).
٩٩. الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده ، لعبد الله بن محمد بن عبد المحسن المطوع ، دار التدمرية ، الطبعة الثالثة ، (بلا / ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م).

١٠٠. الدعوة قواعد وأصول ، لجمعة أمين عبد العزيز ، مطبعة دار الدعوة، القاهرة ، من دون طبعة ، (بلا / ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م) .
١٠١. دلائل النبوة ، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ) ، تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث ، الطبعة الأولى ، (بلا / ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .
١٠٢. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، لأحمد بن الحسين ابن علي بن موسى الخُسْرُوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (ت : ٤٥٨ هـ)، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، (بلا / ١٤٠٥ هـ) .
١٠٣. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨ هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، الطبعة الثانية، (بيروت / ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م) .
١٠٤. ذيل طبقات الحنابلة ، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ابن الحسن، السلامي، البغدادي ، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥ هـ) ، المحقق : الدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ، (الرياض / ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م) .

١٠٥. رجال الفكر والدعوة الجزء الثاني ، خاص بحياة شيخ الاسلام الحافظ احمد بن تيمية الحراني الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ) ، لأبي حسن علي الحسن الندوي، دار القلم، الطبعة الاولى، (الكويت/ ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) .
١٠٦. رجال الفكر والدعوة في الاسلام ، لعلي أبو الحسن بن عبد الحي ابن فخر الدين الندوي (ت: ١٤٢٠هـ) ، دار القلم ، الطبعة الاولى، (الكويت / ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م) .
١٠٧. الرحيق المختوم ، لصفي الرحمن المباركفوري (ت: ١٤٢٧هـ) ، مطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة التاسعة ، (بلا/ ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م) .
١٠٨. الرد الوافر ، لمحمد بن عبد الله (أبي بكر) بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي ، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (ت: ٨٤٢هـ)، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، (بيروت/ ١٣٩٣هـ) .
١٠٩. الرسالة التبوكية (زاد المهاجر إلى ربه)، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، تحقيق: الدكتور محمد جميل غازي ، مكتبة المدني ، من دون طبعة ، (جدة/ بلا سنة نشر) .
١١٠. الرسالة المحمدية ، للسيد سليمان الندوي الحسيني (ت: ١٣٧٣هـ)، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ، (دمشق/ ١٤٢٣ هـ) .

١١١. الرسول القائد ، لمحمود شيت خطاب (ت: ١٤١٩هـ) دار الفكر ،
الطبعة السادسة ، (بيروت / ١٤٢٢هـ) .
١١٢. الرقة والبكاء لابن قدامة ، لأبي محمد موفق الدين عبد الله بن
أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدستي ثم الدمشقي
الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ) ،
تحقيق: محمد خير رمضان يوسف ، دار القلم- الدار الشامية،
الطبعة الأولى ، (دمشق - بيروت/ ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) .
١١٣. روح البيان ، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي
الخلوتي ، المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ) ، مطبعة دار الفكر،
من دون طبعة ، (بيروت/ بلا سنة نشر).
١١٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لشهاب
الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي (ت: ١٢٧٠هـ)،
تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، الطبعة
الأولى ، (بيروت/ ١٤١٥هـ) .
١١٥. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب
والسنة ، لمحمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن
قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية ، من دون طبعة ،
(بيروت / بلا سنة نشر) .
١١٦. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، لأبي القاسم
عبدالرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، تحقيق ،

- عمر عبدالسلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، (بيروت / ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) .
١١٧. الروض المعطار في خبر الأقطار ، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن عبد المنعم الجميري (ت: ٩٠٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - طبع على مطابع دار السراج ، الطبعة الثانية، (بيروت / ١٩٨٠م) .
١١٨. زاد المعاد في هدي خير العباد ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية ، الطبعة السابعة والعشرون، (بيروت - الكويت / ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) .
١١٩. الزاهر في معاني كلمات الناس ، لمحمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هـ) ، تحقيق : الدكتور حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، (بيروت/ ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) .
١٢٠. الزهد والرفائق لابن المبارك ، لأبي عبدالرحمن عبدالله بن المبارك ابن واضح الحنظلي، التركي ثم المزوزي (ت: ١٨١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية ، من دون طبعة، (بيروت/ بلا سنة نشر) .
١٢١. سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، لمحمد بن يوسف

الصالحى الشامى (ت: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ على محمد معوض، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، (بيروت - لبنان / ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) .

١٢٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبى عبدالرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألبانى (ت: ١٤٢٠هـ) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (الرياض/ ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) .

١٢٣. سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائى والتوالى ، لعبدالملى بن حسين ابن عبد الملى العصامى المكى (ت: ١١١١هـ) ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود- على محمد معوض ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ، (بيروت/ ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) .

١٢٤. سنن ابن ماجه ، لابن ماجه - وماجه اسم أبىه يزيد - أبو عبدالله محمد بن يزيد القزوينى (ت: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقى، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ، (بلا/ ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م) .

١٢٥. سنن أبى داود ، لأبى داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير ابن شداد ابن عمرو الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، من دون طبعة ، (صيدا - بيروت/ بلا سنة نشر) .

١٢٦. سنن الترمذي ، لمحمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى بن الضحاك، الترمذي ، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق : أحمد محمد شاكر - ومحمد فؤاد عبد الباقي - وإبراهيم عطوة عوض ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ، (مصر / ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) .
١٢٧. السنن الكبرى ، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جِردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة ، (بيروت - لبنان / ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) .
١٢٨. السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية ، عبد الوهاب خلاف (ت: ١٣٧٥هـ) ، دار القلم ، من دون طبعة ، (بلا / ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) .
١٢٩. سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ، دار الحديث، من دون طبعة، (القاهرة/ ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م) .
١٣٠. سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء ، المدني (ت: ١٥١هـ) ، تحقيق : سهيل زكار ، دار الفكر، الطبعة الأولى، (بيروت / ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م) .
١٣١. السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ، لعلي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة، من دون طبعة ، (بيروت / ١٤٠٠هـ) .

١٣٢. السيرة النبوية - دروس وعبر ، للدكتور مصطفى بن حسني السباعي (ت: ١٣٨٤هـ) ، المكتب الإسلامي ، الطبعة التاسعة ، (بيروت- لبنان / ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) .
١٣٣. السيرة النبوية السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل ، لعلي محمد محمد الصلّابي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة السابعة ، (بيروت - لبنان / ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م) .
١٣٤. السيرة النبوية الصحيحة ، للدكتور أكرم ضياء العمري ، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الخامسة ، (المدينة المنورة/ ١٤١٣هـ) .
١٣٥. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة (ت: ١٤٠٣هـ) ، دار القلم ، الطبعة الثامنة ، (دمشق/ ١٤٢٧هـ) .
١٣٦. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، دراسة تحليلية ، للدكتور مهدي رزق الله أحمد ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، من دون طبعة ، (الرياض / ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) .
١٣٧. السيرة النبوية لأبن هشام ، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري ، أبو محمد ، جمال الدين (ت : ٢١٣ هـ) ، تحقيق : مصطفى السقا - وإبراهيم الأنباري ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الثانية ، (مصر/ ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م) .

١٣٨. السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي ، لعلي أبو الحسن بن عبد الحي
ابن فخر الدين الندوي (ت: ١٤٢٠هـ) ، دار ابن كثير ، الطبعة
الثانية عشرة ، (دمشق / ١٤٢٥ هـ) .
١٣٩. السيرة النبوية منهجية دراستها واستعراض أحداثها، لعبد الرحمن
على الحجى، دار ابن كثير ، الطبعة الأولى ، (دمشق/
١٤٢٠هـ).
١٤٠. السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان
ابن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت:
٣٥٤هـ) ، صحّحه وعلق عليه: الحافظ السيد عزيز بك وجماعة
من العلماء ، الكتب الثقافية ، الطبعة الثالثة ، (بيروت/
١٤١٧هـ).
١٤١. السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي ، عبد الشافي محمد عبد اللطيف،
مطبعة دار السلام ، الطبعة الأولى ، (القاهرة / ١٤٢٨هـ) .
١٤٢. السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، لأحمد أحمد غلوش،
مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى، (بلا/
١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤م) .
١٤٣. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لعبد الحي بن أحمد بن
محمد ابن العماد العكري الحنبلي ، أبو الفلاح (ت : ١٠٨٩هـ) ،
تحقيق : محمود الأرناؤوط ، خرج أحاديثه : عبد القادر الأرناؤوط،

- دار ابن كثير ، الطبعة الأولى ، (دمشق - بيروت / ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م) .
- ١٤٤ . شذرات اللفهان ، لابن قيم الجوزية : تحقيق محمد عفيفي ، مطبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، (بيروت / ١٤٠٦ هـ) .
- ١٤٥ . شرح السنة ، لمحيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد ابن الفراء البغدوي الشافعي (ت: ٥١٦ هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، (بيروت / ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م) .
- ١٤٦ . شرح المواهب اللدنية للقسطلاني (ت: ٩٢٣ هـ) ، لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار المعرفة، الطبعة الأولى ، (بيروت / ١٢٠٨ هـ) .
- ١٤٧ . شرح صحيح البخارى لابن بطلال ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩ هـ) ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد ، الطبعة الثانية، (السعودية- الرياض / ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م) .
- ١٤٨ . شرف المصطفى ، لعبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الخركوشي ، أبو سعد (ت: ٤٠٧ هـ) ، دار البشائر الإسلامية ، الطبعة الأولى ، (مكة / ١٤٢٤ هـ) .
- ١٤٩ . شعب الإيمان ، رآحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ) ، تحقيق:

الدكتور عبدالعلي عبد الحميد حامد ، أشرف على تحقيقه وتخريره
أحاديثه: مختار أحمد الندوي ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ،
الطبعة الأولى، (الرياض/ ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م) .

١٥٠. شمائل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أحمد بن عبد الفتاح
زواوي ، دار القمة، الطبعة الاولى (الإسكندرية /بلا سنة نشر) .
١٥١. الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية ، لمرعي بن يوسف
ابن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (ت: ١٠٣٣هـ) ،
تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف دار الفرقان ، مؤسسة الرسالة ،
الطبعة الأولى ، (بيروت/ ١٤٠٤هـ).

١٥٢. شهداء أحد الذين ذكرهم ابن إسحاق في مغازيه ، لمحمد بن
عبدالله ابن عبد القادر غبان الصبحي ، الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة ، الطبعة السادسة والثلاثون، (المدينة المنورة/
١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م) ، العدد ١٢٤ .

١٥٣. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، لأحمد بن علي بن أحمد
الفزاري القلقشندي ثم القاهري (ت: ٨٢١هـ)، دار الكتب العلمية،
من دون طبعه ، (بيروت/بلا سنة نشر) .

١٥٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، لإسماعيل بن حماد
الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ،
دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة ،(بيروت/ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).

١٥٥. الصراع مع الصليبيين ، لمحمد عبد القادر أبو فارس ، دار البشير، الطبعة الاولى ، (طنطا- مصر / ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م).
١٥٦. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان ، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية، (بيروت/ ١٤١٤هـ) .
١٥٧. صحيح الجامع الصغير وزياداته ، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين ، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي، من دون طبعة ،(بلا/بلا سنة نشر).
١٥٨. صحيح السيرة النبوية ، لمحمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ) ، المكتبة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، (الأردن - عمان ١٩٨٢م) .
١٥٩. صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة ، للدكتور محمد فوزي فيض الله ، دار القلم - والدار الشامية ، الطبعة الأولى ، (بيروت / ١٤١٩هـ / ١٩٩٦م) .
١٦٠. ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم ، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ) ، أشرف: زهير الشاويش، المكتبة الإسلامية ، من دون طبعة ، (بلا / بلا سنة نشر) .

١٦١. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، لشمس الدين أبو الخير محمد ابن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢هـ) ، دار الكتاب الاسلامي، الطبعة الاولى ، (القاهرة/ ١٩٨٤ م) .

١٦٢. الطبقات الكبرى ، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ) ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى، (بيروت/ ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م) .

١٦٣. الطبقات الكبرى ، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم ، لأبي عبد الله محمد ابن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء ، البصري ، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ) ، تحقيق: زياد محمد منصور ، مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الثانية ، (المدينة المنورة/ ١٤٠٨هـ) .

١٦٤. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت: ٧٥١)، تحقيق : الدكتور محمد جميل غازي

١٦٥. ، مطبعة المدني ، من دون طبعة، (القاهرة / بلا سنة نشر).

١٦٦. طريق الهجرتين وباب السعادتين ، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، دار السلفية، القاهرة ، الطبعة الثانية ،(مصر/ ١٣٩٤ هـ) .

١٦٧. عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، لأبي محمد محمود بن أحمد
ابن موسى بن أحمد ابن حسين الغيتابالحنفى بدر الدين العيني
(ت: ٨٥٥هـ) ، دار إحياء التراث العربي، من دون طبعة ،
(بيروت / بلا سنة نشر) .

١٦٨. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم : تهذيب
سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته ،لمحمد أشرف بن أمير بن
علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم
آبادي (ت: ١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الاولى،
(بيروت/ ١٤١٥ هـ).

١٦٩. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، لمحمد بن محمد
ابن محمد بن أحمد ابن سيد الناس اليعمري الربعي أبو الفتح فتح
الدين (ت: ٧٣٤هـ) ، تعليق: إبراهيم محمد رمضان ، دار القلم ،
الطبعة الاولى ، (بيروت/١٤١٤هـ/١٩٩٣م) .

١٧٠. عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، لأحمد بن القاسم بن خليفة بن
يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصيبعة (ت:
٦٦٨هـ)، تحقيق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة ،
(بيروت/بلا سنة نشر) .

١٧١. الغرباء الأولون ، لسلمان العودة ، دار ابن الجوزي ، الطبعة
الثالثة، (الدمام السعودية /١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) .

١٧٢. غريب الحديث ، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ) ، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي ، وخرج أحاديثه : عبد القيوم عبد رب النبي ، دار الفكر ، (بلا/١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) .
١٧٣. غزوة أحد دراسة دعوية ، لمحمد عيظة بن سعيد بن منجج ، دار إشبيليا ، الطبعة الأولى ، (بلا/١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) .
١٧٤. غزوة تبوك ، لمحمد أحمد باشميل ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، (بيروت/١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) .
١٧٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، للإمام الحافظ أحمد بن علي ابن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت: ٧٧٣هـ) ، طبعة جديدة ومنقحة ، رقم كتبها وابوابها واحاديثها : محمد فؤاد عبد الباقي ، مكتبة دار السلام - مكتبة دار الفيحاء ، الطبعة الثالثة ، (الرياض-دمشق/١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) .
١٧٦. فتح القدير ، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) ، دار ابن كثير ، دار الكلم الطيب ، الطبعة الأولى ، (دمشق - بيروت/ ١٤١٤هـ) .
١٧٧. فتوح البلدان ، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت: ٢٧٩هـ) ، دار ومكتبة الهلال ، من دون طبعة ، (بيروت/ ١٩٨٨م) .

١٧٨. فدائيون من عصر الرسول ، لأحمد عبد اللطيف الجذع ، دار الضياء للنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة ، (عمان - الاردن/ ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) .
١٧٩. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ، مكتبة دار البيان، بدون طبعة ، (دمشق/ ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) .
١٨٠. الفصول في السيرة ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق وتعليق : محمد العيد الخطراوي محيي الدين مستو، مطبعة مؤسسة علوم القرآن ، الطبعة الثالثة ، (بلا/ ١٤٠٣هـ).
١٨١. فضائل الصحابة ، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال ابن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) ، تحقيق: الدكتور وصي الله محمد عباس ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، (بيروت/ ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م) .
١٨٢. فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري ، لسعيد بن علي بن وهب القحطاني ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الطبعة الأولى ، (بلا / ١٤٢١هـ) .

١٨٣. فقه السيرة ، لمحمد الغزالي السقا (ت: ١٤١٦هـ) ، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني ، دار القلم ، الطبعة الأولى، (دمشق / ١٤٢٧ هـ).
١٨٤. فقه السيرة النبوية ، للامام أبي عبد الله شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، جمع واعداد : عماد زكي البارودي ، المكتبة التوقيفية، من دون طبعة ، (بلا / ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠م) .
١٨٥. فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، لمحمد سعيد رمضان البوطي (ت: ١٤٣٤هـ)، دار الفكر، الطبعة الخامسة والعشرون ، (دمشق / ١٤٢٦ هـ) .
١٨٦. فوات الوفيات ، لمحمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر ابن هارون بن شاکر الملقب بصلاح الدين (ت: ٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، الطبعة الأولى ، (بيروت/١٩٧٣م) .
١٨٧. الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، (بيروت/ ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣م).
١٨٨. في ظلال السيرة النبوية - الهجرة النبوية ، للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان ، الطبعة الثانية، (عمان - الأردن / ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م).

١٨٩. في ظلال القرآن ، لسيد قطب (ت: ١٣٨٦هـ) ، دار الشروق ،
الطبعة التاسعة ، (بلا/ ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) .
١٩٠. الفية السيرة النبوية - نظم الدرر السنوية الزكية ، لأبي الفضل زين
الدين عبد الرحيم ابن الحسين ابن عبد الرحمن بن أبي بكر بن
إبراهيم العراقي (ت: ٨٠٦هـ)، دار المنهاج، الطبعة الأولى ،
(بيروت/ ١٤٢٦هـ) .
١٩١. القاموس الفقهي لغة واصطلاحا ، لسعدي أبو جيب ، دار الفكر ،
الطبعة الثانية، (دمشق - سورية / ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) .
١٩٢. القاموس المحيط ، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب
الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في
مؤسسة الرسالة ، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة
الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، من دون طبعة ،(بيروت- لبنان/
٢٠٠٠م).
١٩٣. قراءة سياسية للسيرة النبوية ، لمحمد قلعجي ، دار النفائس ،
الطبعة الأولى ، (بيروت- لبنان / ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م) .
١٩٤. القول المبين في سيرة سيد المرسلين ، لمحمد الطيب النجار (ت:
١٤١١هـ) ، دار الندوة الجديدة ، من دون طبعة ،(بيروت-
لبنان/ بلا سنة نشر) .
١٩٥. قيادة الرسول السياسية والعسكرية ، لأحمد راتب عرموش ، دار
النفائس ، الطبعة الأولى ،(١٤١٩هـ / ١٩٨٩م) .

١٩٦. الكامل في التاريخ ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري ، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، الطبعة الاولى، (بيروت - لبنان / ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) .

١٩٧. كتاب الأموال ، لأبي عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، تحقيق : خليل محمد هراس ، دار الفكر، من دون طبعة ، (بيروت/بلا سنة نشر).

١٩٨. كتاب العين ، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق : الدكتور مهدي المخزومي - الدكتور إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، من دون طبعة ، (بلا/بلا سنة نشر) .

١٩٩. كشف المشكل من حديث الصحيحين ، لجمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) ، تحقيق : علي حسين البواب ، دار الوطن ، من دون طبعة ، (الرياض/ بلا سنة نشر) .

٢٠٠. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت: ٩٧٥هـ) ، تحقيق:

بكري حياني - صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الخامسة ،
(بلا/ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .

٢٠١ . الباب في علوم الكتاب، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي
ابن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ
عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب
العلمية، الطبعة الأولى، (بيروت - لبنان/ ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) .

٢٠٢ . لسان العرب ، للإمام محمد بن مكرم بن علي ابن منظور
الأنصاري الإفريقي ، (ت: ٧١١هـ) ، طبعة جديدة محققة، دار
صادر، الطبعة الثالثة ، (بيروت/ ١٤١٤هـ ١٩٨٤م) .

٢٠٣ . المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي) ، لأبي عبد الرحمن
أحمد بن شعيب ابن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ) ،
تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ،
الطبعة الثانية ، (حلب/ ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) .

٢٠٤ . المجتمع المدني في عهد النبوة ، للدكتور أكرم العمري ، من دون
دار، الطبعة الأولى، (بلا/ ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م) .

٢٠٥ . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر
الهيثمي، دار الفكر، من دون طبعة ، (بيروت/ ١٤١٢هـ) .

٢٠٦ . مجموع الفتاوى ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن
تيمية الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن
قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، من دون

طبعة ، (المدينة النبوية- المملكة العربية السعودية / ١٤١٠هـ / ١٩٩٥م).

٢٠٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي محمد عبد الحق

ابن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي
(ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب

العلمية، الطبعة الأولى ، (بيروت/ ١٤٢٢ هـ) .

٢٠٨. المحكم والمحيط الأعظم ، لعلي بن إسماعيل بن سيده المرسي

(ت: ٤٥٨هـ) ، تحقيق: عبد الحميد هندأوي ، دار الكتب العلمية ،

الطبعة الأولى ، (بيروت/ ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) .

٢٠٩. محمد رسول الله ، لمحمد الصادق عرجون ، دار القلم ، الطبعة

الثانية ، (بلا/ ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)

٢١٠. المختصر الكبير في سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ،

لعبدالعزیز بن محمد بن إبراهيم، ابن جماعة الكناني، الحموي

الأصل، الدمشقي المولد، ثم المصري، عز الدين (ت: ٧٦٧هـ) ،

تحقيق: سامي مكّي العاني ، دار البشير ، الطبعة الأولى ،

(عمان/ ١٩٩٣م) .

٢١١. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، محمد بن مكرم بن علي ، أبو

الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعالإفريقي (ت:

٧١١هـ) ، تحقيق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد

مطبع ، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر ، الطبعة الأولى ،
(دمشق - سوريا / ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٤ م) .

٢١٢ . مختصر زاد المعاد ، لمحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي
النجدي (ت: ١٢٠٦هـ) ، دار الريان للتراث ، الطبعة الثانية ،
(القاهرة / ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) .

٢١٣ . مختصر سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، لمحمد بن
عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت: ١٢٠٦هـ) ، وزارة
الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، الطبعة الأولى ،
(المملكة العربية السعودية / ١٤١٨ هـ) .

٢١٤ . مختصر منهاج السنة ، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم
ابن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية
الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ) ، اختصار الشيخ عبد الله
ابن محمد الغنيمان ، دار الصديق للنشر والتوزيع ، الطبعة
الثانية ، (صنعاء - الجمهورية اليمنية / ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م) .

٢١٥ . مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لمحمد بن
أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت:
٧٥١هـ) ، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب
العربي ، الطبعة الثالثة ، (بيروت / ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م) .

٢١٦ . المدخل إلى علم الدعوة ، لأبي الفتح البيانوني ، مؤسسة الرسالة ،
الطبعة الثالثة ، (بيروت / ١٤١٤ هـ) .

٢١٧. المدينة المنورة فجر الإسلام والعصر الراشدي ، لمحمد حسين شراب، دار القلم ، الطبعة الأولى ، (دمشق / ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).
٢١٨. مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة ، لحافظ بن محمد عبدالله الحلمي، مطابع الجامعة الإسلامية، من دون طبعة ، (المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية/ ١٤٠٦هـ) .
٢١٩. مرويات غزوة حنين وحصار الطائف ، لإبراهيم بن إبراهيم قريبي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، (المدينة النبوية - المملكة العربية السعودية / ١٤١٢هـ) .
٢٢٠. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، لأحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (ت: ٥٧٤٩هـ)، المجمع الثقافي، الطبعة الأولى، (أبو ظبي/ ١٤٢٣هـ).
٢٢١. المستدرک علی الصحیحین ، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبدالله ابن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ) ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، (بيروت/ ١٤١١هـ / ١٩٩٠م) .
٢٢٢. الاستفادة من قصص القرآن للدعوة والدعاة ، لعبدالكريم زيدان (ت: ١٤٣٥هـ)، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (بلا/ ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) .

٢٢٣. المسلمون والروم في عصر النبوة ، لعبد الرحمن أحمد سالم ، دار الفكر العربي ، من دون طبعة ، (بلا/١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) .
٢٢٤. مسند أبي داود الطيالسي ، لأبي داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت: ٢٠٤هـ) ، تحقيق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، الطبعة الأولى ، (مصر / ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩م) .
٢٢٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى، (بلا/١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) .
٢٢٦. المسند الجامع ، لمحمود محمد خلي ، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ، الطبعة الأولى، (الكويت/ ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) .
٢٢٧. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم) ، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، من دون طبعة ، (بيروت/ بلا سنة نشر) .

٢٢٨. مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة ، لعبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، الطبعة الأولى ، (بلا/١٤١٦هـ) .

٢٢٩. مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، لعياض بن موسى بن عياض ابن عمرو اليحصبي السبتي ، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة - دار التراث ، من دون طبعة ، (بلا/ بلا سنة نشر) .

٢٣٠. المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، لمحمد (أو عبد الله) بن علي بن أحمد بن عبدالرحمن بن حسن الأنصاري، أبو عبد الله، جمال الدين ابن حديدة (ت: ٧٨٣هـ)، تحقيق: محمد عظيم الدين ، عالم الكتب ، من دون طبعة ، (بيروت / بلا سنة نشر) .

٢٣١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية ، من دون طبعة ، (بيروت/ بلا سنة نشر).

٢٣٢. مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، للشاهد البوشيخي، دار القلم ، الطبعة الثانية ، (الكويت / ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) .

٢٣٣. المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم (العين) للخليل بن أحمد،
لعبد الله درويش، مكتبة الشباب ، من دون طبعة ، (بلا/ بلا سنة
نشر) .

٢٣٤. معجم ابن الأعرابي ، لأبي سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد بن
زياد ابن بشر بن درهم البصري الصوفي (ت: ٣٤٠هـ) ، تحقيق
وتخريج : عبدالمحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني ، دار ابن
الجوزي ، الطبعة الأولى ، (المملكة العربية السعودية / ١٤١٨هـ /
١٩٩٧م) .

٢٣٥. معجم البلدان ، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله
الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ) ، مطبعة دار صادر، الطبعة
الثانية، (بيروت/١٩٩٥م) .

٢٣٦. معجم الصحابة ، لأبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز
ابن المرزبان بن سابور بن شاهن شاه البغوي (ت: ٣١٧هـ) ،
تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني ، مكتبة دار البيان ،
الطبعة الاولى، (الكويت / ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) .

٢٣٧. المعجم الكبير ، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي
الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ، حمدي بن عبدالمجيد
السلفي ، دار مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الثانية ، (القاهرة/بلا سنة
نشر) .

٢٣٨. معجم اللغة العربية المعاصرة ، للدكتور أحمد مختار عبد الحميد
عمر (ت: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل ، عالم الكتب ،
الطبعة الاولى ، (الرياض / ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م).
٢٣٩. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، لعاتق بن غيث بن
زوير البلادي الحربي (ت: ٢٠١٠هـ) ، دار مكة للنشر والتوزيع ،
الطبعة الأولى ، (مكة المكرمة / ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م) .
٢٤٠. المعجم الوسيط ، لإبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد
عبدالقادر ، محمد النجار ، مجمع اللغة العربية في القاهرة ، من
دون طبعة ، (بلا/ بلا سنة نشر) .
٢٤١. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، لعمر بن رضا بن محمد
راغب ابن عبد الغني كحالة الدمشق (ت: ١٤٠٨هـ) ، مؤسسة
الرسالة ، الطبعة السابعة ، (بيروت / ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م) .
٢٤٢. معجم قبائل المملكة العربية السعودية ، لحمد بن محمد الجاسر
(ت: ١٤٢١هـ) ، تحقيق: النادي الأدبي في الرياض ، الطبعة
الأولى، (الرياض - المملكة العربية السعودية / ١٤٠١هـ
/ ١٩٨١م) .
٢٤٣. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لأبي عبيد عبد الله
ابن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ) ، عالم
الكتب ، الطبعة الثالثة ، (بيروت/ ١٤٠٣هـ) .

٢٤٤. معرفة الصحابة ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى ، (الرياض/ ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م) .

٢٤٥. معرفة الصحابة ، لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى ابن مَنذَه العبدى (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق وتعليق : الأستاذ الدكتور، عامر حسن صبري ، جامعة الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى، (الإمارات / ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م) .

٢٤٦. معين السيرة ، لصالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، من دون طبعة، (بلا / ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) .

٢٤٧. المغازي ، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (ت: ٢٠٧هـ) ، تحقيق : مارسدن جونز، دار الأعلمي، الطبعة الثالثة، (بيروت / ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م)

٢٤٨. مغازي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، لعروة بن الزبير (ت: ٩٣هـ)، تحقيق: الدكتور محمد الأعظمي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الطبعة الأولى ، (الرياض/ ١٤٠١هـ / ١٩٨١م) .

٢٤٩. مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، لمحمود بن أحمد ابن موسى ابن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي أبو محمد

بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ) ، تحقيق: محمد حسن محمد
حسن إسماعيل ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، (بيروت -
لبنان / ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م) .

٢٥٠. المعالم الأثيرة في السنة والسيره ، لمحمد بن محمد حسن شرّاب ،
دار القلم -الدار الشاميه ، الطبعة الأولى ، (بيروت- دمشق/
١٤١١هـ).

٢٥١. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، للدكتور جواد علي (ت:
١٤٠٨هـ)، دار الساقى، الطبعة الرابعة ، (بلا/ ١٤٢٢هـ/
٢٠٠١م) .

٢٥٢. مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني، تحقيق:
عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر ، من دون طبعة ، (بيروت/
١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

٢٥٣. مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول (ﷺ) ، لأحمد إبراهيم
الشريف، مطبعة دار الفكر العربي ، من دون طبعة ، (بلا/ بلا
سنة نشر) .

٢٥٤. من أعلام المجددين ، لصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان ، دار
المؤيد ، الطبعة الأولى ، (بلا/ ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م) .

٢٥٥. منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ، لعبد القادر بن أحمد بن
مصطفى ابن عبد الرحيم ابن محمد بدران (ت: ١٣٤٦هـ)،

تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية،
(بيروت / ١٩٨٥ م).

٢٥٦. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري ، لحمزة محمد قاسم ،
راجعه : الشيخ عبد القادر الأرنؤوط ، عني بتصحيحه ونشره:
بشير محمد عيونة ، مكتبة دار البيان - مكتبة المؤيد ، من دون
طبعة ، (الطائف - المملكة العربية السعودية / ١٤١٠هـ /
١٩٩٠م).

٢٥٧. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، لتقي الدين
أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن
أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت:
٧٢٨هـ) تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية ، الطبعة الأولى ، (بلا / ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) .

٢٥٨. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، لأبي زكريا محيي الدين
يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ،
الطبعة الثانية، (بيروت / ١٣٩٢هـ).

٢٥٩. منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل ، لربيع بن
هادي المدخلي، مطبعة مكتبة الفرقان، من دون طبعة، (عجمان/
١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م) .

٢٦٠. منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، للدكتور حمود
ابن أحمد بن فرج الرحيلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة

الإسلامية في المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، (المملكة العربية السعودية / ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م).

٢٦١. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، ليوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن ، جمال الدين (ت: ٨٧٤هـ)، تحقيق : الدكتور محمد أمين، تقديم : الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، من دون طبعة ، (بلا/بلا سنة نشر) .

٢٦٢. الموالات والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، لمحماس بن عبد الله بن محمد الجلعود (ت: ١٤٢٨هـ) ، دار اليقين للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ، (بلا / ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) .

٢٦٣. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ، لأحمد بن محمد بن أبي بكر ابن عبد الملك القسطلاني القنبيبي المصري ، أبو العباس ، شهاب الدين (ت: ٩٢٣هـ)، المكتبة التوفيقية ، من دون طبعة ، (القاهرة - مصر/بلا سنة نشر) .

٢٦٤. موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني (موسوعة تحتوي على أكثر من ٢٩٨ عملاً ودراسة حول العلامة الألباني وتراثه الخالد) ، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم ، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، تحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، مركز

النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة ،
الطبعة الأولى، (صنعاء - اليمن / ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م) .

٢٦٥. الموسوعة القرآنية ، لإبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت:
١٤١٤هـ)، مؤسسة سجل العرب ، من دون طبعة ، (بلا /
١٤٠٥هـ) .

٢٦٦. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، لمحمد بن محمد بن عبد الله بن
إدريس الحسن بن الطالبي، المعروف بالشريف الإدريسي (ت:
٥٦٠هـ)، عالم الكتب، الطبعة الأولى، (بيروت / ١٤٠٩هـ) .

٢٦٧. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ، إعداد مجموعة من
المختصين بإشراف : صالح بن حميد ، دار الوسيلة ، الطبعة
الأولى، (بلا / ١٤١٨هـ) .

٢٦٨. النهاية في غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين أبو السعادات
المبارك ابن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني
الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي
ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية ، من دون طبعة ،
(بيروت / ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) .

٢٦٩. نهر الذهب في تاريخ حلب ، لكامل بن حسين بن محمد بن
مصطفى البالي الحلبي، الشهير بالغزي (ت: ١٣٥هـ) ، دار القلم،
الطبعة الثانية، (حلب / ١٤١٩هـ) .

٢٧٠. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، لمحمد بن عفيفي الباجوري ، المعروف بالشيخ الخضري (ت: ١٣٤٥هـ) ، دار الفيحاء ، الطبعة الثانية ، (دمشق / ١٤٢٥هـ) .
٢٧١. الهجرة الأولى في الإسلام ، للدكتور سليمان العودة ، دار طيبة للنشر ، الطبعة الأولى ، (الرياض / ١٤١٩هـ) .
٢٧٢. هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة ، لأحمد عبد الغني النجولي الجمل ، دار الوفاء ، الطبعة الأولى ، (بلا / ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م) .
٢٧٣. الهجرة النبوية - دراسة وتحليل ، لمحمد السيد الوكيل ، مطبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة الثانية عشر ، (المدينة/١٤٠٠هـ) .
٢٧٤. الهجرة النبوية المباركة ، للدكتور عبد الرحمن البر ، دار الكلمة ، الطبعة الأولى ، (المنصورة- مصر / ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) .
٢٧٥. الهجرة في القرآن الكريم ، لأحزمي سامعون جزولي ، مكتبة الرشد ، الطبعة الأولى ، (الرياض / ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) .
٢٧٦. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، لمحمد بن أبي بكر ابن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، تحقيق : محمد أحمد الحاج ، دار القلم - دار الشامية ، الطبعة الأولى ، (جدة - السعودية / ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م) .

٢٧٧. الوافي بالوفيات ، لصالح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، تحقق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، من دون طبعة، (بيروت/١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م) .
٢٧٨. وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، لعلي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي ، نور الدين أبو الحسن السمهودي (ت: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية ، الطبعة الاولى ، (بيروت/ ١٤١٩هـ) .

أطاريح الدكتوراه ورسائل الماجستير

١. إتباع الهوى لدى المدعو في العهد النبوي ،لمصطفى بن عبد الرحمن البار، رسالة ماجستير ، كلية الدعوة والإعلام ، قسم الدعوة والاحتساب، (بلا/ ١٤١٧ هـ).
٢. أساليب المشركين في الصد عن الدعوة في العهد المكي ومظاهرها في العصر الحاضر، لحمزة بن سليمان الطيار ، رسالة ماجستير ، كلية الدعوة والإعلام، قسم الدعوة والاحتساب ،(بلا/ بلا سنة نشر).

الدوريات والمجلات

١. شهداء أحد الذين نكرهم ابن إسحاق في مغازيه ، لمحمد بن عبد الله ابن عبد القادر غبان الصبحي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، الطبعة السادسة والثلاثون، (المدينة المنورة/ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م) العدد ١٢٤ .
٢. مجلة البحوث الإسلامية، مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (بلا/ بلا سنة نشر)، عدد الأجزاء : ٨٨ جزءاً .
٣. موسوعة البحوث والمقالات العلمية ، حوالي خمسة آلاف وتسعمائة مقال وبحث (الهجرة دروس وفوائد)، جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود، بدون دار نشر، من دون طبعة ، (بلا/ بلا سنة نشر).
٤. قوة العقيدة سبيل النصر في غزوة بدر الكبرى، لمحمد عبد المقصود جاب الله، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، (بلا/ بلا سنة نشر)، العدد ٤٦ .

المحتويات

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
١٥ - ٩	المقدمة :
٥٥ - ١٩	الفصل التمهيدي : التعريف بمفردات عنوان الرسالة .
٢٠	المبحث الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي للجانب الدعوي .
٢١	المطلب الأول: الجانب في اللغة والاصطلاح .
٢٣	المطلب الثاني: الدعوي في اللغة والاصطلاح .
٢٧	المبحث الثاني: نبذة عن حياة ابن القيم "رحمه الله"، وكتابه (زاد المعاد) .
٢٨	المطلب الأول: نبذة عن سيرته الشخصية .

٤٤	المطلب الثاني: التعريف بكتاب (زاد المعاد في هدي خير العباد) .
٥٩ - ١٦١	الفصل الأول: الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره للهجرة .
٦٠	المبحث الأول: الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لهجرة الصحابة (رضي الله عنهم) إلى الحبشة .
٦٦	المطلب الأول: ذكر اهم الاحداث في هجرة الصحابة (رضي الله عنهم) إلى الحبشة .
٨٣	المطلب الثاني: محاولة قریش استرداد المهاجرين من الحبشة .
٩١	المطلب الثالث: الجانب الدعوي المفاد من الهجرة إلى الحبشة .
٩٨	المبحث الثاني: الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لرحلته (رضي الله عنه) الى الطائف .

١٠١	المطلب الأول: اهم الاحداث في رحلته (ﷺ) إلى الطائف.
١١٠	المطلب الثاني: الجانب الدعوي المفاد من رحلته (ﷺ) إلى الطائف .
١١٧	المبحث الثالث: الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره للهجرة النبوية الشريفة.
١١٨	المطلب الأول: ذكر اهم الاحداث في هجرته (ﷺ) إلى المدينة المنورة.
١٣٩	المطلب الثاني: الجانب الدعوي المفاد من الهجرة النبوية الشريفة .
١٦٥ - ٢٩٦	الفصل الثاني: الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لأهم غزوات النبي (ﷺ).
١٦٦	المبحث الأول: الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لغزوة بدر الكبرى .

١٧٤	المطلب الأول: ذكر اهم الاحداث من غزوة بدر الكبرى.
١٩٨	المطلب الثاني: الجانب الدعوي المفاد من غزوة بدر الكبرى .
٢١٦	المبحث الثاني: الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لغزوة أُحُد.
٢١٨	المطلب الأول: ذكر اهمال احداث من غزوة أُحُد.
٢٣٧	المطلب الثاني: الجانب الدعوي المفاد من غزوة أُحُد .
٢٥٣	المبحث الثالث: الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لغزوة تبوك .
٢٥٥	المطلب الأول: ذكر اهمال احداث من غزوة تبوك .
٢٨٦	المطلب الثاني: الجانب الدعوي المفاد من غزوة تبوك.

٢٩٩ - ٤٣٥	الفصل الثالث: الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لأحداث متفرقة من السيرة النبوية.
٣٠٠	المبحث الأول: الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لأحداث قصة الحديبية .
٣٠٤	المطلب الأول: ذكر اهمال احداث في قصة الحديبية .
٣٢٧	المطلب الثاني: الجانب الدعوي المفاد من قصة الحديبية.
٣٣٧	المبحث الثاني: الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لأحداث قصة هدم مسجد الضرار، والثلاثة الذين خلفوا.
٣٣٨	المطلب الأول: الجانب الدعوي المفاد من قصة هدم مسجد الضرار.
٣٣٩	أولاً: ذكر اهم الاحداث في قصة مسجد الضرار وهدمه.

٣٤٤	ثانياً: الجانب الدعوي المفاد من قصة هدم المسجد واحراق اماكن المعصية.
٣٥١	المطلب الثاني: الجانب الدعوي المفاد من قصة الثلاثة الذين خُلفوا .
٣٥٥	اولاً: ذكر اهمال احداث في قصة الثلاثة الذين خُلفوا.
٣٦٥	ثانياً: الجانب الدعوي المفاد من قصة الثلاثة الذين خُلفوا.
٣٧٨	المبحث الثالث: الجانب الدعوي عند ابن القيم "رحمه الله" على ضوء ذكره لأحداث قدوم بعض وفود العرب على النبي (ﷺ) .
٣٨٢	المطلب الأول: الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد ثقيف على النبي (ﷺ) .
٣٩٤	المطلب الثاني: الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد عبد القيس على النبي (ﷺ) .

٤٠١	المطلب الثالث: الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد بني حنيفة على النبي (ﷺ).
٤٠٧	المطلب الرابع: الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد دوس على النبي (ﷺ).
٤١٣	المطلب الخامس: الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد نجران على النبي (ﷺ).
٤٢٦	المطلب السادس: الجانب الدعوي المفاد من قدوم وفد صداء على النبي (ﷺ).
٤٤٢ - ٤٣٩	الخاتمة:
٤٩٦ - ٤٤٥	ثبت المصادر والمراجع :
٥٠٥ - ٤٩٩	المحتويات:

السيرة الذاتية

السيرة الذاتية

- ياسر محمد عبدالله محمود الراشدي.

- ولد في مدينة الموصل من مواليد ١٩٧٨م ، نشأ في عائلة متوسطة الحال ، تربي فيها على الأخلاق الحميدة والتعلق بالمساجد ، درس منذ الصغر الفقه الحنفي كتاب الطهارة والصلاة على يد الشيخ سيد جمال إمام جامع فتحي العلي ، ثم شارك في العديد من الدورات الدينية.

- قرأ القرآن على يد الكثير من مشايخ الموصل وبعدها حصل على الإجازة بقراءة (حفص عن عاصم) على يد الشيخ الملا عادل البنا.

- درس العلوم النقلية والعقلية على يد بعض المشايخ ، وبعدها التحق بجامعة الموصل كلية الآداب وحصل على شهادة البكالوريوس ، ثم التحق بكلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة ، وحصل أيضاً على شهادة البكالوريوس في العلوم الإسلامية وبتقدير (امتياز).

- اكمل دراسة الماجستير في نفس الكلية في بغداد وبتقدير (جيد جداً) ، عمل المؤلف بصفة عقد في دائرة الوقف مركز البحوث والدراسات الإسلامية نينوى، وله مشاركات في معرض الكتاب وفي مسابقة البحوث وله بحوث مقدم منها (السلام واثره في تركية النفس) وله أيضاً بحوث منشورة في مجلة البحوث والدراسات الإسلامية التابعة لديوان الوقف السني منها (جهود سيدنا عمر (رضي الله عنه) في الدعوة الى الله تعالى).

- عمل بصفة امام في جامع العبادلة ومسجد الاحمدية وجامع الرسول ، ثم مارس الخطابة في جوامع عدة من مدينة الموصل ونواحيها.

- عمل مفتش في دائرة التفتيش للمساجد الموصل ، وكذلك عمل في إذاعة القرآن الكريم التابعة لديوان الوقف السني نينوى ، وله مشاركات في دورات قرآنية إذاعية داخل وخارج البلد .

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

طبع بمطابع هيئة ادارة واستثمار اموال الوقف السني
e-mail : printprint25@yahoo.com

رَفْعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com



Caller Side

For Ibn Al-Qayem (Allah's Mercy upon Him)

In His Book

Zaad Al-Ma'ad

By

Yaser M. A. Al-Rashidy